

فِي ظِلِّهِ السُّبُلُ إِلَى النَّبِيِّ

دُرُوسٌ وَعِبْرٌ وَصُورٌ وَخَرَائِطٌ



سَعِيدَانِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

الطبعة الأولى
دار طويق للنشر والتوزيع



**في ظلال
السيرة النبوية**



فِي ضَلَالِ السَّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

دروس و عبر و صور و خرائط

تأليف

شعبان بن أحمد بن علي العدوي

بِإِذْنِ مَدِيرِ الدَّيْنِ وَالنَّشْرِ وَالنَّوْحِ

ح

دار طويق للنشر والتوزيع، ١٤٣٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العدوي، شعبان أحمد

في ظلال السيرة النبوية .. دروس وعبر وصور وخرائط. / شعبان أحمد

العدوي-الرياض ١٤٣٥هـ

ص ٠٠×٠٠ سم

ردمك: ٦- ٠٨٤٧- ٤٢- ٦٠٣- ٩٧٨

١- السيرة النبوية أ- العنوان

١٤٣٥/٥٢٨٩

ديوي ٢٣٩

رقم الإيداع: ١٤٣٥/٥٢٨٩

ردمك: ٦- ٠٨٤٧- ٤٢- ٦٠٣- ٩٧٨

حقوق الطبعة محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

دار طويق للنشر والتوزيع

ص.ب ١٠٢٤٤٨ الرياض ١١٦٧٥

هاتف: ٢٧٠٢٧١٩ فاكس: ٢٧٠١٨٦٦

الرقم الموحد: ٩٢٠٠٢٢٢٢٩





قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ
يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَبَزَّكَرِهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]





حمدت الله حين هدى فؤادي

إلى الإسلام والدين الحنيف

الدين جاء من رب عزيز

خبير بالعباد بهم لطيف

إذا تليت رسائله علينا

تحدر دمع ذي اللب الحنيف

رسائل جاء أحمد من هداها

بآيات مبينة الحروف

من كلمات الصحابي الجليل

عزة بن عبد المطلب رضي الله عنه





تقديم





المقدمة

إن الحمد لله، نحمده سبحانه وتعالى، ونستهديه ونسترضيه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح لهذه الأمة، وكشف الله به الغمة، وتركنا على المحاجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك فصلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين... أما بعد..

فإن السيرة النبوية ليست قصصاً للتسلية أو عرضاً للحكايات، بل هي منهج حياة للسائرين على خطى سيد النبيين، وإمام المرسلين، نبينا محمد ﷺ الذي بذل كل ما يستطيع في سبيل أن يبلغ دعوة ربه، ف قضى نهاره داعياً ومبشراً وسهر ليله ساجداً وقائماً، ولم يفوت فرصة من الفرص لتبليغ دعوة الحق إلا واستغلها، فكان يدعو الناس في الأسواق، وفي الطرقات، ويذهب إلى القاعدين منهم في بلدانهم وخيامهم، فلم يمل، ولم يكل، ولم يبأس حتى شرح الله الصدور، وأنار العقول، فدخل الناس في دين الله أفواجاً.

فالسيرة إذن توجه المسلم أن يقتدي برسول الله ﷺ فهي زاد للدعاة في التعامل مع من يدعوهم، وهي زاد للمربين، وزاد للقادة والمصلحين، وزاد للعامة والخاصة..

ولا شك أن الهدف الأسمى من دراسة السيرة هو تلمس الطريق الذي سار عليه الرسول ﷺ في تبليغ الرسالة كما أراد الله ﷻ ولكي يعبد الله ﷻ كما أمر، وشرع بعيداً عن الغلو والتفريط.

والأمة الإسلامية أحوج ما تكون إلى العودة إلى تعاليم الإسلام، فقد انطوت الأيام، واستدار الزمان، وضعف الوازع الديني لدى الكثير من أبناء الأمة؛ فأصبحنا تابعين غير متبعين؛ فطمع غيرنا فيما بين أيدينا، وحسدونا على نعم الله التي يمن بها على من يشاء من عباده، ولا يرضون إلا أن يتخلى المسلمون عن دينهم.

فالحل إذن بأيدينا بالعودة إلى القرآن والسنة، وإلى فهم سيرة الرسول ﷺ، واستنباط الدروس والعبر منها، فنتعلمها ونعلمها أولادنا وأهلنا ومن يدين بديننا، بل يجب علينا أن نعرفها للناس جميعاً؛ لأنها سيرة خير أمة أخرجت للناس.

ولا أحسب أنني بكتابي هذا عن السيرة النبوية أنني قد جئت بما لم يسبقني إليه أحد من مشايخنا العلماء، وإنما اعتبر كتبه عبارة عن خواطر مسلم

أراد النفع لنفسه، وأمته، وأن يخدم دينه، ويريد أن يلقي الله ﷻ بعمل صالح مقبول.

وأخيراً فإني أرجو من إخواني في الله أن يساعدوني في إضافة ما يروونه مناسباً من الدروس والعظات التي تنفع الأمة، فالهدف بناء جيل من الصحوة الإسلامية، يعيدنا إلى سابق مجدنا، وعزنا، لقيادة العالم إلى بر الأمان، وإلى نور التوحيد.

شعبان بن أحمد بن علي العدوي

www.aladwy2020@hotmail.com

المدينة المنورة ١٤/١٢/١٤٣٠هـ



عملي في هذا الكتاب

بعد أن وفقني الله ﷻ بالاطلاع على كتب التاريخ والسير، كسيرة ابن هشام، وابن إسحاق، والروض الأنف للسهلي، وتاريخ الطبري، والكامل في التاريخ لابن الأثير، والبداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ الإسلام للذهبي والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي، وزاد المعاد لابن القيم، وفقه السيرة للشيخ محمد الغزالي، وفقه السيرة للدكتور محمد رمضان البوطي والسيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، والرحيق المختوم للشيخ تقي الدين المباركفوري وغيرهم.

رأيت أن كتاب السيرة النبوية في القديم والحديث لم يتركوا شاردة أواردة في حياة رسول الله ﷺ، وصحبه الكرام إلا وكتبوا فيها، حتى أنهم أعجزوا من جاء بعدهم وفكر أن يعمل بعملهم، وأن يدلي بدلوه في هذا المجال، غير أنني وجدت أن من كتبوا في السيرة يمكن أن نقسمهم إلى قسمين:

١. القسم الأول: يميل إلى سرد السيرة والإسهاب في نقل الروايات كابن

هشام، وابن إسحاق، والطبري، وابن الأثير، وابن كثير وغيرهم.

٢. القسم الثاني: يميل إلى إجمال النص التاريخي وذكره مختصراً مع التركيز على الدروس والعبر قدر المستطاع، وهذا منهج الشيخ محمد الغزالي، والدكتور مصطفى السباعي، والدكتور محمد رمضان البوطي، والدكتور محمد الطيب النجار وغيرهم.

فاستعنت بالله، واخترت أن أجمع بين المنهجين، بحيث لا أسهب في ذكر الجانب التاريخي وسرد الأحداث فقط، بل إفاضة ما يمكن أن نستخلصه منه من عبر وعظات، بحيث يجمع الكتاب بين الجانب التاريخي للسيرة، وبين ما يمكن أن يستخلصه المسلم منها؛ ليطبقه في حياته العملية. بحيث يستفيد منه الدعاة في المساجد، وأولياء الأمور في تربية أولادهم لتنعكس جوانب السيرة في أقوالنا وأفعالنا، حتى نسير على خطى سيد المرسلين وإمام المتقين سيدنا محمد ﷺ.





ما تميزت به السيرة النبوية

١. أنها أصح سيرة لنبي مرسل.
٢. أن حياة الرسول ﷺ واضحة كل الوضوح في جميع مراحلها منذ زواج أبيه بأمه آمنة بنت وهب إلى وفاته ﷺ.
٣. أن سيرة الرسول ﷺ تحكي سيرة إنسان أكرمه الله بالرسالة، فلم تخرجه عن إنسانيته، ولم تلحق حياته بالأساطير.
٤. أن سيرة الرسول ﷺ شاملة لكل النواحي الإنسانية في الإنسان (الشاب الداعية - الرئيس - الزوج - الأب...).
٥. أن سيرة الرسول ﷺ وحدها تعطينا الدليل الذي لا ريب فيه على صدق رسالته ونبوته، إنها سيرة إنسان كامل سار بدعوته من نصر إلى نصر، لا على طريق الخوارق والمعجزات، بل عن طريق طبيعي بحت، فلقد دعا فأوذى وبلغ فأصبح له الأنصار، واضطر إلى الحرب فحارب، وكان حكيماً موفقاً في قيادته. (١)

(١) السيرة النبوية دروس وعبر - د. مصطفى السباعي - ص ١٥، ١٧، ١٩، ٢١ باختصار شديد.



حاجة الدنيا إلى الإسلام

بعث الله ﷺ نبيه محمد ﷺ ليخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فلقد كانت الدنيا جمعاء بحاجة ماسة إلى رسالة التوحيد، لتعيد البشرية المشركة؛ إلى ربها الواحد القهار، فقد كان الناس بين ساجد لصنم أو عابد لوثن، أو معظم للنار، أو محرّف ومبدّل لشرع الله تعالى، فأصبحت الدنيا يسود فيها منطق القهر والظلم على منطق العدل والرحمة، فكان القوي يأكل الضعيف، فانتهكت الحرمات، وشربت الخمر وقتلت البنات أحياء، وامتهنت كرامة العبيد فأصبحوا كبعض أثاث البيوت لا يملكون من أمرهم شيئاً، فأراد الله ﷻ أن ينقذ هذا العالم التائه المتخبط في الظلمات إلى بر الأمان فأرسل محمداً ﷺ ليذكر الثقيلين،^(١) أن ربهم واحد لا شريك له، فهل يعقل أن يرزقهم الله الواحد الأحد ثم بعد ذلك يشركون معه ربا سواه؟ وهل يعقل أن يتقربوا بالأصنام إلى ربهم؟! وهل يعقل أن يدّعي عبد من عبيد الله، أنه ابن لله، أو أنه هو الله؟!!

(١) الإنس والجن.



**أحوال العرب
قبل الإسلام**





أمة تائهة

كان العرب قبل بعثة الرسول ﷺ أمة لا وزن لها ولا سلطان،
فقد انقسم أبناؤها على أنفسهم بين تابع للفرس أو تابع للروم، فكان الأخ يقتل
أخاه وابن عمه من أجل الغريب، فأصبحت الأمة كما قال: أمير المؤمنين عمر
بن الخطاب رضي الله عنه كنا قوماً أذلة فأعزنا الله بالإسلام فإن ابتغينا العزة في غيرنا أذلنا
الله وإليك جانب من أحوالهم يظهر هذه الحقيقة.





الأحوال السياسية

لم يجتمع العرب قبل الإسلام في دولة واحدة، وإنما كان النظام السائد بينهم هو النظام القبلي، فكل فرد يدين بالولاء والطاعة للقبيلة التي ينتمي إليها فهي الوطن والسكن، والرمز الذي ينضوي الجميع تحت لوائه، فإذا ما تعدى شخص على حمى قبيلته، فكأنما تعدى على كرامتها وشرفها، فكانت الحروب تدور بين القبائل بسبب التعدي على العشب والماء، فقامت الحروب الطاحنة بين القبائل بسبب ضيق الأفق لدى الكثير من الناس ومن أشهر هذه الحروب (حرب البسوس)، وقد كانت بين بكر وتغلب بسبب ناقة للجرمي وهو جار لبسوس بنت منقذ خالة جساس بن مرة، وقد كان كليب سيد تغلب قد حمى لإبله مكانًا خاصًا به فرأى فيه هذه الناقة فرماها فجزع الجرمي وجزعت البسوس، فلما رأى ذلك جساس تحين الفرصة لقتل كليب فقتله فقامت الحروب الطاحنة بين القبيلتين لمدة أربعين سنة^(٤).

وحرب (داحس والغبراء) وقد كانت بسبب سباقًا أقيم بين داحس وهو فرس لقيس بن زهير، والغبراء وهي لحذيفة بن بدر فأوعز هذا إلى رجل ليقف

(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير (١/٣١٢).

في الوادي فإن رأى داحسا قد سبق يرده، وقد فعل ذلك فلطم الفرس حتى أوقعها في الماء فسبقت الغبراء، وحصل بعد ذلك القتل والأخذ بالثأر، وقامت الحرب بين قبيلتي عبس وذبيان^(٥).

وكذلك الحروب الطاحنة بين (الأوس والخزرج) في الجاهلية وهم أبناء عم واستمرت بينهم مدة طويلة؛ وكان آخر أيامهم يوم (بُعَاث).

قال ابن هشام: وكان يوم بُعَاث يوماً اقتتل فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج، وكان على الأوس يومئذ حُضِير بن سَمَاك الأشْهَلِي أبو أسيد بن الحُضِير وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضي فقتلا جميعاً^(٦).

ويوم أن انتصر العرب على الفرس في يوم ((ذي قار)) تغنى العرب بهذا الانتصار الذي حدث للمرة الأولى في تاريخهم بأن ينتصروا على قوة كانت تعد من القوى العظمية في العالم آن ذاك .
أما اليمن:

فقد كانت تسمى ((ببلاد العرب السعيد)) نظراً لوجود الزراعة المستقرة بها بسبب سقوط الأمطار الموسمية عليها في فصل الصيف فقامت الممالك المستقرة بها، وأشهرها مملكة سبأ، التي ذكرت في القرآن الكريم، وقصة ملكتها معروفة مع نبي الله سليمان عليه السلام، واستمرت هذه المملكة في أحسن حال

(٥) نفس المصدر (١/٣٤٣).

(٦) السيرة النبوية لابن هشام ص ١٢٠.

أولئك التجار المسيحيين عند مرورهم باليمن، ثم بسط - ذو نواس - اضطهاده نحو رعاياه من المسيحيين؛ فأنذر أهل نجران بترك دينهم واعتناق اليهودية، وحين رفضوا هذا الإنذار خد لهم أخاديد النار وألقاهم فيها وقضى عليهم حرقاً في أكتوبر ٥٢٣ م^(١)، ووردت قصتهم في سورة البروج.

ولقد أدت هذه الفعلة إلى تدخل الحبشة بمساعدة الرومان على احتلال اليمن، وفي عام ٥٧٠م أراد أبرهة الحبشي أن يهدم الكعبة لصرف العرب عنها بعد أن بنى كنيسة عظيمة في اليمن، ولم يذهب إليها العرب، وشاءت إرادة الله ﷺ أن يهلك جيشه بالطير الأبايل كما ورد في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾ [الفيل: ١-٥]

وسياتي تفصيل قصة هلاكه في الحديث عن عام الفيل في الصفحات القادمة بإذن الله.

وترتب على ذلك تشتت شمل الأحباش في اليمن، واستطاع - سيف بن ذي يزن - بمساعدة الفرس من طردهم عام ٥٧٥م.

وبعد حكم سيف بن يزن تولى حكم اليمن باذان وكان فارسياً، وعاصر الرسول ﷺ ودخل في الإسلام ومعه أهل اليمن، وأبقاه الرسول ﷺ على حكمها.

(١) تاريخ العالم الإسلامي - د. إبراهيم العدوي - ج ١ - ص ٢١٠.

الرومان، وفي أحيان كثيرة كان العربي من أهل الحيرة يلتقي مع أخيه من أهل الغساسنة فيقتل بعضها الآخر من أجل الغريب المحتل من الفرس أو الروم.





الأحوال الإجتماعية

جمع المجتمع الجاهلي قبل الإسلام بين الصفات الحسنة، والصفات السيئة؛ فقد كان من صفاتهم الحسنة الكرم، والشجاعة، وإغاثة الملهوف وإطعام الجائع، وإحصان الحرائر، وعدم إشاعة الزنا بينهن، حتى أن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان بن حرب بايعت رسول الله ﷺ على الإيمان بالله وعدم السرقة، وعدم الزنا، تعجبت، وقالت: أو تزني الحرة يا رسول الله؟ ويفهم من ذلك أن الحرة رغم جاهليتها وشركها بالله، حين ذلك، فإنها كانت شريفة محافظة على عرضها.

أما الصفات السيئة التي كانت موجودة عند العرب قبل الإسلام، فقد تمثلت في شرب الخمر ولعب الميسر، وحرمان الإناث من الميراث والاستقسام بالأزلام؛ والذبح عند الأصنام، وقطع الطريق والتفاخر بالأنساب والأحساب والتي بقيت في العرب حتى بعد اعتناقهم الإسلام، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي من بقايا الجاهلية التي حاربها الإسلام.

وكان المجتمع القبلي يتكون من السادة وينضم تحت لوائهم الأشراف والموالي والحلفاء، وكان لهم تمام الحظوة والمكانة.

وطائفة أخرى من المعدومين والضعفاء والعييد الذين لم يكن لهم من حياتهم إلا الكد والتعب، فيباعون ويشترون كبعض أثاث البيوت.

وتميزت علاقة الرجل بالمرأة الحرة بكامل الاحترام، والود فهي السيدة المصون، يسمع لها ويحترم رأيها، وكان العرب يتزوجون ويطلقون، وأقر الإسلام بعض تعاليم الزواج التي كانت عندهم، وأبطل البعض الآخر كالجمع بين الأختين، أو جمع المرأة على عمتها وخالتها.

وأما ما ذكره الله ﷻ عن كراهية العرب للبنات ووأدهن أحياء كما حكى ذلك القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨ يَنْوَرِي مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيَسْكَبُ عَلَىٰ هُوبٍ أَلَّا يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ٥٩ ﴾ [النحل: ٥٨ - ٥٩]، وقال أيضاً: ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۖ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِلَتْ ۗ ٩ ﴾ [التكوير: ٨ - ٩]

فالمراد بذلك طائفة خاصة من العرب حصرتهم كتب التاريخ في بطون من تميم وأسد في طبقة منحطة منهم كانت تفعل ذلك خشية الفقر، وكان هناك من أشرف تميم قبل الإسلام من كره الوأد وعابه، فكان يشتري البنات ممن يريدون وأدهن بنوق تذهب عنهم الفقر والخوف منه، كما عرف ذلك عن غالب بن أبي صعصعة جد الفرزدق الشاعر المعروف^(١).

(١) القيس الرضاء - د. محمد الطيب النجار - ص ٨.

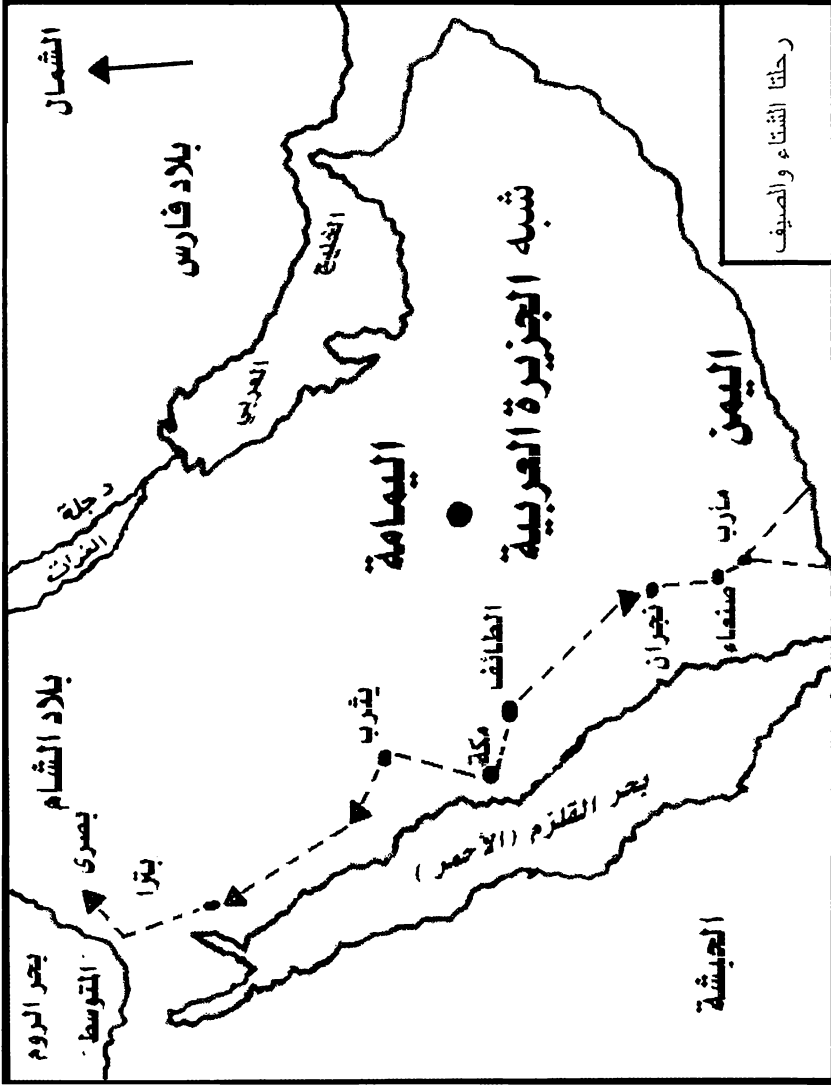


الأحوال الاقتصادية

كانت حياة العرب الاقتصادية في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام تقوم على الرعي والتجارة حتى قيل «أن كل عربي تاجر»، وكان للعرب رحلتان إحداهما إلى اليمن في زمن الشتاء، والأخرى إلى الشام في زمن الصيف، وعن طريق هاتين الرحلتين كانت التوابل والحبوب والملابس وغيرها تأتي إلى جزيرة العرب قال تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش: ١-٤]

أما الزراعة فقد تركزت بشكل مستقر في بلاد اليمن نظراً لانتظام سقوط الأمطار هناك، كما وجدت مزارع قائمة بشكل دائم في الطائف ويثرب، واليمامة، والواحات المنتشرة في جزيرة العرب. ولقد حظيت بعض الأسواق بشهرة كبيرة كسوق عدن، وعكاظ، وذي المجاز، وكان يجري في بعضها مسابقات بين الشعراء كسوق عكاظ.







الأحوال الدينية

كانت قبيلة جرهم التي سكنت مكة على دين نبي الله إبراهيم ﷺ حتى جلب - عمرو بن لحي الخزاعي - معه صنماً من الشام، ووضعه حول الكعبة وطاف حوله، فنسى العرب دين إبراهيم ﷺ وعبدوا الأصنام من دون الله حتى أصبحت الكعبة مقراً للوثنية ووضع حولها ثلاثمائة وستون صنماً، وكان أعظمها اللات والعزى، وهبل ومناة الثالثة الأخرى وغيرها.

وكان بعض العرب يعبدون الشمس والنجوم، من دون الله، واعتنق بعضهم اليهودية والمسيحية والمجوسية، وظهر بين هذا الركام فرقة استطاعت أن تميل عن الباطل وتتبع الدين الصحيح وسموا بالحنفاء، وكان منهم زيد بن عمرو بن نوفل وهو ابن عم عمر بن الخطاب ﷺ وصار يطوف ببلاد العرب يبحث عن دين إبراهيم ﷺ، حتى هداه الله وهو القائل.

تركت اللات والعزى جميعاً
كذلك يفعل الرجل البصير
فلا العزى أدين ولا ابنيها
ولا صنمي بني عمرو أزور
ولكن أعبد الرحمن ربي
ليغفر ذنبي الرب الغفور

وأشرف على نظام النسيء شخص كان يلقب باسم (تلمس) وهو لفظ جاهلي يرادف لفظ (الفتية) أو (المفتي) عند المسلمين، واتباع التلمس قواعد محددة في تنفيذ هذا النظام حتى يلتزم بها الجميع، فكان يدعو الناس إليه عند انتهاء موسم الحج للاجتماع به؛ ثم يرتقي مكاناً عالياً أو يجلس على ظهر جملة حتى يراه الحاضرون جميعاً، ثم يعلن بأعلى صوته التعديل أي (النسيء) ليحل شهراً من الأشهر الحرم، ويحرم مكانه شهراً من شهور السنة وفق الرغبات الشخصية، سواء عند قريش أو عند القبائل الباغية الطاغية فيقول (التلمس) اللهم إني لا أعاب، ولا أحاب، ولا مرد لما قضيت، اللهم إني أحللت شهر كذا وهو من الأشهر الحرم، وأنسأته إلى العام القابل، أي أخرت تحريمه، وحرمت شهر كذا من الأشهر البواقى، فكانوا يحلون ما حل ويحرمون ما حرم، وكان الناس يبيحون لأنفسهم الغزو في الشهر الذي أخره النسيء، وإذا جاء العام التالي عاد النسيء ليعلم الناس « أن آهتكم قد حرمت عليكم الشهر الفلاني، وهو الشهر الذي سبق أن أحله في العام الماضي، ويطلب منهم تحريمه، ويخضعونه للأوامر^(١)، واستمر هذا الوضع حتى أبطل الإسلام النسيء، وأحل القتال في الأشهر الحرم، وحرم ظلم النفس والتعدي على الآخرين ظلماً وعدواناً.

(١) تاريخ العالم الإسلامي - د- إبراهيم العدوي - ص ٣٥.

فقال له عبد المطلب: إني أنا رب الإبل، وإن للبيت رب سيمنعه • فقال: ما كان ليمنتع مني.

قال: أنت وذاك، فرد على عبد المطلب إبله (١).

ولما تقدم أبرهة لهدم البيت تأخر الفيل، ولم يتحرك نحو الكعبة، فإذا وجه إلى غيرها تحرك، فأخذوا يضربونه دون فائدة، ثم أرسل الله عليهم طيراً أبابيل أمثال الخطاطيف، أمثال الحمص والعدس لا تصيب أحداً إلا هلك، ولم تهلكهم جميعاً، حتى أن أبرهة وصل اليمن فكان كالعصفور من تساقط لحمه فانصدع قلبه عن جسده فهلك، وهلك ملكه واسترده سيف بن يزن، الملك الحميري.

وهكذا حمى الله بيته من كيد الكائدين، ومكر الماكرين، وستظل هذه الحماية باقية إلى يوم الدين، لذا أخبر النبي ﷺ أن الله أحل له مكة يوم الفتح ليدخلها ويحطم الأصنام، ثم عادت حرمتها كما كانت من قبل، ويوم أن يفكر ظالم في النيل منها فإن الله سيكفبه، ويخسف به الأرض، حتى أن المسيح الدجال سيدخل جميع البلاد إلا مكة والمدينة، فإن الله ﷻ سيجعل عليهما الملائكة، لرد كيد المعتدين.

وتدل حادثة الفيل على حماية الله للبيت الحرام، وتعظيمه وسمو مكانته عند المسلمين، وتدل الحادثة أيضاً على جزاء المتكبرين الذين يظنون أنهم

(١) البداية والنهاية - ابن كثير - ص ٣٣٧.

يستطيعون أن يفعلوا ما يريدون، وهذه طامة المتكبرين من البشر على مر العصور، فبعضهم قال: من أشد منا قوة؟ ونسوا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة، فلما عتوا أراهم قوته، وأهلكهم، وأصبحوا أثراً بعد عين.

ولما قال أحدهم كذلك: أنا ربكم الأعلى، كان جزاءه الغرق، وأصبح لمن خلفه آية وفي عصرنا الذي نحياه سمعنا عن الإمبراطورية الكبيرة للإتحاد السوفيتي، الذي بلغت حدوده من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي؛ ولكن عندما كفرت بأنعم الله، وحاولوا أن ينشروا الإلحاد في العديد من دول العالم كانت نتيجة أفعالهم أن الله أذاقهم لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وتفكك اتحادهم، وأخذ غيرهم مكانتهم، فهل تعتبر القوى الظالملة من أسلافها؟!

وهل قلبوا صفحات الأمم الغابرة ليأخذوا منهم العظة والدروس؟! وهل يتعلم الخائنون كأمثال ((أبي رغال)) الذي دل أبرهة على الطريق إلى الحرم، أن مصيرهم سيكون في مزبلة التاريخ، فلا يذكرون إلا وتذكر الخيانة معهم؟

فخير للمرء أن يذكر بعمل صالح يكون لله فيه نصيب، بدلاً من أن يدون اسمه في سجل الخائنين.





**من الميلاد
إلى البعثه**





الميلاد

ولد الرسول ﷺ على ما أتفق عليه أكثر الرواة في يوم الاثنين - الثاني عشر - من ربيع الأول في عام الفيل عام ٥٧١م، وذلك على أشهر أقوال المؤرخين.

النسب من جهة الأب..

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان^(١) وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم - صلى الله عليهما وعلى نبينا وسلّم - .
وفي الحديث الذي رواه مسلم: « إن الله ﷻ اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم »^(٢).

(١) السيرة النبوية لابن كثير (١/ ٨٤).

(٢) صحيح مسلم - كتاب انفضائل، باب فضل نسب النبي (٤/ ٢٢٧٦).

النسب من جهة الأم..

وأمة أمّنة وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، فهي أقرب نسباً إلى كلاب من زوجها عبد الله برجل^(١)، وهذا النسب الشريف، أعطى للنبي ﷺ ميزة بين قومه أساسها الاحترام والتقدير ففي الحديث الذي رواه الترمذي بسند صحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير فرقهم وخير الفريقين، ثم تخير القبائل، فجعلني من خير قبيلة، ثم تخير البيوت، فجعلني من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً، وخيرهم بيتاً»^(٢).

مات أبوه ﷺ وهو في بطن أمه وكان عبد الله حين إذ عمره ٢٥ سنة، كانت القابلة لرسول الله ﷺ هي الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف^(٣) وبعد ولادته أرضعته ثوية مولاة لعمه أبي لهب، وأرضعت معه حمزة بن عبد المطلب، كما أرضعت معه عبد الله بن عبد الأسد المخزومي المعروف بأبي سلمة، ثم أرضعته حليلة السعدية، وأرضعت معه ابن عمه أبا سفيان بن الحارث، وأرضعته مرضعة عمه حمزة، وهي امرأة سعدية أيضاً.^(٤)

وأما حواضنه ﷺ فهن..

١. أمه أمّنة بنت وهب.

٢. ثوية الأسلمية.

(١) البداية والنهاية - ابن كثير ج ٢ - ص ٢٦٤.

(٢) رواه الترمذي بسند صحيح.

(٣) السيرة النبوية لابن كثير (١/٨٤).

(٤) زاد المعاد - ابن القيم الجوزية - (١/٣٦).

٣. حليلة السعدية، وبتتها الشياء.

٤. أم أيمن بركة الحبشية، وهي جارية أبيه عبد الله، وقد ورثها ﷺ من أبيه بعد وفاته.

وكان الذي كفل الرسول ﷺ بعد وفاة أبيه جده عبدالمطلب، ثم عمه أبو طالب.

ولعل الله ﷻ أراد لنبيه أن يولد يتيماً حتى يتولاه ويحفظه بعنايته، وقد كان فإنه ﷺ شب على الأخلاق الفاضلة، والحياء الجم، واشتهر بالأمانة، والصدق فكانوا يسمونه الأمين^(١).

ويمكن لنا من خلال ميلاد الرسول ﷺ أن نستخلص بعض المعاني والعبر ومنها..

١. أن الإسلام لا يفاضل بين الناس حسب أنسابهم، ولكن مما لا شك أن الداعية والمصلح أن كان شريفاً في قومه؛ فإن الناس يسمعون له أكثر من غيره، ويكون تأثيره في الناس أكبر، وقد ينصره بعض قومه تعصباً له لا حباً فيه، ولا اقتناعاً بما يدعو إليه، لذا كان إسلام حمزة بن عبد المطلب ﷺ في بدايته تعصباً لرسول الله ﷺ ثم شرح الله صدره لنور الإيمان بعد ذلك.

(١) تأملات في سيرة الرسول ﷺ - د. محمد السيد الوكيل - ص ١٥ : ١٦.

٢. من المشاهد أيضاً أن الناس يسمعون ويطيعون لأهل الشرف والخطوة فياحبذا لو استغل هؤلاء مكانتهم في التقرب إلى الله بعمل الصالحات، والقضاء على الكثير من البدع والخرافات التي تحتاج إلى جهودهم وجهود غيرهم؛ فلو قام أهل الشرف والخطوة بعدم الإسراف في حفلات الزواج على سبيل المثال لكان خيراً لهم ولغيرهم.

٣. إن في تحمل الداعية آلام اليتيم أو العيش، وهو في صغره ما يجعله أكثر إحساساً بالمعاني الإنسانية النبيلة، وامتلاءً بالعواطف الرحيمة نحو اليتامى أو الفقراء أو المعذنين، وأكثر عملاً لإنصاف هذه الفئات، والبر بها، والرحمة لها، وكل داعية يحتاج إلى أن يكون لديه رصيد كبير من العواطف الإنسانية النبيلة التي يشعر بالآلام الضعفاء والبائسين، ولا يوفر له هذا الرصيد شيء، مثل أن يعاني في حياته بعض ما يعانيه أولئك المستضعفون كاليتامى والفقراء والمساكين^(١).



(١) السيرة النبوية دروس وعبر - د. مصطفى السباعي - ص ٣٨.



الرضاع

كان من تدبير الله تعالى لنبيه ﷺ أن مجيئه إلى الدنيا ارتبط بالبركة والثواب، والحلم، فحاضته هي السيدة أم أيمن بركة الحبشية، وأول من أرضعته بعد مولده ثوية خادمة عمه أبي لهب، ثم حليلة السعدية، وكان من عادة العرب إرضاع أولادهم في البادية، ليتعلموا فصاحة اللغة، وينعموا بصفاء الطبيعة فيها، ونقاوتها فيشربون وقد استقامت لغتهم، وحسنت طباعهم، لذا عندما تقارن بين الطبيعة في الريف والمدن، نجد أن حياة الريف تتصف بالهدوء والسكينة والبساطة، وهذا أقرب إلى الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها.

لذا فإن العربي إلى وقتنا هذا يجلس أوقاتاً يذهب فيها مع الأصدقاء إلى ما يسميه البر حيث يخرج إلى الخلاء في الصحراء ومعه الخيمة والطعام ليقضي بعض الوقت منسجماً مع الصحراء وما فيها من هدوء وسكينة، ثم يعود وقد جدد نشاطه وحسن مزاجه.

فكانت المرضعات يأتين إلى مكة ليأخذن الأطفال نظير مبلغ من المال أو القوت أو الكساء، وكان من قدر الله ﷻ وتدبيره أن تفوز السيدة حليلة

السعدية برضاع رسول الله ﷺ، بعدما وجدت أن المرضعات سبقوها إلى أخذ الأطفال الذين يتوسمون في أهلهم الغني.

وقصة رضاع النبي ﷺ في نبي سعد لها دلالات كثيرة منها:

١. أن الله اختار لرضاع نبيه امرأة كريمة شريفة.

قال السهلي: (كانت حليلة وسيطة في بني سعد، كريمة من كرائم قومها، بدليل اختيار الله ﷻ إياها لرضاع نبيه ﷺ كما اختار له أشرف البطون والأصلاب، والرضاع كالنسب لأنه يغير الطباع)^(١)

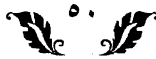
٢. أن الرضا بالقسمة وعدم السخط على قضاء الله وقدره هو السعادة الحقيقية للمراء، فالسيدة حليلة لما رضيت بقسمتها من رسول الله ﷺ كان جزاؤها أنها كانت أسعد من أقرانها اللاتي فضلن أبناء الأثرياء.

قال السهلي أيضا: قالت حليلة السعدية: (فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه إذا قيل لها إنه يتيم وذلك أننا كنا نرجو المعروف من أبي الصبي فكنا نقول يتيم وما عسى أن تصنع أمه وجده فكنا نكرهه^(٢)) لذلك فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعا غيره، فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي^(٣): والله إني لأكره أن أرجع

(١) الروض الآنف - للسهلي - ج٢ - ص ٣١١٠.

(٢) نزهة فيه لعدم حصول المنفعة من وراءه.

(٣) معني كلمة صاحبي: زوجي



بالحنو والرعاية لأبناء الآخرين اليتامى، فلا ينساهم ولا يهملهم، ولا
يغتر بأبنائه عنهم^(١).



(١) الرسول العربي المربي - د. عبد الحميد الهاشمي - ص ١٢٠.



حادثة شق الصدر

وقعت حادثة شق الصدر لرسول الله ﷺ مرتين.. الأولى عندما كان رضيحاً في بني سعد، والثانية قبل الإسراء والمعراج. أما الأولى: فقد وقعت ورسول الله ﷺ له من العمر ثلاث سنين، ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه ^(١)، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه، فقالوا: إن محمداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون. قال أنس: وقد كنت أرى أثر المخيط في صدره) ^(٢).

لذا خافت عليه السيدة حليلة السعدية فأخذته لأمة السيدة آمنة بنت وهب في مكة، وقصت عليها ما حدث، فقالت لها: لا تخافي عليه، فلم أشعر بحمله كما تشعر النساء، فطبيت من خاطرها وأكرمتها، ورجعت السيدة

(١) جمعه وضم بعضه إلى بعض.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم الحديث ٢٥٩.

حليمة السعدية مرة أخرى إلى ديارها ومعها رسول الله ﷺ ليستقر معها عامين آخرين ثم يرجع إلى أمه ليقيم معها في مكة، وله من العمر خمس سنين. وأما المرة الثانية: فقد كانت تهيئة لرسول الله ﷺ لرحلة الإسراء والمعراج وهي رحلة تحتاج إلى طاقة روحية وجسدية لا يتحملها البشر العادي، فقد أخرج الإمام البخاري من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن أبا ذر كان يحدث أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فُرِجَ عَن سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءٍ زَمْزَمٍ ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي ثُمَّ أَطْبَقَهُ^(١).

وإذا كان بعض العلماء قد قال بأن شق صدر رسول الله ﷺ كان حسياً وبعضهم قال: أنه معنوي وأن المراد هو تطهير قلب رسول الله ﷺ من الشوائب والضغائن والأحقاد التي توجد في قلوب العباد. فإن الذي نرتضيه هو أن حادثة رسول الله ﷺ قد وقعت بطريقة حسية وأنها من الإرهاصات التي تبشر بنبوته محمد ﷺ وتسلب الضوء عليه قبل النبوة وبعدها، إذ ليس هناك ما يمنع من ذلك ما دمنا نؤمن بالعناية الإلهية التي تصاحب الأنبياء منذ فجر حياتهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم^(٢).

(١) صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء - رقم الحديث ٣٣٦.

(٢) القبس والوضاء من سيرة خاتم الأنبياء - د/ محمد الطيب النجار - ص ٣٥.



رحلة الوفاء الأخيرة

رحلة الوفاء الأخيرة هي تلك الرحلة التي قررت فيها السيدة - آمنة بنت وهب - أن تصطحب معها طفلها الصغير محمد بن عبد الله ﷺ وهو في السادسة من عمره، ومعها خادمتها أم أيمن، وتكون وجهتهم جميعاً إلى يثرب لزيارة قبر والد النبي ﷺ ليتعرف الغلام على قبر أبيه الذي لم يره، ويألها من مواقف تحتاج فيها النفوس البشرية إلى من يحنو عليها خاصة من الأب أو الأم فيحس الإنسان بالقوة في نفسه والطمأنينة وراحة البال.

وإذا أردت أن تشعر بهذه المعاني فانظر إلى اليتيم الذي يشعر بمرارة اليتيم بين أقرانه حين يذهبون مع آبائهم فيمرحون ويلعبون، وينظر هو إلى حاله فلا يجد من يحنو عليه، وإن وجد هذا الحنان فهو حنان وقتي، فسرعان ما ينشعل عنه الحاني بأهله وأولاده وأعماله.

ولا شك أن رسول الله ﷺ شعر بهذه المعاني وهو صغير فنظر إلى قبر أبيه، وشعر بالدف والحنان، حتى ولو انعدمت الرؤية بينهما.

وشاءت إرادة الله ﷺ أن تموت السيدة - آمنة بنت وهب - وهي في طريق عودتها إلى قريش في مكان يسمى الأبواء^(١) ليلتفت الرسول ﷺ يمينا فلا يجد الوالد، ويسرة فلا يجد الوالدة، فالتفت ﷺ إلى أم أيمن وقال لها يا أم أيمن أنت أمي بعد أمي، ثم رجعا إلى مكة، فكان رسول الله ﷺ في كفالة جده عبد المطلب الذي توفي في العام الثامن من عمر رسول الله ﷺ، ثم في كفالة عمه القليل المال، الكثير العيال أبو طالب الذي كان يجب رسول الله ﷺ وكثيراً ما يصحبه إذا خرج من البيت.

وهكذا يجب أن يكون القريب من الأخوال والأعمام تجاه أقربائهم ومن أسف حين نسمع أن بعض الأعمام أو الأخوال يطمع في أموال الأيتام الذين استرعاه الله فيهم، فنجد بعضهم يطمع فيهم ويريد أن يأخذ ما بأيديهم لنفسه، ويحرمهم من حقهم الشرعي، ونسى أن الله ﷻ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وكانت المصائب التي أصابت النبي ﷺ منذ طفولته كموت أمه ثم جده بعد أن حرم عطف الأب، وذاق كأس الحزن مرة بعد مرة، كانت تلك المحن قد جعلته رقيق القلب مرهف الشعور، فالأحزان تصهر النفوس وتخلصها من أدران القسوة والكبر والغرور، وتجعلها أكثر رقة وتواضعاً^(٢).

(١) مكان بين مكة والمدينة.

(٢) أنظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، د. علي محمد الصلاحي، ج ١ ص ٤٤.



لقاء بحيرا الراهب

قصة لقاء رسول الله ﷺ مع بحيرا الراهب أنكرها بعض أهل الحديث وعلى رأسهم الإمام الذهبي رحمته الله وأنكر أن يكون أبو بكر أو بلال بن رباح كانا مع الرسول ﷺ في هذه الرحلة، وأيدها آخرون ومنهم الإمام ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ وأخرجها الإمام الترمذي في سننه برقم (٣٦٢٠)، وصححها الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٨٦٢).

قال الدكتور: أكرم ضياء العمري بعد أن ساق آراء العلماء في قصة لقاء الرسول ﷺ مع بحيرا الراهب.

«وعلى أية حال فإن وجود النكارة في الفقرة الأخيرة لا يعني ضعف سائر الرواية» ما دام السند صحيحاً، وقول الذهبي في «قراد (١) بأن» له مناكير لا يؤثر في توثيقه لأن الثقة قد تقع في روايته المناكير، ويحتمل منه ذلك إذ لم يكثر منها، وأما توسع الذهبي في رد سائر الرواية لمجرد احتمالات قابلة للنقاش، ولا تصلح أدلة للطعن في سائر الرواية فلا مبرر له.

(١) أخذ رواة هذه القصة.

ويمكن أن تطمئن النفس إلى إثبات سفر النبي ﷺ مع عمه إلى بصرى وتحذير الراهب بحيرا لعمه من يهود و الروم بالاعتماد على رواية الترمذي والاستئناس بالروايات الضعيفة الأخرى مثل رواية ابن اسحاق^(١).

و ذكر ابن الأثير أن عمر رسول الله ﷺ كان ثمانين سنين^(٢)، عندما خرج مع عمه أبي طالب في رحلة تجارية إلى بلاد الشام، وعندما بلغ الراكب المكان الذي يتعبد فيه بحيرا، وجد أن الغمامة تظلل رسول الله ﷺ أينما ذهب، فناداهم بحيرا وقال لهم:

إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر، ولا حجر إلا خرَّ ساجداً ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف^(٣) كتفه مثل التفاحة.

ثم سأل عن ولي أمره فأشاروا إلى أبي طالب، فقال له:

ما هذا الغلام منك؟

فقال: ابني.

قال: ما ينبغي أن يكون أبوه حياً،

قال: فإنه ابن أخي، مات أبوه وأمه.

قال: صدقت.

(١) - السيرة النبوية الصحيحة - أكرم ضياء العمري - ج ١ ص ١٠٩.

(٢) - ذكره غيره أن عمره ﷺ - كان أنتى عشرة سنة -.

(٣) الغضروف: رأس لوح الكتف.

ثم أشار عليه أن يرجع به، خشية أن يؤذنه اليهود لأن أهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا يعلمون بقرب ظهور نبي آخر الزمان، فرجع أبو طالب برسول الله ﷺ إلى قريش.

وهذه القصة إن صحت فإنها تظهر بجلاء أن بحيرا الراهب قد اعترف لرسول الله ﷺ بالنبوة وإذا كان بحيرا اعترف بهذه الحقيقة؛ فلماذا لا يعترف الحاقدون كما اعترف الرجل؟ ! ثم لماذا يلجأون إلى لي عنق الحقيقة ويقولون أنه تعلم القرآن من بحيرا الراهب في هذه الرحلة؟!

وزعم الذين كفروا من أهل الكتاب أن القرآن ما هو إلا تحريف بشع للتوراة، وأن محمداً ﷺ لم يوح إليه حرف واحد من الله تعالى وأنه تعلمه من بحيرا الراهب عندما لقيه في الشام.

وقد تولى الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ﷺ دفع هذه الشبهة في مناهل الفرقان بقوله:

أولاً: أن هذه الدعوة مجردة من الدليل، خالية من التحديد، والتعيين، ومثل هذه الدعاوى لا تقبل ما دامت غير مدللة، وإلا فليخبرونا ما الذي سمعه محمد من بحيرا الراهب؟

ثانياً: أن التاريخ لا يعرف أكثر من أنه ﷺ سافر إلى الشام في تجارة مرتين، مرة في طفولته ومرة في شبابه، ولم يسافر غير هاتين المرتين، ولم يجاوز سوى بصرى فيها ولم يسمع من بحيرا ولا غيره شيئاً من الدين، ولم يك أمره سراً هناك بل

كان معه شاهد في المرة الأولى وهو عمه أبو طالب، وشاهد في المرة الثانية وهو ميسرة غلام خديجة التي خرج الرسول ﷺ بتجارها أيامئذ.

ثالثاً: أن بحيرا الراهب لو كان مصدر هذا الفيض الإسلامي المعجز، لكان هو الأخرى بالنبوة والرسالة والابتداء لهذا الأمر العظيم.

رابعاً: أنه يستحيل في مجرد العادة أن يتم إنسان على وجه الأرض تعليمه وثقافته ثم ينضج هذا النضج الخارق للمعهود فيما تعلم وتثقف، بحيث يصبح أستاذ العلم كله لمجرد أنه لقي مصادفة أو اتفاقاً راهباً من الرهبان مرتين.

خامساً: أن طبيعة الدين الذي ينتمي إليه بحيرا تأبى أن تكون مصدراً للقرآن وهدايته، خصوصاً بعد ما أصاب هذا الدين ما أصاب من تغيير وتحريف^(١).

فكيف يتصور أن غلاماً في هذا السن الصغير أن يحفظ كتاباً بحجم القرآن الكريم في أيام معدودات، وهل نسي هؤلاء أن القرآن الكريم تميز عن الكتب السابقة في أنه لم ينزل جملة واحدة؟

بل كان ينزل حسب الأحداث، فإن كان الرسول ﷺ تعلم القرآن من بحيرا، فلماذا حين سئل عن أهل الكهف بعد أن أعطاه الله النبوة، لم يجب السائلين حين سأله إلا بعد ما يقارب الشهر؟!

ولماذا لم يجب الرسول ﷺ حين رميت الطاهرة العفيفية عائشة في حادثة

الإفك؟!

(١) علامات النبوة - عبد الملك علي الكليب - ص ٤٢: ٤١.

ولماذا انتظر هذه الفترة، وقد اتهم في عرضه؟!

إن المنصفين من الغرب وقفوا طويلاً عند هذه الحادثة وأجزموا بصدق القرآن وبرسالة النبي محمد ﷺ فلو كان القرآن من عنده لقال كلاماً يدافع به عن زوجته، ولكنه سكت حتى نزل القرآن مبرئاً السيدة الطاهرة - زوج رسول الله ﷺ وأم المؤمنين - عائشة بنت الصديق.

وهناك أمثلة كثيرة تثبت أن القرآن الكريم نزل على فترات متفاوتة بحسب الأحداث، في وقت لم يقابل فيه الرسول ﷺ بحيراً ولا غيره.





مرحلة الشباب

عاش النبي ﷺ قبل النبوة في مجتمع جاهلي، ومع ذلك كان لهم رصيد من الصفات الحسنة مكتسبهم من البقاء دون أن يتعرضوا للهلاك أو المقت من الله ﷻ؛ فعاش ﷺ على بصيرة من أمره؛ فكان أحسنهم خلقاً، وأعظمهم حليماً وأكثرهم كرمًا، وأصدقهم حديثاً؛ وأوفاهم عهداً، وأحفظهم أمانة؛ حتى أسموه (الصادق الأمين) فشارك قومه في محاسنهم؛ واعتزلهم فيما كانوا ينتهكون من حرمان؛ فقد حماه الله من اللهو، والزنا، ومن شرب الخمر، ومن السجود للأصنام، وما عزم رسول الله ﷺ على أمر من أمور الجاهلية إلا عصمه الله منه. لذا كان الرسول ﷺ قبل البعثة، صاحب فطرة سليمة، وصاحب سلوك قويم وصاحب سيرة طيبة.

ولعل أبرز ما قام به النبي ﷺ من أعمال خلال هذه الفترة ما يلي:
أولاً: عمل النبي ﷺ في فترة صباه برعي الغنم، ولا شك أن هذه المهنة قد مارسها الأنبياء جميعاً قبل رسول الله ﷺ ورعي الغنم يعلم الإنسان الكثير من الصفات التي تتشابه في صفات ولي الأمر، فمنها أن الغنم ضعيف يحتاج دائماً إلى من يهتم به في مأكله ومشربه وحمايته، لأنه لو ترك بدون أكل ضعف جسمه

ولوترك دون ماء مات من العطش، ولو ترك دون حماية أكلته السباع، لذا يجب على الراعي أن يكون صبوراً، ورحيماً، وفطناً، وشجاعاً؛ حتى ينجح في مهمته على الوجه المطلوب. وهي مهنة تعلم صاحبها التفكير في كون الله الفسيح حيث لا يجد الإنسان أنيس ولا جليس، وينظر فيما حوله فلا يجد إلا الفضاء الممتد بحيث لا تدركه الأبصار، هنا يدرك أن لهذا الكون إله، لذا العربي البسيط اهتدى إلى التوحيد قبل أن يبلغ الرسالة من نبي، أو من غيره، حيث قال: سماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج، ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير.

ولا شك أن العمل في أي مهنة شريفة مهما قل الكسب فيها، خير من أن يعيش الإنسان عالة على غيره من الناس، أو يتسول في الطرقات لكي يعيش. ولا شك أيضاً أن العمل الحر للداعية إلى الله تعالى أعون له على دعوته وأقوم له على أن يقول الحق، ويصدع به، وكم من الناس يُطاطئون للطغاة ويسكتون على باطلهم، ويجارونهم في أهوائهم خوفاً على وظائفهم عندهم، إنهم يدهنون في دينهم، ويبيعون دينهم بديناهم، بل يصل الانحراف إلى صميم عقيدتهم حين يرون هؤلاء الطغاة يرزقون أو يمنعون رزقاً، والرازق هو الله^(١).

١ - فقه السيرة النبوية - منير محمد غضبان - ص ٩٣ .

ثانياً: قامت حرب الفجار في الأشهر الحرم، وأيام الفجار أربعة:

١. الفجار الأول: كان بين كنانة وهوازن.
٢. الفجار الثاني: كان بين قريش وكنانة.
٣. الفجار الثالث: كان بين كنانة وبني نضر بن معاوية.
٤. الفجار الرابع: كان بين قريش وكنانة كلها، وهوازن (قيس بن عيلان)، وشهد النبي ﷺ الفجار الأخير وهو ابن خمسة عشرة سنة^(١).

ثالثاً: شهد رسول الله ﷺ حلف الفضول^(٢)

قال السهلي: (وكان حلف الفضول بعد الفجار، وذلك أن حرب الفجار كانت في شعبان وكان حلف الفضول في ذي القعدة قبل المبعث بعشرين سنة وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به وأشرفه في العرب. وكان أول من تكلم به ودعا إليه الزبير بن عبد المطلب، وكان سببه أن رجلاً من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصي بن وائل وكان ذا قدر بمكة وشرف فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدي الأحلاف (عبد الدار ونخزوماً وجمح وسهما وعدي بن كعب) فأبوا أن يعينوه على العاصي بن وائل وانتهروه فلما رأى الزبيدي الشر

(١) - أطلس السيرة النبوية - د- شوقي أبو الخليل - ص ٥٣.

(٢) - حلف الفضول: هو حلف عقدته قريش وتعاهدوا على نصره المظلوم من أهل مكة أو غيرهم ممن يأتي إلى مكة.

أوفى على أبي قبيس^(١) عند طلوع الشمس وقريش في أنديتهم حول الكعبة فصاح بأعلى صوته:

يا آل فھر لمظلوم بضاعته يبطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته يا للرجال وبين الحجر والحجر
إن الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب، وقال ما لهذا مترک فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة في دار ابن جدعان، فصنع لهم طعاما، وتحالفوا في ذي القعدة في شهر حرام قياما، فتعاقدوا، وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه ما بل بحر صوفة وما رسا حراء وثبير مكانها، وعلى التأسي في المعاش فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول وقالوا: لقد دخل هؤلاء في فضل من الأمر ثم مشوا إلى العاصي بن وائل فانزعوا منه سلعة الزبيدي فدفعوها إليه^(٢).

وكان رسول الله ﷺ مؤيدا لهذا الحلف الذي يمثل بارقة أمل في مجتمع ساد فيه منطق القوة، والسطوة، على منطق العدل والرحمة. لذا يجب مساعدة الجمعيات التي تهتم بالدفاع عن حقوق المظلومين في كل مكان من أرض العالم، دون النظر إلى العرق أو اللون أو الدين، ويا جبذالو

(١) - جبل يشرف على الحرم.

(٢) الروض الآنف - للسهيلى ج ١ ص ٢٥٠.

كانت هذه المنظمات، لا تخضع في عملها لميول سياسية معينة، فيكون العمل خالصاً لوجه الله الكريم.

إننا نستخلص من خلال دراسة مرحلة الشباب عند رسول الله ﷺ..

١. أن للداعية أن يعتمد في معيشتة على جهده الشخصي أو مورد شريف لا استجداء فيه، ولا ذلة، ولا مهانة.

٢. وأن الدعاة الصادقين الشرفاء يربئون بأنفسهم أن يعيشوا من صدقات الناس واعطيّاتهم.

٣. أن استقامة الداعية في شبابه وحسن سيرته، أدعى إلى نجاحه في دعوته وإصلاح الأخلاق، ومحاربة المنكرات^(١).



(١) السيرة النبوية - دروس وعبر - د- مصطفى السباعي - ص ٣٩.



الزواج المبارك

الزوجة الصالحة هي خير متاع الحياة الدنيا كما أخبر الصادق المصدوق صلوات ربي وسلامه عليه، ولقد هيا الله ﷺ لنبيه وحيبيه - محمد ﷺ الزواج في سن الخامسة والعشرين من امرأة رزان هي السيدة خديجة بنت خويلد ﷺ وهي أولى أزواج النبي ﷺ.

ولا خلاف بين أهل السير والعلم بالأثر أن أزواجه ﷺ اللاتي دخل بهن إحدى عشرة امرأة. ست من قريش، وأربع عربيات، وواحدة من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران وهي صفية بنت حيي بن أخطب^(١).
ويظهر الجدول التالي ملخص لحياة أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن جميعاً.

١ - أمهات المؤمنين - محمد متولى الشعراوي - ص ١٢٠ - ٠

مكان دفنهن	عام الوفاة	مدة بقاها في مكة النبي	عمر النبي ﷺ		وقت الزواج	عام النكاح	شهر النكاح	أسماء الأزواج	رقم
			سنة	شهر					
مكة المكرمة	١٠هـ من البعثة	٢٥	٢٥	-	٤٠	٥٩٥م	بعد شهرين من رحلة الشام تجارها	عديجة بنت خويلد	١
البيج بالمدية	١٩هـ	١٤	٥٠	-	٥٠	١٠هـ من البعثة	شوال	سودة بنت زمعة	٢
البيج بالسبية	٥٧هـ	٩	٥٣	٧	٦ ودخلها وصهرها ٩ سنوات	١١هـ	شوال	عائشة بنت أبي بكر الصديق	٣
البيج بالمدية	٤١هـ	٨	٥٥	٥	٢٢	٣٣هـ	شعبان	حفصة بنت عمر بن الخطاب	٤
البيج بالمدية	٣هـ	٣ و قبل ٨ أشهر	٥٥	٦	٣٠	٣٣هـ	رمضان	زينب بنت خزيمة	٥
البيج بالمدية	٦٠هـ	٧	٥٦	٧	٢٩	٤٤هـ	شوال	أم سلمة هند بنت أبيه	٦
البيج بالسبية	٢٠هـ	٦	٥٧	٨	٣٦	٥٥هـ	في القعدة	زينب بنت جحش	٧
البيج بالمدية	٥٦هـ	٦	٥٨	٥	٢٠	٤٦هـ	شعبان	جويرية بنت الحارث	٨
البيج بالمدية	٤٤هـ	٦	٥٨	١١	٣٦	٤٧هـ	الحرم	أم حبيبة رمة بنت أبي	٩
البيج بالمدية	٥٠هـ	٣٠٩ أشهر	٥٩	٢	١٧	٤٧هـ	جاء في الآخر	صفية بنت حيي بن أخطب	١٠
سرف قرب مكة	٥١هـ	٣٠٤ أشهر	٥٩	٧	٣٦	٤٧هـ	في القعدة	مهبرة بنت الحارث	١١

• توفيت اثنتان في حياة النبي ﷺ هن ..

١. خديجة بنت خويلد.

٢. زينب بنت خزيمة.

غير العربيات منهن: صفية بنت حيي بن أخطب.

• القرشيات منهن ..

١. خديجة.

٢. عائشة.

٣. حفصة.

٤. أم حبيبة.

٥. أم سلمة.

٦. سودة.

السرايري منهن: مارية القبطية وريحانة بنت زيد النضرية أو القرظية.

• أبناء الرسول ﷺ جملة ما انفق عليه ستة (ذكران: القاسم وإبراهيم)

وأربع بنات هن: (زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة) وقيل عبد الله هو

الملقب بالطاهر - الطيب) وقد مات القاسم وعبد الله قبل البعثة.

• صداقهن: ٤٠٠ درهم ما عدا خديجة عليها السلام كان صداقها عشرون ناقة، وأم سلمة عليها السلام كان صداقها فراشاً وقدحاً وصفحة.^(١)

السيدة خديجة بنت خويلد عليها السلام كانت سيدة نساء مكة، وهي سيدة نساء العالمين، وكانت تبحث عن الكمال البشري من خلال البيئة المحيطة بها، فرأت الحديث عن نبي يصطفيه الله تعالى من أهل الأرض، ومن خلال القرائن المتعددة، وما سمعته من ابن عمها ورقة بن نوفل وغيره، كل هذه الأمور جعلتها تتجاوز الكهان والشعراء، والقيادات المحلية ليكون محط نظرها ذلك النبي المصطفى من الله.^(٢)

قال ابن هشام: (كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجراً، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام يقال له ميسره)^(٣) وفي هذه الرحلة رأى غلامها ميسرة من صدق النبي ﷺ، وكرم أخلاقه ما جعله ينقل ما رآه، وما سمعه إلى سيدته خديجة بنت خويلد عليها السلام، وكانت وقتئذ أرملة قد بلغت الأربعين من العمر، غير أن الجاه، والعز وراحة البال تضيفي على صاحبها نوعاً من البهاء والأناقة في

(١) للمزيد: الروض الأنف - البداية والنهاية - زاد المعاد - الرحيق المختوم - الرحمة المهداة لإبي القيس المدني.

(٢) التريية القيادية السابقون الأولون من المهاجرين - منير الغضبان - ص ٧٣.

(٣) سيرة بن هشام ج ١ ص ٢١١.

كثير من الأحيان، يرى الشخص أقل من عمره بعشرات السنين، وهذا بعكس البائس الفقير الذي أتعبته الحياة فأخذت منه وأعطت، فترى علامات الكبر قد بدت على محياه، وجسده.

وامرأة كالسيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها لا بد أن تكون مطمئناً لكثير من الخطاب قبل رسول الله ﷺ لأن الكثير من الناس يعجبه هذا الصنف الغني من النساء، لذا جاء الكثير من الناس لخطبتها فردتهم جميعاً؛ لأنها لم تجد فيهم الكفاء الذي ترضى به زوجها لها، وحينها وجدت هذا الكفاء فإنها لم تتردد في بث ما في نفسها إلى رفيقة دربها وصديقتها - نفيسة بنت منبه - لتكلم رسول الله ﷺ في أمر الزواج منها، فلم تتردد السيدة - نفيسة بنت منبه - من الحديث إلى رسول الله ﷺ، وقد يكون التلميح غني عن التصريح في هذه المواقف، فوجدت أن النبي ﷺ لا يمانع من الزواج بخديجة رضي الله عنها فالطيبات للطيبين، ثم شرع الأهل في إتمام هذا الزواج المبارك، لتبدأ بعد ذلك مرحلة من الحب المتبادل بين الزوجين، لتمتد هذه الرحلة قرابة الخمسة والعشرين عاماً، رزقا خلالها بالبنين والبنات وهم: (القاسم، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة، وعبد الله) ورزق من غيرها بإبراهيم من السيدة مارية القبطية، ولم يرزق من سائر نسائه بأولاد.

وشاءت إرادة الله ﷻ أن يموت جميع أولاده في حياته إلا فاطمة الزهراء زوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث ماتت بعد وفاة الرسول ﷺ بستة أشهر.

وأما أول زوجات الرسول ﷺ لحوقاً به بعد موته، فقد كانت السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها، وآخرهن لحوقاً برسول الله ﷺ هي السيدة ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها.

ومن خلال زواج الرسول ﷺ بالسيدة خديجة رضي الله عنها فإنه ينبغي علينا أن نركز على بعض العبر ومنها:

١. أن عامل السن في الزواج في حالة الكفاءة، ورجحان العقل لا يفسد الحياة الزوجية.

٢. المرأة إذا وجدت لها الكفاء فلا مانع أن تطلب منه الزواج.

٣. على المرء أن يكون وfia لأهله في جميع أحواله وأفعاله.

٤. أن عمل الرجل في مال زوجته لا شيء فيه، وعليه أن يتقي الله تعالى ويكون على قدر المسؤولية.

٥. أن الصدق، والأمانة من صفات الأنبياء والمرسلين، وحرى بالمرء أن يتمثل بهما، وهى صفات تجعل صاحبها عزيزاً في قومه، ينظر إليه باحترام كبير، خاصة في الأوقات التي تضيع فيها الأمانة ويخاف الناس عليها، لذا أخبر النبي ﷺ أنه (إذا ضيعت الأمانة فانتظروا الساعة).

٦. ينبغي غرس صفة الأمانة في نفوس أبنائنا منذ الصغر حتى يتعودوا عليها فلا تمتد أيديهم إلى أموال غيرهم من أفراد، أو أموال عامة عند الكبر.

٧. سنت السيدة خديجة بنت خويلد بزواجها من رسول الله ﷺ منذ ما يزيد عن ألف وأربعمائة سنة ترفع من قدر المرأة، وتعلي مكانتها، فإنها كما كانت تتمسك بحقها في أن تدير أمورها، وتشرف بنفسها على تجارتها، فقد تمسكت بحقها في اختيار شريك حياتها، وانتقاء الرجل الصالح الذي أحبت أن يكون أبا لأولدها منه.
٨. إنها لم تبني اختيارها على أساس انتقاء الرجل الموسر، ولكنها آثرت اختياره لكرم خصاله، ومتانة خلقه، وحسن سيرته^(١).



(١) خديجة أم المؤمنين - عبد المنعم محمد عمر - ص ٤٦.



بناء الكعبة المشرفة

لما بلغ رسول الله ﷺ الخامسة والثلاثين من العمر قامت قريش ببناء الكعبة، فلما بلغ البناء موضع الحجر الأسود، أرادت كل قبيلة أن تحظى بشرف وضع الحجر الأسود في مكانه، وكادوا أن يقتتلوا على ذلك، ثم أجمعوا أمرهم أن يحكموا أول الداخلين عليهم، فطلع عليهم رسول الله ﷺ فقال لهم ضعوا الحجر في ثوب، ثم أمرهم أن يرفعوه حتى إذا أوصلوه إلى موضعه أخذه رسول الله ﷺ فوضعه في مكانه، وبذلك جنب أهله القتال برجحان عقله، وحسن تصرفه ﷺ.

قال الدكتور البوطي: بنيت الكعبة خلال الدهر كله أربع مرات ييقين ووقع الخلاف والشك فيما قبل هذه المرات الأربع:

فأما المرة الأولى منها: فهي التي قام بأمر البناء فيها إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - يعينه ابنه إسماعيل - عليه الصلاة والسلام - وذلك استجابة منه لأمر ربه - جل جلاله - ثبت ذلك بصريح الكتاب والسنة الصحيحة، أما الكتاب فقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ

وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧].

وأما السنة فأحاديث كثيرة، منها ما رواه البخاري بسنده عن ابن عباس، وجاء فيه: (.. ثم قال - أي إبراهيم - يا إسماعيل: إن الله أمرني بأمر قال: فاصنع ما أمرك به ربك ' قال وتعيني؟ قال: وأعينك ' قال فإن الله أمرني أن أبني ههنا بيتا، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال فعند ذلك رفعوا القواعد من البيت ' فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني). صحيح البخاري

وأما المرة الثانية: فهي تلك التي بنتها قريش قبل الإسلام، واشترك في بنائها الرسول ﷺ كما ذكرنا ' فجعلوا طولها في السماء ثنائي عشر ذراعا، ونقصوا من طولها في الأرض ستة أذرع وجزءاً من الذراع تركوها في الحجر. وفي ذلك يقول الرسول ﷺ فيما روته عائشة: يا عائشة لولا أن قومك حديثوا عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه وألزقته بالأرض وجعلت له بابا شرقيا وبابا غربيا فبلغت به أساس إبراهيم.

وأما المرة الثالثة: فقد كانت عندما احترق البيت زمن يزيد بن معاوية حين غزتها جيوش من أهل الشام، وخلاصة ذلك أنهم حاصروا عبد الله بن الزبير بمكة بقيادة الحصين بن نمير السكوني في آخر سنة ست وثلاثين، بأمر من يزيد، ورموا البيت بالمنجنيق، فتهدم واحترق، فانتظر ابن الزبير حتى قدم الناس الموسم ' فاستشارهم قائلا: أيها الناس أشيروا عليّ في الكعبة، أنقضها ثم

والثابت أيضاً أن في عام (١٠٤٠هـ الموافق ١٦٣٠م) أعاد السلطان مراد خان العثماني بناء الكعبة بعد أن تصدعت، وسقط أحد جدرانها بسبب مطر غزير سقط على مكة تسبب عنه سيول عظيمة أضرت ببناء الكعبة^(١).



١ - تأملات في سيرة الرسول x - د- محمد السيد الوكيل - ص ٢٩: ٣٠



**من البعثة
إلى الهجرة**





غار حراء وبهاء الوحي

غار حراء: هو الغار الذي كان يقضي فيه رسول الله ﷺ الليالي ذوات العدد متأملاً في ملكوت خالق الأرض والسموات، ومنقطعاً عن حياة الجاهلية وما فيها من معاص ومنكرات، ويقع هذا الغار في الجبل المسمى - بجبل النور - والذي يشرف على مكة المكرمة، ويبعد عن المسجد الحرام بنحو أربعة كيلو مترات مربعة تقريباً من ناحية الشمال الشرقي ويكون على يسار الذهاب من مكة المكرمة إلى عرفات .



جبل النور



غار حراء

ومما لا شك فيه أن حياة رسول الله ﷺ في قومه قبل البعثة تدل على أن الله قد اصطفاه لرسالته، فعرف بين قومه بالصادق الأمين، وحفظة الله كذلك فلم يشرب الخمر كما كانوا يشربون، ولم يسجد لصنم كما كانوا يسجدون، بل كان يميل للعزلة فراراً بنفسه من مفاسد الجاهلية وأهلها، فلما أتم الأربعين من عمره نزل عليه الوحي في غار حراء بالبشارة التي جاءت على لسان رسل الله السابقين، فقد جاء في التوراة في السفر الخامس: (أقبل من سيناء، وتجلي من ساعير، وظهر من جبال فاران)، وهذا السفر يتضمن البشارة بالنبوات الثلاث نبوة موسى، ونبوة عيسى، ونبوة محمد - صلوات ربي وسلامه عليهم جميعاً - فمجيئه من سيناء أي الجبل الذي كلم عليه موسى، وأخبار عن نبوته، وتجليه

بِالْقَلَمِ الْآيَاتِ إِلَى قَوْلِهِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَرْجُفُ
 بَوَادِرُهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ. فَقَالَ: زَمِّلُونِي^(١) زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ
 الرَّوْعُ قَالَ لِحَدِيجَةَ أَيْ خَدِيجَةَ مَا لِي لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ قَالَتْ
 خَدِيجَةُ: كَلَّا أَبْشُرُ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَصْدُقُ
 الْحَدِيثَ وَتَحْمِلُ الْكُلَّ^(٢) وَتَكْسِبُ الْمُدُومَ وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ
 فَاَنْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةَ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا
 وَكَانَ امْرَأً تَصَرَّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ وَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ
 بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ
 عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ.

قَالَ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟

فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى.

فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ
 حَيًّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ مَخْرَجِي هُمْ.

قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا أُوذِيَ وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَكَ حَيًّا
 أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُؤَيَّ وَفَتَرَ الْوَحْيَ فِتْرَةً حَتَّى حَزَنَ

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(٣). رواه البخاري

(١) - أي غطوني.

(٢) - الفقير الذي يحتاج إلى مساعدة.

(٣) - رواه البخاري - كتاب الوحي - رقم الحديث ٤٥٧٢.

والجمال والحسب ما أوتيت، إنه يحتاج إلى زوجة تدرك واجب الدعوة وأهميته، وتدرك تمامًا ما يقوم به الزوج وما يتحمله من أعباء، وما يعانیه من مشاق، فتقف إلى جانبه تيسر له مهمته وتعينه عليها، لا أن تقف عائقًا وشوكة في طريقه^(١).

إن المرأة الصالحة لها أثر في نجاح الدعوة، وقد اتضح ذلك في موقف خديجة رضي الله عنها وما قامت به من الوقوف بجانب النبي صلى الله عليه وسلم وهو يواجه الوحي لأول مرة، ولا شك أن الزوجة الصالحة المؤهلة لحمل مثل هذه الرسالة لها دور عظيم في نجاح زوجها في مهمته في هذه الحياة، وبخاصة الأمور التي يعامل بها الناس وإن الدعوة إلى الله تعالى هي أعظم أمر يتحمله البشر، فإذا وفق الداعية لزوجة صالحة ذات كفاءة فإن ذلك من أهم نجاحه مع الآخرين، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»^(٢).

(١) انظر السيرة النبوية للصلاحي ص ٦٧ نقلاً: وقفات تربوية من السيرة النبوية، للبلالي ص ٤٠.

(٢) رواه مسلم رقم ١٤٦٧، ص ١٠٩٠، كتاب الرضاع.



البعثة

كانت بعثة الرسول ﷺ ميلاداً جديداً للعالم التائه في ظلمات الجهالة والشرك، وميلاداً جديداً لأمة العرب التي غابت عن صنع القرار السياسي لها ولغيرها، ولم يكن لها الوزن الاقتصادي المؤثر في سياسة العالم، ولم يكن لها عقيدة موحدة تجتمع عندها وتتوحد ليكون لها وزن بين العالمين، فشاء الله ﷻ أن يمن عليهم ويمكن لهم، ويجعلهم أئمة ويجعلهم الوارثين، فبعث رسوله وحبيبه محمد ﷺ من هذه الأمة.

ومن ينظر إلى دعوة الإسلام ليجد أنها مرت بمرحلتين أساسيتين:

المرحلة الأولى: وتسمى المرحلة المكية وانقسمت بدورها إلى قسمين:

القسم الأول: الدعوة السرية لمدة ثلاث سنوات.

يقول الأستاذ صالح أحمد الشامي: على أننا على يقين من أن الرسول ﷺ

لم يستخف بدعوته في يوم من الأيام منذ كلف بها، وإن كانت في البدئ موجهة

إلى من يتوسم بهم الاستجابة، وهذا يفسر لنا عدم تظاهر قريش بالعداوة من

اليوم الأول، وإنما استمعت، وسكتت، ولعلها ظنت النبي ﷺ واحداً من

المتألمين الذين عرفوا قبله. أمثال زيد بن عمرو بن نوفل، والذين لم يقف أحداً في وجههم بل تركوا وشأنهم^(١).

أما الدكتور محمد السيد الوكيل فله رأى آخر حيث يقول:

الفترة السرية ضرورة في مثل الظروف التي بعث فيها الرسول ﷺ فقد جاءهم بدين لم يعرفوه، وبأدأهم بأمر لم يألفوه، فلو أنه واجههم به لأول وهلة لحالوا بينه وبين الاتصال بالناس، ولم يمكنوه من تبليغ دعوته، وحينئذ لم تتوفر لديه فرصة الالتقاء بمن آمنوا به ليعلمهم، ويفقههم في الدين، ويربيهم التربية التي تؤهلهم للنهوض بالعبء الضخم الذي ينتظرهم^(٢).

القسم الثاني: الدعوة الجهرية من السنة الرابعة إلى الهجرة.

وكان أبرز خصائص هذه المرحلة التضحية والفداء وتحمل الإيذاء والثبات على الحق كما سيأتي بيانه إن شاء الله.

وإننا نلاحظ أن مراحل الدعوة المحمدية، والتي بدأت بالدعوة سرًا لمدة ثلاث سنوات، ثم إنذار العشيرة، ومكاشفة المجتمع المكي بهذه الحقيقة، إنما هي في حقيقتها عملية تدرج، وتقدم للدعوة إلى الأمام خطوة بخطوة، وذلك لإرساء قواعدها في المجتمع على أسس راسخة، وثابتة ممثلة في الصفوة المختارة من أصحاب العقول النيرة، والقلوب الطيبة والنفوس الخيرة، كأبي بكر

(١) السيرة النبوية - أمة وبناء ودلة - صالح أحمد الشامي ص ١٩.

(٢) تأملات في سيرة الرسول ﷺ - د محمد السيد الوكيل - ص ٤١ : ٤٢.

الصديق ﷺ، وأولئك الأخيار السابقين إلى الإسلام من الصحابة الكرام ﷺ وأرضاهم^(١).

المرحلة الثانية: وتسمى المرحلة المدنية وانقسمت بدورها إلى عدة أقسام يمكن حصرها فيما يلي:

١. تقوية صلة المسلمين بربهم، وتطبيق الشريعة.

٢. المؤاخاة بين أتباع العقيدة.

٣. دستور المدينة.

٤. الغزوات.

٥. الدعوة خارج شبه الجزيرة العربية.

٦. الوفود المسلمة.

٧. إتمام النعمة، واكتمال الدين.



(١) الأسلوب النبوي في الدعوة - د- الشريف حمدان راجح الهجاري - ص ٤٦٤ / ٤٦٥.



الدعوة السرية

ويقصد بها الدعوة الفردية حيث كان الرسول ﷺ يعرض نفسه على الأفراد، فمنهم من يؤمن ومنهم من يكفر، وكان ممن شرح الله صدره للإسلام في بداية هذه المرحلة (خديجة بنت خويلد، أبوبكر الصديق، علي بن أبي طالب زيد بن حارثة، عمار بن ياسر وأبوه وأمه، وبلال بن رباح، وصهيب الرومي وعبد الله بن مسعود، ومن خارج مكة أبو ذر الغفاري) ، وأسلم علي يد أبوبكر الصديق (الزبير بن العوام - وعثمان بن عفان - طلحة بن عبيد الله - سعد بن أبي وقاص - وعبد الرحمن بن عوف، وأبو عبيدة بن الجراح) وهم من العشرة المبشرين بالجنة، ثم أسلم مصعب بن عمير، وكانت أمه غنية، فلم يمنعه المال من اتباع الحق، وأمن أيضاً، خباب بن الأرت وتحملوا جميعاً الأذى في سبيل نصره الدين .

وفي هذه المرحلة كان الفقراء أسرع الناس استجابة لدعوة الرسول ﷺ وليس هذا بمستغرب، فلقد كان حال الأنبياء والمرسلين كذلك فقوم نوح ﷺ يقولون

له: ﴿ قَالُوا أَنْوْمُنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدُلُونَ ﴾ [الشعراء: ١١١]

و فرعون وقومه يقولون لموسى وهارون عليهما السلام كما ذكر القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المؤمنون: ٤٥-٤٧]

وأغنياء الكفار يقولون لرسول الله ﷺ إن أردت ان نسمع لك ونتبعك فاطرد الفقراء أمثال بلال بن رباح وعبد الله بن مسعود وغيرهما من الفقراء فقال الله ﷻ لرسوله وحببيه ﷺ ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطْرُدْهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: ٥١-٥٢]

وقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ دِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٦٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨]

وكان الصحابة يجتمعون في دار الأرقم بن أبي الأرقم سرّاً خوفاً من عيون الكفار وكان اختيار دار الأرقم لعدة أسباب منها:

١. أن الأرقم لم يكن معروفاً بإسلامه، فما كان يخطر ببال أحد أن يتم لقاء محمد ﷺ وأصحابه بداره.

وكما أسلفنا فإن هذه المرحلة امتدت ثلاث سنوات، وكان رجالها من الجيل الفريد الذي اصطفاه الله لحمل راية التوحيد، فصبروا على ما أذوا، وتحمل معهم نبيهم جزءاً من الابتلاء حتى أنعم الله عليهم بالعزة والتمكين، وإليك حكمة الابتلاء وفوائده:

للابتلاء حكم كثيرة من أهمها:

١. تصفية الصفوف.
٢. تربية الجماعة المسلمة.
٣. الكشف عن خبايا النفوس.
٤. الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة.
٥. معرفة حقيقة النفس.
٦. رفع المنزلة والدرجة عند الله، وتكفير السيئات^(١).



(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - د. علي محمد الصلابي - ج ١ ص ٨٥.



صيحة الحق من على جبل الصفا

أخرج البخاري وغيره من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) صَعِدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي يَا بَنِي فِهْرٍ يَا بَنِي عَدِيٍّ لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ فَجَاءَ أَبُو هَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنتُمْ مُصَدِّقِيَّ قَالُوا نَعَمْ مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا قَالَ فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ فَقَالَ أَبُو هَبٍ تَبًّا لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ أَهْدَا جَمَعْتَنَا فَنَزَلَتْ تَبَّتْ يَدَا أَبِي هَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ^(١).

ولما كان المولى صلى الله عليه وسلم أعد نبيه لتحمل التعبات، والصبر على المكاره والملمات، فإنه صلى الله عليه وسلم تفضل على الصحابة الكرام بغرس الثقة في قلوبهم فهانت عليهم الدنيا، وصغرت في نفوسهم، فقدموا أرواحهم رخيصة، واشتروا بها ما عند الله.

(١) صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن - باب وأنذر عشيرتك القربين - رقم الحديث - ٤٣٩٧.

لذا فإن طريق الدعوة إلى الله يحتاج إلى رجال، صدقوا مع أنفسهم
وربهم، لأن طريق الدعوة مليء بالعقبات والابتلاءات، ولا يعين السائر فيه
على تحطّي الصعاب إلا بالثقة بنصر الله ﷻ وباليقين أن العاقبة لهذا الدين.
وإن الإيمان إذا خالط القلوب؛ فإنه يحول الخوف أمناً وسكينة، فترى
صاحب المهمة العالية يصبر، ويحتسب لأن الأمر كله لله.
وأن الداعية إذا علم الله صدق نيته، فإنه يهيئ لدعوته قلوب عباده المخلصين
فتتلقاها، وتضحى في سبيلها بكل غال ونفيس.



وقال: ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَرْلَفُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ [القم: ٥١]

ثانياً: التعرض للرسول ﷺ بالسب، والإيذاء الجسدي بوضع الشوك في طريقه ووضع سلى الجزور على ظهره، وهو ساجد، ومحاولة خنقه وقتله بإلقاء حجر على رأسه، والتآمر على الخلاص منه في بيته وهو نائم فنجاه الله ﷺ.

قال ابن اسحاق: (كان العاص بن وائل السهمي إذا ذكر رسول الله ﷺ قال: دعوه فإنما هو رجل أبتز لا عقب له، لو قد هلك قد انقطع ذكره، فاسترحنا منه، فأنزل الله ﷺ: ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۝۱ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ ۝۲ إِنْ شِئْتَ إِنَّكَ لَمَبْتَرٌ ۝۳ ﴾ [الكوثر: ١-٣]

وقال الذهبي: (قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قيل: نعم، فقال: والآت والعزى لئن رأيتَه يفعل ذلك لأطان على رقبته ولأعقرن وجهه، فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي ليطأ على رقبته، فما لبث أن نكص على عقبه، فقيل له: مالك؟ قال: إن بيني وبينه لخذقاً من نار، فقال رسول الله ﷺ: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً. أخرجه مسلم

ثالثاً: الإغراء بالمال والسلطان حيث ذهب الكفار إلى عمه أبا طالب للتوسط بينهم وبين رسول الله ﷺ وعرض السلطان عليه.

رابعاً: الضغط على العامل النفسي بتطبيق ابنتيه رقية وأم كلثوم من ابني أبي لهب حتى يفكر في أمرهما وينشغل بهما وتزيدان من أعبائه المادية بالإفناق عليهما.

خامساً: أسلوب المجادلة العقيمة، والطلبات المستحيلة، والأسئلة المعجزة لمحاولة إسقاطه، وأنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً مما يطلبونه.

سادساً: المساومة للالتقاء في وسط الطريق فأنزل الله ﷻ قوله: ﴿ قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عٰبِدُ مَا عٰبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِ ﴿٦﴾ ﴾ [الكافرون: ١-٦].

سابعاً: الاحتقار والنظرة الدونية، وأنه لا يستحق مثله تلك المنزلة.

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هٰذَا الْفُرْقٰنُ عَلٰى رَجُلٍ مِّنَ الْفَرِيقَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهْمَرِ يٰقَسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٠-٣٢].

ثامناً: محاولة زرع الفرقة والاختلاف بين الرسول ﷺ، واتباعه بمحاولة طرد الفقراء.

تاسعاً: إيقاف النفقة، وقطع الموارد الاقتصادية، وإتباع سياسة التجويع.

عاشراً: عقد مؤتمر لترتيب اغتيال النبي ﷺ^(١).

١ - أساليب قريش في مقاومة الدعوة - د. يحيى إبراهيم اليحيى - ص ٦٢-٧٠-٧٧-٨٥-١٠١-١٢٤.

أما ما لحق بالصحابة فيمكن إجماله فيما يلي:

- ١ . تعذيب كل من أسلم دون استثناء.
- ٢ . التلذذ بعذاب ضعفاء الصحابة كبلال، وأسرة آل ياسر، حيث نالت السيدة سمية بنت خياط الشهادة فهي أول شهيدة في الإسلام وكان الرسول ﷺ يمر على أصحابه وهم يعذبون، ويدعوهم إلى الصبر.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «أول من أظهر الإسلام سبعة، رسول الله ﷺ وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس، فما منهم إنسان إلا وقد اتاهم على ما أرادوا إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه في الله وهان على قومه فأعطوه الولدان، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد»^(١).

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث خباب بن الأرت قال
شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له ألا تستنصر
لنا ألا تدعو الله لنا قال كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه
فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين وما يصده ذلك عن دينه ويمشط

(١) مسند أحمد (٤٠٤/١) بإسناد حسن.

بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونََ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ وَاللَّهُ
لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّكِيبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ أَوْ
الذُّنْبَ عَلَى غَنَمِهِ وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ^(١).

وأما عثمان بن مظعون رضي الله عنه فقد كان أمنا في جوار الوليد بن المغيرة
حيث ظل يغدو في جواره أمنا مطمئنا، فلما رأى ما يصيب أصحاب النبي ﷺ
من البلاء، وما هو فيه من العافية أنكر ذلك على نفسه، وقال: والله إن غدوي
ورواحي أمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من
البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي^(٢)، فذهب إلى الوليد بن
المغيرة وقال له: يا أبا عبد شمس وفت ذمتك، وقد رددت إليك جوارك، فقال:
لم يا ابن أخي؟ فلعلك أوديت، أو انتهكت، قال: لا، ولكنني أرضى بجوار الله
تعالى ولا أريد أن أستجير بغيره، قال: فانطلق إلى المسجد فاردد علي جواري
علانية، كما أجرتك علانية، فانطلقا إلى المسجد فرد عليه جواره أمام الناس، ثم
انصرف عثمان إلى مجلس من مجالس قريش فجلس معهم، وفيهم لييد بن ربيعة
الشاعر ينشدهم فقال لييد: (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) فقال عثمان:
صدقت، واستمر لييد في إنشاده فقال: (وكل نعيم لا محالة زائل) فقال عثمان:
كذبت، نعيم الجنة لا يزول، قال لييد: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذى
جليسكم فمتى حدث هذا فيكم؟ فقال رجل من القوم: إن هذا سفية في سفهاء

(١) صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب علامات النبوة في افسلام - رقم الحديث ٣٣٤٣.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢/١٢٠).

معه قد فارقوا ديننا، فلا تجدن في نفسك من قوله، فرد عليه عثمان بن مظعون رضي الله عنه، فقام إليه ذلك الرجل فلطم عينه والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان، فقال: أما والله يا ابن أخي إن عينك لغنية عما أصابها، ولقد كنت في ذمة منيعة، فقال عثمان: والله إن عيني الصحيحة لفقيرة إلى مثل ما أصاب أختها في الله، وإني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر ^(١).

خامساً: استعمال اللهو لصد الصحابة عن الدعوة، حيث تفيد الروايات أن النضر كان قد اشترى قينات ^(٢)، فكان لا يسمع برجل مال إلى النبي ﷺ إلا سلط عليه واحدة منهن، تطعمه وتسقيه، وتغني له، حتى لا يبقى له ميل إلى الإسلام ^(٣)، وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۖ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَكُنَّا مُسْتَكْبِرِينَ كَانُوا لَا يَسْمَعُهَا كَانُوا فِي أذُنَيْهِ وَقَرَأُوا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۗ ﴾ [لقمان: ٦-٧]

ولا شك أن الدروس والعظات في هذه المرحلة كثيرة ومتعددة أكثر من أن تحصيها الكلمات ويمكن التركيز على بعضها فيما يلي:

١. محاولات أهل الأهواء في تشويه صورة أهل الإيمان أسلوب قديم جديد فلا نجد داعية أخلص لله إلا وتعرض في نفسه أو ماله أو عرضه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) السير والمغازي لابن إسحاق، ص ١٧٨ : ١٨٠ . (٤) صحيح البخاري (٤/ ٢٦٥).

(٢) مغنيات ماجنات.

(٣) الرحيق المختوم - صفى الدين المباركفوري - ص ٧٤.

٢. أهل الباطل غالباً ما يلجئون إلى ذوي القربى لصد من يريدون عن السير في طريق الله، فيكلمون من له مكانة عنده، لعلمهم أنه قد يؤثر عليه ويثنيه عن الحق.

٣. كثيراً ما يتعرض الدعاة الصادقون بالتهديد في قطع أرزاقهم، وللأسف قد يستجيب بعضهم خوفاً على مستقبله أو أبنائه ومن يقوم على رعايتهم، ويؤثر السلامة، ولكن عليه أن يتذكر رسوله وحببيه ﷺ وصحابته الكرام، وكيف صبروا حتى جاءهم نصر الله.

٤. قد تعترى النفس البشرية لحظات من الضعف والخوف من شراسة الباطل ولكن من الضروري أن يكون القلب مطمئناً بالإيمان وهذا ما كان من أمر عمار بن ياسر رضي الله عنه حين أكره على الكفر غير أن قلبه كان مطمئناً بالإسلام.

٥. النساء هن دور كبير في نصره هذا الدين من اللحظة الأولى لقيام الدعوة وتحملن كما تحمل الرجال، ونالهن نصيباً من العذاب، وهن صابرات محتسبات كأمثال السيدة سمية، وزنيرة وغيرهن.

٦. أساليب الباطل لصد الدعاة عن الطريق الصحيح كثيرة متعددة فأحياناً يعرضون المناصب عليهم ليسكتوهم، وأحياناً يعرضون عليهم المال وأحياناً يرمون في طريق أحدهم امرأة ساقطة تستخدم كوسيلة ضغط عليهم وتشويه صورتهم بعد ذلك، فليحذر الدعاة من مكر الجبناء

لأنهم ليسوا في مأمن من مكرهم، إلا بالتمسك بما أمر به الله، وعلى أهل الباطل أن يتعلموا أن الدين لا يمكن المساومة عليه ولو بأموال الدنيا كلها.

٧. الله ﷻ يقبض من ينصره ورسله بالغيب رغم التضيق والحصار، فالله ﷻ قبض للمؤمنين دار الأرقم بن أبي الأرقم لاجتماعهم وتدير شؤونهم.

٨. رغم وضوح الحق إلا أن فئة من الناس تصم أذانها عنه وتتبع الباطل لذا فإن الهداية من الله تعالى القائل:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [٤]

[إبراهيم: ٤]

فأحيانا يرى المرء رجلاً أسرف على نفسه من المعاصي ويظن أن الأمل في هدايته أمراً مستحيلاً، وهذا خطأ كبير، فمن كان يظن أن رجلاً كحمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه الذي لا يعجبه من الحياة إلا الصيد وحياة الترف أن يتحول بعد إسلامه إلى أسد الله، ومن كان يظن أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الذي كان يبغض الإسلام أن يتحول إلى عمر الفاروق الذي أعز الله به الإسلام.

٩. هناك صنف من الناس يضعون أموالهم وأنفسهم في خدمة الدين فأبو بكر الصديق أنفق ماله في سبيل الله مرتين، وخصص ماله في الفترة المكية بإعتاق العبيد كعامر بن فهيرة (الذي شهد بدرًا وأحدًا، وقتل يوم

بئر معونة شهيداً)، وأم عُبَيْس، وزَنْبِرَة وأصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى، فقالت: «كذبوا

وبيت الله ما تضر اللات والعزى وما تنفعان، فرد الله بصرها»^(١)

وإذا كان المسلمون الأوائل قد تحملوا هذا الصراع بالصبر المرير، فإن المسلمين اليوم يمكن أن يتحملوا كما تحمل أسلافهم إذا استقاموا على الطريق، وأخلصوا النية، وإن الفرد الذي يخشى ما يقال عنه، ويخاف على نفسه من الدعاية لا يصلح للعمل.

وسيسقط على الطريق، ثم يكون مع الأعداء تدريجياً حتى ينحرف تماماً ويحق عليه القول، ويلقى جزاءه يوم الحساب، وإن سقط بعض الأفراد ليس دليل ضعف، وظاهرة مرض، وإنما ظاهرة صحة إذ تنقي الجماعة من الشوائب التي تعيق العمل، وتدفع إلى الكسل، وتدفع إلى المرض^(٢).



(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٣٢/٣) ورجاله ثقات.

(٢) خاتم الأنبياء والمرسلين - محمود شاكر - ص ٨٨-٨٩.





الهجرة إلى الحبشة

العام الخامس من البعثة

بعد أن تعرض المسلمون في مكة للاضطهاد الديني من قبل المشركين فكر الرسول ﷺ في ملاذ آمن للدعوة الإسلامية، فقد سدت آذان الكفار عن سماع كلمة التوحيد، فاستخدموا القسوة والرهبة والقتل والتشريد بدلاً من الحوار والمناقشة، وعندما علم الرسول ﷺ بأن في الحبشة ملك عادل لا يظلم عنده أحداً، فأشار إلى أصحابه بالهجرة إليه، وفي شهر رجب من العام الخامس من البعثة^(١)، خرج اثنا عشر رجلاً، وأربع نساء، وكان فيهم عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ومكثوا هناك في خير جوار غير أنهم لم يطب لهم العيش فرجعوا إلى مكة حيث لم تتيسر لهم الإقامة فيها لأنهم قليلوا العدد وفي الكثرة بعض الأُنس وأُضف إلى ذلك أنهم أشرف قريش ومعهم نساؤهم وهؤلاء لا يطيب لهم عيش في دار غربة بهذه الحالة^(٢).

(١) زاد المعاد- لابن القيم ١/ ٣٤.

(٢) نور اليقين في سيرة خاتم المرسلين، ص ٦٦.



وأما ما ورد في صحيح البخاري من حديث السود بن يزيد عن عبد الله - قَالَ أَوَّلُ سُورَةٍ أُتْرِكَتْ فِيهَا سَجْدَةٌ وَالنَّجْمِ قَالَ فَسَجَدَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَجَدَ مَنْ خَلْفَهُ إِلَّا رَجُلًا رَأَيْتُهُ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ فَسَجَدَ عَلَيْهِ فَرَأَيْتُهُ بَعْدَ ذَلِكَ قُتِلَ كَافِرًا^(١).

فإن هذا الحديث ليس فيه أدنى دلالة على أن الذين سجدوا معه هم مشركون، بل الذي يفيد قوله « فرأيته قتل كافرًا » أنه كان مسلمًا، ثم رأيته ارتد وهذا ما حصل من بعض ضعاف القلوب الذين لم يتحملوا الأذى فكفروا ومنهم علي بن أمية بن خلف^(٢).
يقول الدكتور محمد الوكيل:

إن عودة المسلمين المهاجرين من الحبشة لم تكن أبداً مبنية على أساس الهدنة التي وقعت بين المسلمين والمشركين نتيجة قصة الغرانيق المكذوبة في كون المشركون سجدوا لما سمعوا القرآن، وإنما كانت مبنية على ما وصل إلى المسلمين من أنباء إسلام حمزة وعمر، وما آلت إليه الظروف التي يعيشها المسلمون في مكة مما شجع المهاجرين في العودة إلى وطنهم وعشيرتهم^(٣).

ولما لم يجد المسلمون المعاملة الطيبة من قريش عادوا إلى الحبشة مرة أخرى، وكان عدده من خرج في هذه المرة ثلاثة وثلاثين رجلاً، إن كان فيهم عمّار

(١) صحيح البخاري - كتاب تفسير القرآن - باب فاسجدوا لله واعبدوا - رقم الحديث ٤٤٨٥.

(٢) نور اليقين في سيرة خاتم المرسلين - ص ٦٩.

(٣) تأملات في سيرة الرسول - د محمد السيد الوكيل - ص ٦٠.

بن ياسر، فإنه يُشك فيه قاله ابن إسحاق، ومن النساء تسع عشرة امرأة (١) فمكثوا هناك بعد أن فشلت محاولات الكفار في استعادتهم، بعد أن أسلم النجاشي بعد حواره مع جعفر بن طالب حين أرسلت قريش عمرو بن العاص ليكلمه في أمرهم، وأرسلت معه الهدايا من أجل أن تستميل بها قلوب حاشيته وقلبه، ولكنه رفض أن يسلمهم إلى عمرو بن العاص حتى يسمع منهم فدعاهم وسألهم عن هذا الدين الذي ضحوا من أجله وتركوا ديارهم وأموالهم في سبيله فتكلم نيابة عن المسلمين جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - وقال له: « أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله وحده - لا نشرك به شيئاً - وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا، وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان عن عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا

(١) المرجع السابق - ج ٣ - ص ٤٦٦.

نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا
 خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك، ورجونا أن لا
 نظلم عندك أيها الملك.

فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟
 فقال له جعفر: نعم فقال النجاشي: فاقرأه علي *

فقرأ عليه صدرا من ﴿كَهَيَّصَ﴾ فبكى والله النجاشي، حتى
 اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا
 عليهم ثم قال النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة
 انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون^(١).

ولقد شهد الرسول ﷺ لهذا الرجل بالصلاح وحين علم بوفاة قام
 وصلى عليه صلاة الغائب، ففي الحديث الذي رواه البخاري وغيره من حديث
 أبي هريرة رضي الله عنه: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ خَرَجَ
 إِلَى الْمُصَلَّى فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا)^(٢).

وبعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة بدأ الصحابة يتركون الحبشة إلى
 المدينة المنورة للاستقرار فيها، وبقي بعضهم، حين أن تستقر حالة المسلمين
 وهاجر بقيتهم من الحبشة - في العام السابع للهجرة حيث كان الرسول يحاصر

(١) - الروض الأنف للسهلي - ج ٢ ص ٧٥.

(٢) - صحيح البخاري - كتاب الجنائز - باب نعي الرجل أهله - رقم الحديث ١٣٦٨.

حصون اليهود في خير، ف جاء جعفر بن أبي طالب ومن معه من المسلمين
وعندها قال الرسول ﷺ لا أدري بأيها أسر بفتح خير أو بمقدم جعفر.

لذا فإن الهجرة والفرار بالدين أمر مشروع فقد هاجر إبراهيم، ولوط
وموسى عليهم الصلاة والسلام، وقد زجر الله ﷻ الراضين عن واقع ضياع
الدين دون العمل لإصلاح الأوضاع بالدعوة أو الهجرة فقال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ
تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ
أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝١٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ
مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝١٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ
يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا ۝١٩﴾ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعَمًا كَثِيرًا
وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ
عَفُورًا رَحِيمًا ۝١٠﴾ [النساء: ٩٧ - ١٠٠] ولا يفهم من قول النبي ﷺ: (لا هجرة بعد
الفتح) أن باب الهجرة قد أغلق، وإنما يفهم أن المسلمين أصبحوا في قوة ومنعة
تجعلهم، لا يفكرون في ترك الأوطان فراراً بالدين، وإنما عليهم أن يحمدا الله
الذي أنعم عليهم بالأمن، فواجب عليهم أن يهجروا ما نهى الله عنه من الذنوب
والمعاصي.

ويمكن لنا أن نستخلص من حوار الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب

مع النجاشي المعاني الآتية:

وشاءت أريانة الله ﷻ أن يسلم من بعده عمر بن الخطاب فاعز الله
الإسلام، وبدأ الصحابة يخرجون من دار الأرقم معلنين دينهم عازمين على
التضحية في سبيله بكل ما يملكون.





حصار المسلمين في شعب أبي طالب

من العام السابع إلى العاشر من البعثة

لجأ المشركون إلى أسلوب جديد في مواجهة الدعوة الإسلامية بعد أن فشلت محاولات الترغيب والترهيب في منع الرسول ﷺ عن تبليغ دعوة الإسلام، فقرروا أن يتخلصوا من بني هاشم وبني عبد المطلب مسلمهم وكافرهم، وأن يضعوهم في شعب ضيق بين الجبال، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة، واتفقوا على ألا ينكحوا منهم ولا يُنكحوهم، ولا يبيعون لهم شيئاً، ولا يبتاعون منهم، وخرج من بني هاشم أبو لهب بن عبد المطلب فلم يدخل معهم في الشعب، وكان مع قريش ضد أهله والمسلمين، ولقد استمر هذا الحصار الظالم لمدة ثلاثة أعوام، لا يصل إليهم الطعام إلا سراً؛ حتى جهدوا فأكلوا ورق الأشجار وبكى الأطفال من شدة الجوع، ومع ذلك كانت قريش لا تتبع لهم السلع إلا بسعر مضاعف حتى لا يقدرُوا على شرائها.

يقول سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه خرجت ذات ليلة لأبول، فسمعت قعقة تحت البول، فإذا هي قطعة جلد يابسة، فأخذتها، فمسحتها، ثم أحرقتها

وفي وقت يتحدثون فيه عن حقوق الإنسان نجد أنهم في الوقت ذاته، لا يقدرون أن يرفعوا الحصار الذي فرضه الكيان الصهيوني على الشعب الفلسطيني، وما أشبه اليوم بالبارحة فقد نقلت وسائل الإعلام صور قتل الأطفال، ونقص الغذاء والدواء في غزة من أرض فلسطين، والذين يشبهون في مرحلتهم الحالية المرحلة التي مرت على المسلمين في شعب أبي طالب في مكة وما مر بالمسلمين في المدينة يوم الأحزاب.

وندعوا الله أن يقيض لهم من أهل الشهامة والمروءة وهم كثير، من يساعدهم على الخروج مما هم فيه من الحصار ونقص الأموال والأنفس والثمرات.

ولا شك أنهم سيخرجون من هذا الحصار قوية عزائمهم محتسبين ما قدموه من شهداء في سبيل دينهم وكرامتهم وعزتهم.





عام الحزن

عام الحزن هو العام العاشر من البعثة، وسمي بذلك لأن الرسول ﷺ فقد فيه السند والرفيق، فأما السند فهو عمه أبو طالب، وأما الرفيق فهي السيدة خديجة بنت خويلد.

يقول صفي الدين المباركفري :

هناك اختلاف في الشهر الذي توفي فيه أبو طالب، ونرجح أن الشهر الذي توفي فيه كان شهر رجب سنة عشر من البعثة، لأن أكثر المصادر متفقة على أنه كان بعد ستة أشهر من الخروج من الشعب، وأن الحصار كان هلال المحرم سنة سبع، وإذن فموته في رجب سنة عشر من البعثة^(١).

وأبو طالب رغم أنه مات على الكفر إلا أن عصبية وقرابته من رسول الله ﷺ ومكانته العالية في قومه أضفت على رسول الله ﷺ نوعاً من الحماية، فلم يجرؤ الكفار على التفكير في قتله إلا بعد موت أبا طالب، حيث أصبح الرسول ﷺ مهدداً بالنفسي أو القتل، ولقد أراد الرسول ﷺ له الخير غير أنه أراد لنفسه غير ذلك ففي الحديث الذي أخرجه البخاري وغيره من حديث سعيد بن

(١) الرحيق المختوم - صفي الدين المباركفري - ص ١٠٢.

المسيب عن أبيه أنه أخبره أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قال رسول الله ﷺ لأبي طالب يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعودان يتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وأبي أن يقول لا إله إلا الله فقال رسول الله ﷺ أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك فأنزل الله تعالى فيه ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣] (١)

قال الذهبي رحمه الله:

لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ فوجد أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال له النبي ﷺ « يا عم قل لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله فقالا: أيا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب! قال: فكان آخر كلمة أن قال: على ملة عبد المطلب، فقال رسول الله ﷺ « لأستغفرن لك ما لم أنه عنك » فنزلت: « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين » الآيتين ونزلت: إنك لا تهدي من أحببت ». رواه مسلم

(١) صحيح البخاري - كتاب الجنائز - باب إذا قال المشرك عند موته لا إله إلا الله - رقم الحديث ١٢٧٢.





رحلة الطائف

كان لعام الحزن أثره المباشر في سد أبواب الدعوة أمام الرسول ﷺ في مكة مما جعله يفكر في إيجاد البدائل، بأن يخرج إلى البلاد المجاورة لمكة عساهم أن تنشرح صدورهم للإسلام، فذهب الرسول ﷺ إلى قبائل شتى كفزارة، وغسان، ومرة، وحنيفة، وسليم، وعبس، وكنده، والحارث بن كعب، وغدرة^(١) وغيرهم، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، بل كان النبي ﷺ يستغل موسم الحج ويعرض دعوته على الناس، فشرح الله قلوب بعض الناس (كأبي ذر الغفاري، وطفيل بن عمرو الدوسي أما أفضل النتائج فقد كانت في بيعتي العقبة الأولى والثانية كما سيأتي بيانه - إن شاء الله تعالى -.

وأما رحلة الطائف فقد خرج الرسول ﷺ مصطحباً زيد بن حارثة قاصدين الطائف وهي مدينة تقع إلى الشرق من مكة المكرمة بنحو خمسة وسبعين كيلو متراً تقريباً، وخرجا دون ركاب حتى لا يشعر بها أحد من الكفار وسارا في الشعاب والوديان بين الجبال الشاهقة مسيرة ثلاثة أيام، ونزل

(١) غدرة: مكان بالقرب من مكة المكرمة به الآن منجم للذهب ويعتبر من أهم مناجم الذهب في المملكة العربية السعودية.

وحين رأى شيبة وعتيبة ابنا ربيعة ما نزل برسول الله ﷺ أرسلوا إليه غلامها عداس بعنقود من العنب، وبعد أن مد رسول الله ﷺ يده ليأكل قال: بسم الله، فقال الغلام: هذه كلمة غريبة على هذه الأرض.

فقال له الرسول ﷺ ما اسمك يا غلام.

قال: اسمي عداس.

فقال له: من أي البلاد أنت يا عداس؟

فقال: أنا من نينوى.

فقال رسول الله ﷺ من بلد الرجل الصالح يونس بن متى.

فقال عداس: وما يدريك بيونس بن متى؟!

فقال رسول الله ﷺ هو نبي وأنا نبي، فانكب عداس على قدمي رسول الله ﷺ يقبلها، ويمسح عنهما الدماء.

فلما رجع إلى البستان فقالا له: ويحك ما هذا.

قال: ما في هذه الأرض خير من هذا الرجل^(١).

وفي طريق العودة سمعت الجن القرآن من رسول الله ﷺ فأمنوا به، وفي هذا إشارة لعموم دعوة النبي ﷺ وبشارة له على أن البشر إن كذبوه فإن الله ناصر دينه ومعلي كلمته.

(١) هذا الحديث ضعفه الشيخ الألباني رحمه الله، وأخرجه ابن اسحاق بسند صحيح ولكنه مرسل محمد بن كعب القرظي، والمرسل من أنواع الضعيف لا يحتاج به إلا قرائن، والحديث "اللهم اشكو إليك ضعف قوتي" ساقه بدون اسناد، وكذلك قصة عداس. أنظر: السيرة النبوية الصحيحة - د. ضياء العمري - ص ١٨٦.

وانصرف إلى بيته^٥ وإذا كان هذا حال البشر مع نبيهم تكذيب وتعذيب وصد عن ذكر الله فإن رحمة الله واسعة، فأراد أن يخفف عن نبيه وحيبيه، برحلة مباركة، تخفف عنه ما لحق به، وتشد من عزيمة، فكانت رحلة الإسراء والمعراج.

وهنا يجب أن نسجل أن الرسول ﷺ دخل مكة في جوار المطعم بن عدي وهو مشرك، ليبیح للدعاة إلى الله أن ينزلوا في أي جوار متى ضيق عليهم ومتى كان القصد من الجوار التمكين من الدعوة، والقدرة على نشرها، وتبليغها للناس^(١).

ويجب على الداعية ألا يقبل مساومة على دعوته ممن أجاره، بل يجب عليه إذا أحس أن المجير يحاول استغلال جواره له في الصد أو الكف عن تبليغ الدعوة، ونشرها أن يرد عليه جواره، ويرضى بجوار الله، كما فعل أبو بكر الصديق في جوار بن الدغنة.

قال ابن إسحاق: وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه كما حدثني: محمد بن مسلم الزهري، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها حين ضاقت عليه مكة، وأصابه فيها الأذى، ورأى من تظاهر قريش على رسول الله ﷺ وأصحابه ما رأى، استأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فأذن له فخرج أبو بكر مهاجراً، حتى إذا سار من مكة

(١) تأملات في سيرة الرسول ﷺ - ٥ د محمد السيد الوكيل - ص ٧٢.

يوماً أو يومين لقيه ابن الدغنة أخو بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الأحابيش^(١) فأرجعه في جواره.



(١) قال ابن إسحاق: والأحابيش: بنو الحارث بن عبد مناة بن كنانة والهنون بن خزيمية بن مدركة وبنو المصطلق من خزاعة. قال ابن هشام: تحالفوا جميعاً، فسموا الأحابيش للحلف.



رحلة الإسراء والمعراج

اختلف أهل السير في العام والشهر الذي وقعت فيه رحلة الإسراء والمعراج بين العام الخامس للبعثة كما قال النووي والقرطبي، وبين العام الثالث عشر من البعثة كما قال به غيرهما، كما اختلفوا في الشهر الذي وقعت فيه أيضاً فبعضهم قال: شهر رجب، وبعضهم قال شهر شعبان، وبعضهم قال شهر المحرم.

والمشهور أنها وقعت في العام الثاني عشر من البعثة في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب، كما أن العلماء اختلفوا في كون الإسراء والمعراج هل كان بالروح فقط، أم بالروح والجسد معاً.

ومذهب جمهور العلماء على أن رحلة الإسراء والمعراج كانت بروح رسول الله وجسده، وأنه أسرى برسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس في فلسطين قال تعالى: ﴿سُبْحٰنَ الَّذِيٓ اَسْرٰى بِعَبْدِهٖٓ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ اِلَى الْمَسْجِدِ الْاَقْصَا الَّذِي بَنٰرَكْنَا حَوْلَهٗ لِنُرِيَهٗ مِنْ ءَايٰتِنَا اِنَّهٗ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيْرُ ﴿١﴾

[الإسراء: ١]

تستغرق شهراً ذهاباً وشهراً إياباً، ونسوا أن الله ﷻ، هو الذي أسرى بعبدته، وهو الذي بيده ملكوت السماوات والأرض وهو الذي يقول للشيء كن فيكون، قلت: من يعتمد على عقله في قياس قدرة العلي القدير يضل، فإذا كان الإنسان في هذا الزمان استطاع الوصول إلى القمر، فهل يعجز رب السماوات والأرض أن يسري برسوله إلى بيت المقدس ثم يعرج به إليه كما تعرج الملائكة وتنزل إلى الأرض وهي خلق من خلق الله ﷻ.

٣. على المرء أن يحسن الظن بالدعاة، فقد أراد المشركون أن يشوهوه سيرة النبي ﷺ ويرموه بالكذب فسألوه عن وصف بيت المقدس فوصف لهم البيت بعد أن رفعه الله إليه، بينما حين قال المشركون لأبي بكر الصديق ﷺ إن صاحبك يزعم أنه أسري به الليلة قال: إن كان قال ذلك فقد صدق، فإني أصدقه في أبعد من ذلك أصدقه في خبر السماء، لذا لا ينبغي أن نصدق المشوهين لسيرة الدعاة. وعلينا أن نثق بعلمائنا الربانيين الذين ينتهجون منهج السلف الصالح من هذه الأمة.

٤. رحلة الإسراء والمعراج تذكرنا بأهمية الصلاة، وأنها أول ما يحاسب عليها العبد يوم القيامة، فإن صلحت صلح سائر العمل وإن فسدت فسدت سائر العمل.

٥. علينا أن نأخذ من المشاهد التي شاهدها الرسول ﷺ في هذه الرحلة دافعاً لعمل الخيرات وترك المنكرات، فليترك المرتشي ما يأخذه من الناس، ولينظف المرابي أمواله، ولتتقلب معاملاتنا إلى معاملات إسلامية لا ربوية، وإلا فما الفائدة أن تأتي كل عام ويحتفل بعض الناس بهذه الرحلة المباركة في حين أن معاملاتنا تقوم على الربا وهو شيء حرمه الله تعالى، وأخبر الرسول الله ﷺ فظاعة المتعاملين به.

٦. التحذير من عقوبات المعاصي فعقوبة النميمة والغيبة يوم القيامة أكل الجيف، وعقوبة الربا أن تجعل بطون من يتعامل بها كالبيوت الكبيرة المليئة بالحيات والعقارب، وعقوبة خطباء السوء أن تقرض ألسنتهم بمقارض من حديد، وهكذا يجب التحذير من سائر المعاصي والذنوب.

٧. رحلة الإسراء تذكرنا بمكانة المسجد الأقصى في بيت المقدس في فلسطين، فهو مسرى رسول الله ﷺ وأحد المساجد التي تشد إليها الرحال ويجب توعية شباب الأمة بأهميته، والعمل على تحريره من أيدي اليهود الظالمين، وإقامة الندوات لتعريف المسلمين به، وفضح مخططات اليهود، الذين يريدون هدمه، وبناء هيكلهم المزعوم عليه.

٨. في رحلة الإسراء إعداد للنبي ﷺ فيما هو قادم عليه من أمور الدعوة، وشد من أزره، ودافع روحي ومعنوي له يعينه على طاعة ربه ﷻ، فإن المؤمن يفرح عندما يرى من ربه ﷻ استجابة لدعائه فيزداد رغبة، وعزماً في المضي في طريق الهداية والصلاح.





بيعتا الحقة الأولى والثانية

كان النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل، وعلى الناس في مواسم الحج ويدعوهم إلى الإسلام، وفي العام الحادي عشر من البعثة قبض الله ﷺ ستة نفر من أهل يثرب للدخول في الإسلام حين دعاهم الرسول ﷺ إليه وهم في منى أيام الحج، و كان من أسباب إسلامهم أنهم سمعوا عن قرب ظهور نبي آخر الزمان من اليهود المقيمين معهم في يثرب فأرادوا أن يسبقوهم إليه، خاصة أن اليهود كانوا يقولون لهم: سيخرج منا نبي آخر الزمان نقاتلكم به، فشاء الله أن يكون هذا النبي هو محمد بن عبد الله ﷺ كما أن هؤلاء نفر طمعوا أن يوحد هذا النبي فرقتهم فقد كان الصراع ما زال محتدماً بين الأوس والخزرج، ويقف اليهود من خلف هذا الصراع لأنهم كانوا يبيعون للمتحاربين السلاح.

وأما الستة نفر فهم: (أبو أمامة أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث من بني النجار، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله بن رثاب) (١).

١: أنظر: سيرة ابن هشام - ج٢ / ٤٢ .

وعزم هؤلاء الستة أن يكلموا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يسلمون، وبالفعل أسلم على أيديهم نفر من بني جلدتهم، وعزموا على لقاء الرسول ﷺ في موسم الحج للعام الثاني عشر من البعثة عند العقبة، وكان مجموعهم اثني عشر رجلاً منهم خمسة من الذين أسلموا العام الماضي، بالإضافة لسبعة رجال من الأوس والخزرج أشهرهم عبادة بن الصامت - رضي الله عنهم جميعاً - وسميت هذه البيعة ببيعة العقبة الأولى ففي الحديث الذي أخرجه البخاري وغيره من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال: (دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَبَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنْ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ^(١)). وفي الحديث الذي أخرجه مسلم والنسائي واللفظ لمسلم من حديث عبادة بن الصامت أيضاً أنه قال: (أَخَذَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا أَخَذَ عَلَى النِّسَاءِ أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا نَسْرِقَ وَلَا نَزْنِيَّ وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَمَنْ أَتَى مِنْكُمْ حَدًّا فَأَقِيمَ عَلَيْهِ فَهُوَ كَفَّارَتُهُ وَمَنْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ^(٢)).

وأرسل الرسول ﷺ معهم مصعب بن عمير أول سفير في الإسلام ولقد نجح نجاحاً كبيراً في تبليغ دعوة الإسلام لأهل يثرب، وأسلم على يديه عدد كبير من الأنصار، على رأسهم سعد بن معاذ، وأسيد بن الحضير، ثم رجع

(١) - صحيح البخاري - كتاب - الفتن - باب سترون بعدي أموراً تنكرونها رقم الحديث ٦٥٣٢.

(٢) رواه مسلم - كتاب الحدود رقم الحديث ٣٢٢٤.

مصعب بن عمير ليحكي لمعلمه نتائج دعوته وبشائر الخير التي جاءت من طيبة الخير.

ومن الدروس التي يجب أن نتعلمها من الصحابي مصعب بن عمير أنه مثال للداعية الناجح الذي يجمع قلوب الناس ويؤلف بينهم.

بيعة العقبة الثانية..

كانت بيعة العقبة الثانية في العام الثالث عشر من البعثة النبوية الشريفة حيث التقى الرسول ﷺ بثلاث وسبعين رجلاً وامرأتين من الأنصار، عند العقبة في موسم الحج، والتقوا به سراً حيث أنهم جاءوا مع وفد يثرب وكان فيهم المسلم والكافر، وكان بينهم عبد الله بن أبي بن سلول، ولم يكن قد أسلم بعد، فاتفق المسلمون منهم على لقاء الرسول ﷺ سراً وحضر اللقاء عمه العباس بن عبد المطلب، ولم يكن قد أسلم هو الآخر، وكان أول من تكلم من وفد الأنصار الصحابي الجليل البراء بن معرور.

قال ابن حبان: كان أول من تكلم العباس فقال: يا معشر الخزرج إن محمداً في منعة من قومه، وبلاده وقد منعناه ممن ليس على مثل رأينا فيه وقد أبى إلا الانقطاع إليكم، فإن كنتم ترون أنكم توفون له بما وعدتموه فأنتم وما جئتم به، وإن كنتم تخافون عليه من أنفسكم شيئاً فالآن فاتركوه، فإنه في عز ومنعة قالوا: قد سمعنا ما قلت، ثم تكلم رسول الله ﷺ وتلا عليهم القرآن ودعاهم إلى الله، فآمنوا وصدقوه، ثم تكلم البراء معرور وأخذ بيد رسول الله ﷺ فقال:

وسميت هذه البيعة ببيعة الحرب، حيث تعاهدوا على نصره الرسول ﷺ بالنفس والمال، ويبدو أن أحد الكفار شعر بهم، في وقت قد أتموا فيه بيعتهم فصاح في الناس، فأشار الرسول ﷺ عليهم - أن يأتوا رحالهم وينطلقوا، فذهب وفد من الكفار إلى عبد الله بن أبي بن سلول، ليخبروه بما حدث، فأنكر ذلك وقال لم يذهب أحد من أتباعي إلى محمد؟

وهو لا يعلم بشيء فصدقه الكفار، غير أنهم سرعان ما تيقنوا من الخبر فأرادوا ملاحقة الثريبيين، ولكن الفرصة فاتت عليهم، وأخذ وفد الثريبيين يرتحل، فخرجوا يطلبونهم، ولم يدركوا إلا سعد بن عبادة، ثم أطلقوه بعد ذلك خوفاً إلى مصالحتهم وتجارعتهم.

ومن هنا أيقنت قريش بخطورة الموقف، خاصة بعد هجرة بعض الصحابة سراً إلى يثرب، ف عقدوا اجتماعاً عاجلاً حضره الشيطان، ليذبوا مكيدة الخلاص من الرسول ﷺ.

قال ابن إسحاق: فحدثني من لا أتهم من أصحابنا، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج وغيره ممن لا أتهم عن عبد الله بن عباس ؓ قال لما أجمعوا لذلك وتواعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله ﷺ غدوا في اليوم الذي اتعدوا^(١) له وكان ذلك اليوم يسمى يوم

(١) اتعدوا: أي تواعدوا.

لكم برأي فانظروا في غيره فتشاوروا، ثم قال قائل منهم نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا، فإذا أخرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت.

فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقته وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ما أمتتم أن يحل على حي من العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم في بلادكم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد دبروا فيه رأيا غير هذا.

قال فقال أبو جهل بن هشام والله إن لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟

قال أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا نسييا وسيطا فينا، ثم نعطي كل فتى منهم سيفا صارما، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه. فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعا، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا، فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم.

قال فقال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل هذا الرأي الذي لا رأي غيره فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له^(١).

١ - أنظر: الروض الأنف - ج٢ - ص ٢٠٤.

٥. تدل بيعتا العقبة الأولى والثانية على اصطفاء الله ﷺ للصحابة، واختياره
للأنصار للوقوف بجوار الدعوة، لذا حفظ النبي ﷺ لهم مكانتهم
ودعا لهم، واختار المعيشة بينهم دون سواهم من العالمين.
٦. تدل بيعتا العقبة الأولى والثانية على الاصطفاء الرباني لهؤلاء الصحابة
ليتحملوا مسئولية الحماية والنصرة للإسلام، فكانوا مع رسول الله في
كل موطن، واستحقوا رضا الله عنهم في الدنيا والآخرة.
٧. الدين يحتاج من المؤمنين به إلى تضحيات كبيرة بالنفس والأهل والمال
والولد، وتقديم الغالي والنفيس من أجل رفعة الإسلام.





**الهجرة
والنصرة والتمكين**





الهجرة

مهدت بيعة العقبة الثانية لنهاية مرحلة الظلم والاضطهاد، والتضييق على حرية العقيدة، ومهدت أيضاً لبداية مرحلة العزة والتمكين، فلقد ترتب عليها أن المسلمين وجدوا ملاذاً آمناً لهم بعد أن ضاقت عليهم الأرض بما رحبت في مكة حيث ظلم الأهل والعشيرة.

والواضح أن هجرة الأنبياء، والمرسلين، وسياحتهم في الأرض للدعوة إلى ربهم دأب السابقين قبل رسول الله ﷺ فقد هاجر إبراهيم، ولوط، وموسى وغيرهم كما يلاحظ أن تكذيب الأقربين لدعوة الأنبياء والمرسلين أمر شائع أيضاً من نوح إلى محمد ﷺ، ويصطفي الله ﷻ من عباده من يؤمن بهم وبما يدعون إليه فيسعد في الحياة، وبعد الممات.

ويلاحظ أن تكذيب الكفار لرسالة النبي محمد ﷺ كان نابغاً من التعصب الجاهلي للقبيلة والعشيرة، بالإضافة إلى ما سبق ذكره من خوفهم على مكائهم الدينية بين القبائل، ودليل التعصب القبلي أن بعض القبائل في قريش أرادت أن تنال قصب الزعامة في مكة كبني محزوم، وبني أمية.

قال ابن هشام رحمته الله: كان ثلاثة نفر من قريش كانوا قد استمع كل واحد منهم القرآن سراً عن صاحبيه ثم انكشف سرهم، فسأل أحدهم أبا جهل، وكان من أولئك الثلاثة، ما رأيك فيما سمعت من محمد فقال: ماذا سمعت؟
تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تحاذينا على الركب، وكنا كفرسي رهان، قالوا لنا نبي يأتيه الوحي من السماء، فمتى ندرك هذا، والله لن نؤمن به أبداً، ولا نصدقه ^(١).
فالكفر على مر التاريخ ملة واحدة، والحقد كذلك ليس له وطن، وظلم الأهل مرارته أشد، ولكن على المرء أن يصبر ويحتسب، ولا يكل، ولا يمل، فإن الله سيشرح صدور الناس لدعوة الحق طالما أخلص المرء طاعته لله.
ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة فقد شرح الله قلوب الأنصار للدخول في الإسلام فاكسب الإسلام أرضاً جديدة، لذا أشار الرسول صلى الله عليه وسلم على أصحابه أن يهاجروا سراً إلى يثرب.

قال الذهبي: قالت أم سلمة رضي الله عنها: «لما أجمع أبو سلمة الخروج رحل لي بعيره، ثم حملني وابني عليه، ثم خرج بي يقودني. فلما رآته رجال بني المغيرة قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أما هذه غلام نتركك تسير بها في البلاد! فنزعوا خطام البعير من يده، فأخذوني منه، وغضب عند ذلك رهط أبي سلمة، فقالوا: والله لا نترك ابنا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا، فتجادبوا ابني سلمة

(١) انظر: سيرة بن هشام ١/٣١٦.

حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحبسني بنو المغيرة عندهم، فانطلق زوجي إذ فرّقوا بيننا، فكنت أخرج كلّ غداة فأجلس بالأبطح، فلا أزال أبكي حتى أمسي، سنة أو قريباً منها. حتى مرّ بي رجل من بني عمّي فرحمي، فقال: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرّقتم بينها وبين ولدها؟

فقالوا لي: إلحقي بزوجك، قالت: وردّ بنو عبد الأسد إليّ عند ذلك ابني. فارتحلت بعيري، ثمّ وضعت سلمة في حجري، وخرجت أريد زوجي بالمدينة وما معي أحد من خلق الله. قلت: أتبلّغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتّى إذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة العبدريّ.

فقال: إلى أين يا بنت أبي أميّة؟

قلت: أريد زوجي بالمدينة.

قال: أو ما معك أحد؟ قالت: قلت: لا والله إلاّ الله وبنيّ هذا، قال: والله ما لك من مترك. فأخذ بخطام البعير، فانطلق معي يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب، أرى أنّه أكرم منه، كان أبداً إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثمّ استأخر عني حتى نزلت استأخر ببعيري، فحطّ عنه، ثمّ قيّد في الشجر، ثمّ تنحّى إلى شجرة فاضطجع تحتها، فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فرحله، ثمّ استأخر عني وقال: اركبي، فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فاخذ بخطامه، فقادني حتى ينزل



الهجرة إعداده وتخطيطه وتنفيذه

لم تكن هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة رحلة ترفيحية؛ بل كانت رحلة مشوبة بالحذر والمخاطر؛ لذا أعد النبي ﷺ لكل شيء عدته؛ وأخذ بالأسباب ثم ترك النتائج على ربه ﷻ.

فالنبي ﷺ رأى دار الهجرة قبل أن يهاجر إليها ففي الحديث أخرجه البخاري وغيره من حديث أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: (رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ فَذَهَبَ وَهَلِي^(١) إِلَى أُنْثَى الْيَمَامَةِ أَوْ هَجَرْتُ فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَتْرَبُ وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ فَإِذَا هُوَ مَا أَصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ ثُمَّ هَزَزْتُهُ بِأُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقْرًا وَاللَّهُ خَيْرٌ فَإِذَا هُمْ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ وَإِذَا الْخَيْرُ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ وَثَوَابِ الصَّدَقِ الَّذِي آتَانَا اللَّهُ بَعْدَ يَوْمِ بَدْرٍ^(٢)).

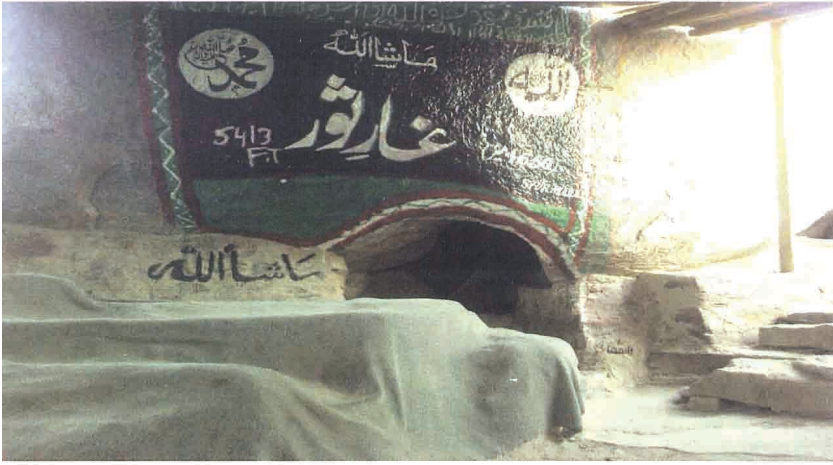
(١) وهلي: تفكيري.

(٢) رواه البخاري - كتاب المناقب - باب علامات النبوة في الإسلام - رقم الحديث ٣٣٥٢.

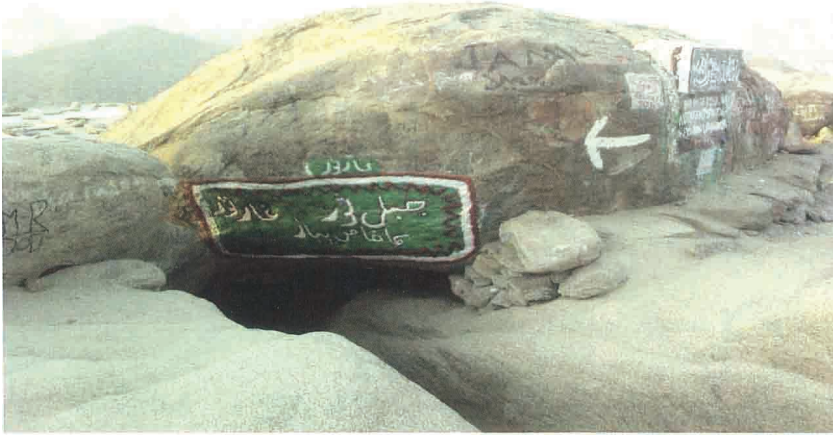
عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ فَبَاتَ عَيْئًا عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ ﷺ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى لَحِقَ بِالْغَارِ وَبَاتَ الْمُشْرِكُونَ يَحْرُسُونَ عَلَيًّا يُحْسِبُونَهُ النَّبِيَّ ﷺ فَلَمَّا أَصْبَحُوا ثَارُوا إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَوْا عَلِيًّا رَدَّ اللَّهُ مَكْرَهُمْ فَقَالُوا أَيْنَ صَاحِبُكَ هَذَا قَالَ لَا أَدْرِي فَافْتَضُّوا أَثَرَهُ فَلَمَّا بَلَغُوا الْجَبَلَ خُلِطَ عَلَيْهِمْ فَصَعِدُوا فِي الْجَبَلِ فَمَرُّوا بِالْغَارِ فَرَأَوْا عَلَى بَابِهِ نَسْجَ الْعَنْكَبُوتِ فَقَالُوا لَوْ دَخَلَ هَاهُنَا لَمْ يَكُنْ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ عَلَى بَابِهِ فَمَكَثَ فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ^(١).

وهذا يدل على سمو الأخلاق البشرية عند الرسول ﷺ وحرصه على أداء حقوق المشركين، رغم حرصهم على قتله، وبلغ من ساحة الإسلام وعدله أن يدعو إلى أداء الأمانة إلى أهلها، بل ويدعو إلى عدم خيانة الخائنين، وهذا درس للأمة أن تتعلم من نبينا لأن ضياع الأمانة يترتب عليه ضياع الدين ونعوذ بالله من ذلك، و أخذ النبي ﷺ بالأسباب فاستأجر دليلاً ماهراً يعلم ضروب الصحراء وهو عبد الله بن أريقط الديلي، وجعل عامر بن فهيرة يمحو أثار أقدامهما برعي الأغنام، وطلب من - أسماء بنت أبي بكر - ذات النطاقين أن تأتي لهما بالطعام كل ليلة من الليالي التي مكثوا فيها في غار ثور، وهو غار يقع في أعلى قمة جبل ثور جنوب المسجد الحرام بنحو خمسة كيلو مترات تقريباً، وكان مكوث النبي ﷺ في غار ثور لعلمه ﷺ أن الكفار سيبحثون عنهما في كل مكان وخاصة الجهة الشمالية حيث طريق المدينة المنورة.

١ - رواه أحمد - كتاب ومن مسند بني هاشم - رقم الحديث ٣٠٨١٠



باب غار ثور



الجهة العليا من غار ثور

ولقد تجلت محبة الصديق لرسول الله ﷺ حين دخل الغار ينظفه قبل أن يدخل إليه النبي ﷺ ثم يقوم بقطع جزء من ثيابه ليسد بها أحد الثقوب في الغار ثم يدخله الرسول ﷺ وينام على حجره، وينظر الصديق ﷺ فإذا ثقب في الغار

لم يجد له ما يسده به، فيضع قدمه عليه، فتاتي حية فتلدغه، فلما يشأ أن يفرع الرسول ﷺ فيكنتم ما به من الألم، وإذا بدمعات ساخنة تنزل على خد رسول الله ﷺ فيقوم من نومه، ويقول له: مالك يا أبا بكر؟

فيقول: لدغت، فذاك أبي وأمي، فتفل رسول الله ﷺ على موضع اللدغ فشفاه الله ﷻ، وكان مدة بقائهم في الغار ثلاثة أيام.

(وقد لمعت في سماء الهجرة أسماء كثيرة كان لها فضل كبير ونصيب وافر من الجهاد: منها عائشة بنت أبي بكر الصديق التي حفظت لنا القصة ووعتها وبلغتها للأمة، وأم سلمة المهاجرة الصبور، وأسماء ذات النطاقين التي ساهمت في تموين الرسول ﷺ وصاحبه في الغار بالماء والغذاء، وكيف تحملت الأذى في سبيل الله؟ فقد حدثتنا عن ذلك فقالت: «لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر ﷺ أتانا نفر من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي؟ قالت: فرفع أبو جهل يده، وكان فاحشاً خبيثاً فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي قالت: ثم انصرفوا...»

فهذا درس من أسماء ؓ تعلمه لساء المسلمين جيلاً بعد جيل كيف تخفي أسرار المسلمين عن الأعداء، وكيف تقف صامدة شامخة أمام قوى البغي والظلم!

وأما درسها الثاني البليغ، فعندما دخل عليها جدها أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: «والله إني لأراه قد فجعكم بهاله مع نفسه»، قالت: «كلا يا أبت، ضع يدك على هذا المال، قالت: «فوضع يده عليه»، فقال: «لا بأس، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم»، « قالت: ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك»^(١).

وبهذه الفطنة والحكمة سترت أسماء أباها، وسكنت قلب جدها الضير، من غير أن تكذب، فإن أباها قد ترك لهم حقاً هذه الأحجار التي كومتها لتطمئن لها نفس الشيخ، إلا أنه قد ترك لهم معها إيماناً بالله لا تنزله الجبال، ولا تحركه العواصف الهوج، ولا يتأثر بقلة أو كثرة في المال، وورثهم يقيناً وثقة به لا حد لها، وغرس فيهم همة تتعلق بمعالي الأمور، ولا تلتفت إلى سفافها فضر بهم للبيت المسلم مثلاً عز أن يتكرر، وقل أن يوجد نظيره^(٢).

ثم إننا نلمح في النشاط الذي كان يبذله عبد الله ابن أبي بكر رضي الله عنه ذاهباً وآيباً بين الغار ومكة، يتحسس الأخبار، وينقلها إلى رسول الله صلوات الله عليه وآله وفيها عمدت إليه أخته أسماء رضي الله عنها من الجدة في تهيئة الزاد والراحلة واشتراكها في إعداد العدة لتلك الرحلة نلمح في ذلك صورة مما يجب أن يكون عليه الشباب المسلم ذكوراً وإناثاً في سبيل الله تعالى ومن أجل تحقيق مبادئ الإسلام وإقامة المجتمع المسلم فلا يكفي أن يكون الإنسان منظوياً على نفسه مقتصرأ على عباداته، بل عليه أن

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١٠٢/٢) إسناده صحيح.

(٢) انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - د- علي محمد الصلابي - ج ١، ص ٢٠٧.

يستنفد طاقاته وأوجه نشاطه كلها سعياً في سبيل الإسلام، وتلك هي مزية الشباب في حياة الإسلام والمسلمين في كل زمن وعصر^(١).

وتدل أحداث الهجرة على فشل مخططات الكفار الذين لا يدخرون جهداً للخلاص من الإسلام وأهله، وأنهم ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة، ثم يغلبون، فقد أراد الكفار أن يقتلوا رسول الله ﷺ بضربة رجل واحد، غير أن الله أفضل مخططهم وخرج رسول الله ﷺ سالماً بعد أن حثى على رؤوسهم التراب وجعل الله - جلا وعلا- كما أخبر في سورة يس: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩]

وعلى المرء وهو يأخذ بالأسباب أن لا ينسي أن عناية الله ترعاه وتؤيده ففي الحديث الذي أخرجه الإمام احمد من حديث أنس بن مالك ﷺ: (أَنَّ أَبَا بَكْرٍ حَدَّثَهُ قَالَ قَالَ قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي الْغَارِ وَقَالَ مَرَّةً وَنَحْنُ فِي الْغَارِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرْنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ قَالَ فَقَالَ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِأَنْتَيْنِ اللَّهُ تَالِيَهُمَا)^(٢).

قال تعالى: ﴿إِلَّا نَنْصُرُهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ

(١) فقه السيرة، د. محمد سعيد البوطي - ص ٨٠.

(٢) مسند أحمد - كتاب مسند العشرة المبشرين بالجنة - رقم الحديث ١١٠.

حَاجَةً لِي فِيهَا قَالَ وَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأُطْلِقَ فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ^(١).

وينبغي لنا أن نتعلم من قصة سراقه بن مالك رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ أن أعداء الأمة يستخدمون الخونة ويقدمون لهم الأموال الطائلة؛ ليرشدوهم عن المجاهدين، ومن يقاومون مخططاتهم الخبيثة، وأحياناً يرصدون مكافآت مالية كبيرة من أجل تسريب المعلومات من أشخاص بعينهم، وقد يغري ذلك ضعاف النفوس والمنافقين، ويتسببون في إلحاق الضرر بالمجاهدين، ولكن الله ﷻ لن يبارك لهم، ولن يجعل لهم حظاً في الدنيا والآخرة، وستكون أموالهم وقوداً لهم في النار عند مليك مقتدر لا يحب الخائنين.

ومر الرسول ﷺ في طريقه إلى يثرب بخيمة أم معبد الخزاعية، وكانت تسقى من مر بها، فسألاها: هل عندك شيء؟

وكانت السنة جدباء، فأرشدتهم إلى شاة هزيلة في داخل الخيمة.

فقال لها الرسول ﷺ هل بها من لبن؟

فقالت: هي أجهد من ذلك.

فمسح النبي ﷺ بيده على ضرعها بعد أن سمي الله ﷻ فنزل اللبن

غزيراً من ضرعها، فدعا بإناء، فحلب فيه حتى علت الرغوة، فشربوا جميعاً، ثم

(١) المرجع السابق رقم الحديث ٣.

ملأ الإناء، وتركه لها، فلما جاء زوجها، ورأى اللبن تعجب، وقال لزوجته: من أين لك هذا قالت: مر بنا رجل مبارك، وقصت عليه ما حدث. فقال: إني والله أراه صاحب قريش الذي تطلبه، بعد أن وصفت له أوصاف الحبيب محمد ﷺ.

ووصل النبي ﷺ إلى قباء^(١) في الثامن من ربيع الأول من العام الثالث عشر من البعثة النبوية الشريفة فأقام بها أربعة أيام وياها من لحظات مباركات لا تدانيا فرحة، وليس لوصفها حدود حين دخل الرسول ﷺ قباء وأسس فيها المسجد الأغر الذي تراه الآن مفخرة للمسلمين في المدينة المنورة، حيث يحرص المسلمون في شتى بقاع الأرض على زيارته للصلاة فيه إذا زاروا المدينة المنورة وكان الرسول ﷺ يحرص على إتيانه والصلاة فهو المسجد الذي أسس على التقوى ففي الحديث الذي رواه البخاري من حديث ابن عمر ؓ: (قَالَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْتِي مَسْجِدَ قُبَاءٍ رَاكِبًا وَمَا شَيْئًا زَادَ ابْنُ نُمَيْرٍ حَدَّثَنَا عُمَيْرُ اللَّهِ عَنْ نَافِعٍ فَيُصَلِّي فِيهِ رَكَعَتَيْنِ^(٢)).

(١) قباء، بضم القاف كما في معجم البلدان، وأصله بئر هناك عرفت القرية به، وهي مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار.

(٢) رواه البخاري - كتاب الجمعة - باب اتيان مسجد قباء - رقم الحديث ١١١٩.



مسجد قباء



مسجد قباء من الداخل

قال ابن الأثير: قال ابن عباس: ولد النبي ﷺ يوم الاثنين، واستنبت يوم الاثنين، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين؟ وهاجر يوم الاثنين، وقبض يوم الاثنين^(١).

ومشت القصواء ناقة الرسول ﷺ والناس حولها يريدون أن تبرك عندهم لينالوا شرف ضيافة رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ دعوها فإنها مأمورة، ثم بركت الناقة في أرض لبني النجار، فلما بركت أخذ أبو أيوب الأنصاري الرحل وأدخله بيته ليشرف بضيافة رسول الله ﷺ حتى يتم الانتهاء من بناء المسجد النبوي الشريف المبارك.


يقول الشيخ سعود الشريم - إمام وخطيب المسجد الحرام -^(٢).

ولعل من أبرز الدروس المستفادة من حادث الهجرة، هو أن صاحب الدين القويم والعقيدة الصحيحة، ينبغي ألا يساوم فيها، أو يجحد عنها، بل إنه يجاهد من أجلها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وإنه ليستهين بالشدائد والمصائب تعترض طريقه عن يمين وشمال ولكنه في الوقت نفسه، لا يصبر على الذل يناله ولا يرضى بالخدش يلحق دعوته وعقيدته.

ويلوح لنا في حادث الهجرة خاطر آخر، يتعلق بالصدقة والصحبة فالإنسان في هذه الحياة لا يستطيع أن يعيش وحيداً منفرداً، بل لا بد من الصديق يلاقيه ويناجيه ويواسيه، يشاركه مسرته، ويشاطره مساءته. وقد تجلت

(١) أنظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج٣، ص ١٣٤.

(٢) - إمام المسجد الحرام بمكة المكرمة.

هذه الصداقة والصحبة في تلك الرابطة العميقة التي ربطت بين الرسول ﷺ وبين أبي بكر .

لقد أصبحت علاقات الكثيرين من الناس في هذا العصر، تقوم لغرض أو لغرض، وتنهض على رياء أو نفاق، إلا من رحم الله، والأمة المسلمة اليوم أحوج ما تكون إلى عصابة أهل الخير، التي تتصادق في الله، وتتناصر على تأييد الحق، وتتعاون على البر والتقوى ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧] وخاطر ثالث يتجلى من ذكر هذه الحادثة، وهو أن الله ينصر من ينصره، ويعين من يلجأ إليه ويعتصم به ويلوذ بحماه، ولا يكون ذلك إلا للمؤمن المخلص، الموقن بما عند الله، حين تنقطع به الأسباب، وحين يخذله الناس، وبعض الأغرار الجهلاء يرون مثل ذلك فراراً وانكساراً، ولكنه في الحقيقة كان عزاً من الله وانتصاراً ﴿إِلَّا نَصْرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠] وبم نصره الله؟ نصره بأضعف جنده ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا يَهْدِي إِلَّا ذِكْرُنَا لِلبَشَرِ﴾ [المدهثر: ٣١]

وقصة العنكبوت حسنها الحافظ ابن حجر رحمته الله، انظر زاد المعاد بتحقيق الأرنؤوط، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ

أَعْنَكُبُوتٍ أَخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ [العنكبوت: ٤١]

وخاطر رابع.. يشير إلى أن الشباب إذا نبتوا في بيئة الصلاح والتقوى، نشأوا على العمل الصالح، والسعي الحميد، والتصرف المجيد، والشباب المسلمون إذا رضعوا رحيق التربية الدينية الكريمة، كان لهم في مواطن البطولة والمجد، أخبار وذكریات. فعلي بن أبي طالب ﷺ لم يتردد في أن ينام على فراش الرسول ﷺ وهو يعلم أن سيوف المشركين تستعد للانقضاض على النائم فوق هذا الفراش ويتغطى ببردته، في الليلة التي اجتمع فيها شياطين الكفر والغدر، ليفتكوا برسول الله ﷺ، ويا لها من نومة تحيظها المخاوف والأهوال، ولكن ﴿

فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٦٤﴾ [يوسف: ٦٤]

قلت: وهناك خاطر خامس وهو أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه فالصحابة تركوا ديارهم وأموالهم فملكهم الله مشارق الأرض ومغاربها. سادساً: هناك حاجة ماسة إلى الحلم والرفق بالناس، فالرسول ﷺ رغم أنه تعرض للإيذاء من قريش إلا أنه ﷺ رفق بهم حين قدر عليهم، وقال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء.

سابعاً: على الداعية أن يثق بنصر الله فرغم ما أحاط بالرسول ﷺ من مخاطر وعقبات في طريق الهجرة، إلا أنه لم يفقد يوماً أن عناية الله ترعاه، وأن نصر الله قادم - إن شاء الله - فبشر سراقه بن مالك بسواري كسرى في مستقبل الأيام

وتدل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة على فضل أبي بكر الصديق ؓ إذ سخر ماله وأهله في خدمة الإسلام.

ويقول الشيخ أبو الحسن الندوي: قد أثبتت الهجرة النبوية أن الدعوة والعقيدة يتنازل لهما عن كل حبيب وعزيز وأليف وأنيس وعن كل ما جبلت عليه الطباع السليمة على حبه وإيثاره، والتمسك به والتزامه، ولا يتنازل عنها بشيء^(١).



(١) السيرة النبوية، أبو الحسن الندوي - ص ١٢٦.



مجتمع المدينة

لما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، وجد أن البناء الذي يريده الله ﷻ، وهو إقامة التوحيد في الأرض، لا بد أن يتكاتف فيه الجميع لإعلائه، وذلك بالعمل الدؤوب وعدم الانتظار؛ خاصة أن هذا المجتمع الوليد تحيط به أيدي المتربصين به من كل جانب، فالحق لا بد له من قوة تحميه، لذا وضع الرسول ﷺ تصوراً واضح المعالم للمجتمع الجديد، فأرض المدينة لم تكن خالصة للمؤمنين من المهاجرين والأنصار، بل كان يعيش فيها اليهود الذين يملكون المال والسلاح، كما لا ننسى أن الصراع لم يكن قد انطفئ نهائياً بين الأوس والخزرج، زد على هذا الوضع وجود فريق من الزعامات المتربصة بالمجتمع الجديد والتي رأت فيه ضياعاً لمستقبلها ويرأس هذا الفريق - عبد الله بن أبي بن سلول، زد على ذلك أن جو المدينة لم يلائم المسلمين في بداية الهجرة ففي الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أم المؤمنين عائشة ؓ أنها قالت: (لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَعِكَ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ ؓ قَالَتْ فَدَخَلْتُ عَلَيْهَا قُلْتُ يَا أَبَتِ كَيْفَ تَجِدُكَ وَيَا بِلَالُ كَيْفَ تَجِدُكَ قَالَتْ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَى يَقُولُ:

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبِّحٍ فِي أَهْلِهِ وَالْمَوْتُ أَدْنَى مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ
وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أَفْلَعَتْ عَنْهُ يَقُولُ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْتَنَنَّ لَيْلَةً بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرُ (١) وَجَلِيلٌ وَهَلْ أَرِدُنَّ يَوْمًا مِيَاهَ
مَجْنَّةٍ وَهَلْ تَبْدُونَنِي لِي شَامَةً وَطَفِيلٌ (٢)

قَالَتْ عَائِشَةُ فَجِئْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ
كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ اللَّهُمَّ وَصَحِّحْهَا وَبَارِكْ لَنَا فِي مُدَّهَا وَصَاعِهَا وَانْقُلْ حُمَّاهَا
فَاجْعَلْهَا بِالْجُحْفَةِ (٣)، لذا كان تصور الرسول ﷺ يقوم على عدة أسس هي:

١. تقوية صلة الأمة بربها.

٢. تقوية صلة الأمة ببعضها.

٣. تقوية صلة الأمة بغيرها.

فإما تقوية صلة الأمة بربها فكانت ركيزته الأولى بناء المسجد النبوي الشريف، والذي كان بمثابة الجامعة الكبيرة للمسلمين؛ ففيه تقام الصلاة، وفيه يتم تدبير شئون حياة الأمة لذا كان لا بد من الإسراع في انجازه كخطوة أولى في بناء المجتمع الإسلامي الجديد، وكانت أرض المسجد لغلامين يتيمين من بني النجار رفضاً أن يأخذا ثمنها، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري وغيره من حديث أنس بن مالك أنه قال: (قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَنَزَلَ أَعْلَى الْمَدِينَةِ فِي حَيِّ

(١) أذخر وجليل: نباتان طيبا الرائحة •

٢ - طفيل: جبل قروي من مكة •

٣ - صحيح البخاري - كتاب المرضى - رقم الحديث ٥٢٢٢ •

يُقَالُ لَهُمْ بَنُو عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ فَأَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِمْ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِي السُّيُوفِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَأَبُو بَكْرٍ رَدْفُهُ وَمَلَأَ بَنِي النَّجَّارِ حَوْلَهُ حَتَّى أَلْتَقَى بِفِنَاءِ أَبِي أَيُّوبَ وَكَانَ يُحِبُّ أَنْ يُصَلِّيَ حَيْثُ أَدْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ وَيُصَلِّيَ فِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ وَأَنَّهُ أَمَرَ بِبِنَاءِ الْمَسْجِدِ فَأَرْسَلَ إِلَى مَلَإٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ فَقَالَ يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا قَالُوا لَا وَاللَّهِ لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ فَقَالَ أَنَسُ فَكَانَ فِيهِ مَا أَقُولُ لَكُمْ قُبُورَ الْمُشْرِكِينَ وَفِيهِ خَرْبٌ وَفِيهِ نَخْلٌ فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُبُورِ الْمُشْرِكِينَ فَنُشِئَتْ ثُمَّ بِالْخَرْبِ فَسُوِّتَتْ وَبِالنَّخْلِ فَقُطِعَ فَصَفُّوا النَّخْلَ قِبْلَةَ الْمَسْجِدِ وَجَعَلُوا عِضَادَتَيْهِ (١) الْحِجَارَةَ وَجَعَلُوا يَنْقُلُونَ الصَّخَرَ وَهُمْ يَرْتَجِزُونَ وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعَهُمْ وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَةِ فَاعْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَةِ) (٢).

وجعلت للمسجد ثلاثة أبواب، وطوله مما يلي القبلة إلى مؤخرته مائة ذراع، والجانبان مثل ذلك أو دونه، وكان أساسه قريبا من ثلاثة أذرع. وبنى النبي ﷺ بيوت أزواجه بجانب المسجد، وكان لكل واحدة منهن حجرة مستقلة بها.

وسكن فقراء الصحابة في الصفة بجوار مسجد الرسول ﷺ وأول من نزل الصفة المهاجرون، لذلك نسبت إليهم قبيل صفة المهاجرين، وكذلك كان ينزل بها الغرباء من الوفود التي كانت تقدم على النبي ﷺ معلنة إسلامها وطاعتها

(١) العضاة: جانب الباب.

(٢) صحيح البخاري - كتاب الصلاة - باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية - رقم الحديث ٤١٠.

وكان الرجل إذا قدم على النبي ﷺ وكان له عريف نزل عليه، وإذا لم يكن له عريف نزل مع أهل الصفة، فكان أبو هريرة عريف من سكن الصفة من القاطنين ومن نزلها من الطارقين^(١).

وكما ربط الرسول ﷺ قلوب أصحابه بربهم، فإنه بعد ذلك ربط قلوبهم ببعضها البعض على الحب في الله، والتعاون من أجل نصرته دين الله ﷻ.

فكان المهاجري يرث الأنصاري إذا مات والعكس بالعكس إلى إن نسخ هذا الأمر وجعل الميراث في أولي الأرحام، مع بقاء عقد التأخي بين المؤمنين ولقد فهم المهاجرون الغرض من المؤاخاة على أنها لا تعني الاتكالية على الغير والطمع فيه لذا ورد في الحديث الذي أخرجه البخاري وغيره من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ فَأَخَى النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنَى فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ أَقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأَزْوَاجُكَ قَالَ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلُونِي عَلَى السُّوقِ فَمَا رَجَعَ حَتَّى اسْتَفْضَلَ أَقْطًا وَسَمْنَا فَأَتَى بِهِ أَهْلَ مَنْزِلِهِ فَمَكَّنْنَا يَسِيرًا أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ فَجَاءَ وَعَلَيْهِ وَضْرٌ^(٢) مِنْ صُفْرَةٍ^(٣).

(١) السيرة النبوية الصحيحة - د- أكرم ضياء العمري - ص ٢٥٨ / ٢٥٩.

(٢) تغير حاله إلى الأفضل.

(٣) أثر من طيب له لون.

فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَهَيْمٌ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَ مَا سُقْتِ إِلَيْهَا قَالَ نَوَاءٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ وَزَنَ نَوَاءٌ مِنْ ذَهَبٍ قَالَ أَوْلِمٌ وَلَوْ بِشَاةٍ^(١).
يقول الشيخ محمد الغزالي:

والإخاء الحق لا ينبت في البيئات الخسيسة، فحيث يشيع الجهل والنقص والجبن والبخل والجشع، لا يمكن أن يصح إخاء، أو تترعرع محبة ولولا أن أصحاب رسول الله ﷺ جبلوا على شمائل نقية، واجتمعوا على شمائل رضية، ما سجلت لهم الدنيا هذا التأخي الوثيق في ذات الله. فسمو الغاية التي التقوا عليها، وجلال الأسوة التي قادتهم إليها، نميا فيهم خلال^(٢) الفضل والشرف.

ثم إن محمداً ﷺ كان إنساناً، تجمع فيه ما تفرق في عالم الإنسان كله من أمجاد ومواهب وخيرات فكان صورة لأعلى قمة من الكمال يمكن أن يبلغها بشر، فلا غرو إذا كان الذين قبسوا منه، وداروا في فلكه، رجالاً يحيون بالنجدة والوفاء والسخاء.

إن الحب كالنبع الدافق يسيل وحده، ولا يتكلف استخراج الآلات والأثقال، والأخوة لا تفرض بقوانين ومراسيم، وإنما هي أثر تخلص الناس من نوازع الأثرة والشح والضعفة.

(١) صحيح البخاري - كتاب البيوع - رقم الحديث ١٩٠٨.

(٢) صفات.

وقد تبودلت الأخوة بين المسلمين الأولين، لأنهم ارتقوا بالإسلام في نواحي حياتهم كلها، فكانوا عباد الله إخوانا، ولو كانوا عبيد أنفسهم ما أبقى بعضهم على بعض^(١).

والإخوة في الله ثوابها عظيم عند الله - جلا وعلا- فمن السبعة الذين يظلمهم الله في ظله في يوم لا ظل إلا ظله رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ولا يمكن لأمة من الأمم أن تسود إلا بالتآخي والتراحم وتذويب العادات السيئة التي تسود بينها.

ولما استقر الرسول ﷺ في المدينة أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع إلى مكة ليأتيا بمن تخلف من أهله، فحضرت فاطمة وأم كلثوم والسيدة سودة بنت زمعة وأم أيمن وابنها أسامة، وحضر معهم أسرة الصديق عبد الله وأم رمان، وعائشة وأسما وكانت حاملاً بعبد الله، وهو أول مولود للمهاجرين بالمدينة^(٢).

ولم يتخلف من آل بيت النبوة إلا زينب منعها أبو العاص بن الربيع ثم هاجرت بعد ذلك وأما ضعفاء الصحابة فقد منعوا من الهجرة فكان الرسول ﷺ يدعو لهم أن يفرج عليهم ما هم فيه.

وأما علاقة المسلمين مع غيرهم فقد أقامها الرسول ﷺ على أساس المواطنة والشراكة لا على أساس الظلم والاضطهاد فليس ذلك من الإسلام

(١) أنظر: فقه السيرة - محمد الغزالي ص ٢٠٠.

(٢) نور اليقين في سيرة خاتم المرسلين - محمد بك الخضري - ٨٥.

فَعَقَدَ الرَّسُولَ ﷺ مَعَ الْيَهُودِ مَا سُمِّيَ بِدَسْتُورِ الْمَدِينَةِ رَغْمَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَضْمُرُونَ
الشَّرَّ لِلرَّسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَأَهْمَ مَا تَضَمَّنَهُ مَا يَلِي:

١. إِنْ يَهُودِ بَنِي عَوْفِ أُمَّةٍ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ.
٢. وَإِنْ عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتُهُمْ، وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ نَفَقَتُهُمْ.
٣. وَإِنْ بَيْنَهُمُ النَّصْرُ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ.
٤. وَإِنْ بَيْنَهُمُ النَّصْحُ وَالنَّصِيحَةُ وَالْبِرُّ دُونَ الْإِثْمِ.
٥. وَإِنْ النَّصْرُ لِلْمَظْلُومِ.
٦. وَإِنْ الْيَهُودُ يَنْفَقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ.
٧. وَإِنَّهُ لَا تَجَارُ قَرِيشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَهَا.
٨. وَإِنْ بَيْنَهُمُ النَّصْرُ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ، عَلَى كُلِّ أَنْاسٍ حَصَّتْهُمْ مِنْ
جَانِبِهِمُ الَّذِي قَبْلَهُمْ.

وَأَمَّا مَا كَانُوا يَضْمُرُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ نَحْوَ الدَّعْوَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا الْحَقْدُ
وَالْحَسَدُ، لِذَا تَرَوِي السَّيِّدَةَ صَفِيَّةَ بَنِي حَيٍّ بْنِ أَخْطَبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ
أَبَاهَا حَيَّ بْنَ أَخْطَبٍ، وَكَانَ مِنْ زَعَاءِ الْيَهُودِ الْمَعْرُوفِينَ فِي الْمَدِينَةِ حِينَ عَلِمَ
بِقُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ وَنَزُولِهِ قَبَاءَ قَالَ لِأَخِيهِ يَاسِرَ، هِيَا لِنَنْظُرْ حَالَ الرَّجُلِ.

الفريقين المتصارعين به، وهذا مشاهد في هذا الزمان أيضاً فكلما إنطفئت حرباً في منطقة من مناطق العالم، إلا وأشعلها المتفعون في منطقة أخرى، لتستمر مصانع السلاح في العمل فيربحون ويدفع غيرهم الثمن من أرواحهم ودمائهم.

٢. خسر اليهود تعاملاتهم الربوية مع القبائل التي يعيشون فيها، كما أنهم خسروا تجارة الخمر، بعد أن حرمها الله ﷺ فتفاقت خسارتهم المالية وهم لا يعرفون أن يعيشوا بغير المال، وبغير السيطرة الاقتصادية فاتفتت كلمتهم على التوحد مع المنافقين والكفار في عدائهم للإسلام والمسلمين، وكان منهم من يظهر العداء صراحة كعبد الله بن الحقيق وكعب بن الأشرف، ولقد أمر الرسول ﷺ بقتلها، بعد أن قاما بمحاولات خسيصة أكثر من مرة للصد عن دين الله ﷺ ومحاوله قتل الرسول ﷺ.

وكان في المدينة أيضاً فريق آخر، وهم فريق المنافقون، وكان رأسه وقائده عبدالله بن أبي بن سلول، والذي كاد أن يتوج ملكاً على يثرب لولا الهجرة، فأضمر الحسد والحقد لرسول الله ﷺ، وبني علاقته مع رسول الله ﷺ على الجهر بعداوته، ثم أسلم نفاقاً بعد أن قويت شوكة الإسلام، وطمع بإسلامه أن ينال نصيباً من حظوظ الدنيا والفوز بالغنائم مع المسلمين، ولقد كان ينتهز أي فرصة للنيل من المسلمين متى ظن أن الفرصة قد سنحت له، فلم

يشارك في غزوة بدر مع المسلمين، وفي أحد رجوع بثلث الجيش، وفي غزوة بني المصطلق يطلق إشاعة تمس شرف السيدة عائشة رضي الله عنها ولم تصف نفسه لنصرة الإسلام يوماً حتى لحق بربه، وهذه مصيبة الحقد والحسد أنها تعمي قلب صاحبها وتطمس عليه، فلا يسعد إلا بشقاء أو إزالة النعمة عن حاسده.

والأساس الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل ما ظهر ويترك ما بطن، ولكنه عليه الصلاة والسلام مع ذلك كان لا يأمن للمنافقين في عمل ما. فكثيراً ما كان يتغيب عن المدينة، ويولي عليها بعض الأنصار، ولكن لم يعهد أنه ولي رجلاً ممن عهد عليه النفاق، لأنه عليه الصلاة والسلام، يعلم ما يكون عليه منهم لو ولو عملاً، فإنهم بلا شك يتخذون ذلك فرصة لإضرار المسلمين، وهذا درس لرؤساء دول الإسلام يعلمهم ألا يثقوا في الأعمال المهمة إلا بمن لم تظهر عليهم شبهة النفاق أو إظهار ما يخالف ما في الفؤاد^(١).

لذا استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بصبره وثباته أن يواجه كل المخاطر المحيطة بالدعوة في المدينة، وأن يتغلب عليها جميعاً، فلم يترك الأمور للظروف والصدفة، بل سلك كل سبيل لتحقيق العدل الذي يريده الله.

لذا شارك الصحابة الكرام في السراء والضراء، فكان يجوع إذا جاع الناس، ويربط على بطنه الحجارة، ولم يؤثر نفسه وأهله دون الناس، وشاركهم كذلك بدمائه الطاهرة، فكان يلتحم معهم في المعارك، وفي غزوة أحد سالت

(١) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين - محمد بك الخضري - ص ١٠٤ بتصرف بسيط.



الجهاد لحماية الدين ومواجهة المحتدين

وأحداث السنة الأولى من الهجرة

لم تكن الهجرة إلى المدينة المنورة في مراحلها الأولى مرحلة يسيرة على المسلمين، ولا يظن أحد أنها كانت نهاية للخطر الذي كان موجهاً ضد الإسلام في مكة، بل كانت مرحلة تفصل بين الحياة والموت، فقد أحاطت الأخطار بالدعوة من كل جانب، لأن قوى الظلام والكفر، والشرك والنفاق، اتفقوا جميعاً على استئصال الدعوة المحمدية فلقد اتصل الكفار بعبد الله بن أبي بن سلول وكان حينئذ كافراً، وبعثوا إليه برسالة يقولون له فيها: إنكم أويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لنقاتلنه أو لتخرجنه، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم.

وأردت قريش بذلك أن يقوم عبد الله بن أبي بن سلول، بالانقلاب على المسلمين، فيقاتلهم بدلاً عن قريش دون أن تراق لهم قطرة دم واحدة، غير أن الرسول ﷺ حين علم بهذه الرسالة قام في الناس خطيباً، وأوضح لهم أن قريشاً تريد أن يقتل الأخ أخاه، ولا تريد لهم الخير، فترفق الناس عن عبد الله بن سلول، وبذلك فوتت فطنة الرسول ﷺ هذه المكيدة.

بيان بغزوات الرسول ﷺ ..

ملاحظات	الموقع الحالي	بمداها عن المدينة	من استخلف على المدينة	السنة	الشهر	الغزوة	٢
	٤٣ كم من رايح	٢٥٠	سعد بن عباد	٢	صفر	الأبواء - ودان - بواط	١
بواط يضم الباء	غرب المدينة	٢٠٠	سعد بن معاذ	٢	ربيع الأول		٢
	غرب المدينة	١٥٥	زيد بن حارثة	٢	ربيع الأول	بدر الأول - صفوان -	٣
	غرب المدينة	١٢٠	أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي	٢	جمادى الآخرة	ذو الطيرة	٤
	غرب المدينة	١٥٥	أبا ليابة بن عبد المنذر العمري	٢	ربضان	بدر الكبرى	٥
	داخل المدينة	---		٢	شوال	بني قريظة	٦
	أطراف المدينة الجنوبية الشرقية	---	أبا ليابة بن عبد المنذر العمري	٢	ذو الحجة	السوق	٧
بضع صكاه وقيل: سبع بن عرفة الغناري	شرق المدينة	٩٠	ابن أم مكتوم للجبيعي	٣	الحرم	الكتف - بني سلم -	٨
ألف همزة فضة	شرق المدينة	١٠٠	عثمان بن عفان	٣	ربيع الأول	ذو أمير - عطفان -	٩
يقسم الباء	جنوب غرب المدينة	١٥٠	عبد الله بن أم مكتوم	٣	جمادى الأول	يُحْران - بني سلم -	١٠
ألف همزة ضمة	شمال المدينة	٤	عبد الله بن أم مكتوم	٣	شوال	أحد	١١
يقطع الحاء	جنوب المدينة	٢٠	عبد الله بن أم مكتوم	٣	شوال	حمراء الأسد	١٢
	جنوب شرق اليمن ب ٤ كم	---	عبد الله بن أم مكتوم	٤	ربيع الأول	بني النضير	١٣
	غرب المدينة	١٥٥	عبد الله بن ربيعة	٤	ذو القعدة	بدر الوعد	١٤
والثابت أنها بعد خيبر	شرق المدينة	٩٠	عثمان بن عفان	٤	الحرم	ذات الرقاع	١٥
	في منطقة الجوف	٩١٢	سباع بن عرفطة	٥	ربيع الأول	دومة الجندل	١٦
والثابت أنها في العام السادس	جنوب غرب المدينة	٣٠٠	زيد بن حارثة	٥	شعبان	بني المصطلق - الربيع -	١٧
	شمال المساجد السبعة في المدينة	---	عبد الله بن أم مكتوم	٥	ذو القعدة	الختلق	١٨

ملاحظات	الموقع الحالي	بعدها عن المدينة	من استخلف على المدينة	السنة	الشهر	الغزوة	م
بضم القاف	جنوب شرق المسجد النبوي بنحو ٥ كم	---	عبد الله بن أم مكتوم	٥	ذي القعدة وريال	بني قريظة	١٩
بكسر اللام	جنوب المدينة المنورة وشمال صفوان	٣١٠	عبد الله بن أم مكتوم	٦	ربيع الأول	بني لحيان	٢٠
ذكر الواقدي أنها بعد الحديبية	شمال شرق المدينة	٣٥	عبد الله بن أم مكتوم	٧	الحرم	الغابة - ذو قرد -	٢١
بفتح الحاء	شمال المدينة	١٦٥	عبد الله بن أم مكتوم	٧	الحرم	خبير	٢٢
	شمال المدينة	حوالي ١٦٠	عبد الله بن أم مكتوم	٧	صفر	وادي القرى	٢٣
	جنوب المدينة	٤٢٠	عبد الله بن أم مكتوم	٨	رمضان	فتح مكة	٢٤
بضم الحاء	ومن مكة ٨٨ كم	٥٠٨	عبد الله بن أم مكتوم	٨	شوال	حنين	٢٥
	ومن مكة ٨٨ كم	٥٠٨	عبد الله بن أم مكتوم	٨	شوال	الطائف	٢٦
بفتح التاء	شمال غرب المدينة	٦٩٠	عبد الله بن أم مكتوم	٩	رجب	تبوك	٢٧

١٣	وادي القرى	رجب	٦	سرية زيد بن حارثة
١٤	دومة الجندل	شعبان	٦	عبد الرحمن بن عوف
١٥	فدك	شعبان	٦	علي بن أبي طالب
١٦	تربة	شعبان	٧	عمر بن الخطاب
١٧	نجد	شعبان	٧	أبو بكر الصديق
١٨	مؤتة	جمادى الأولى	٨	زيد بن حارثة
١٩	ذات السلاسل	جمادى الآخرة	٨	عمرو بن العاص
٢٠	هدم سواع، ومناة	رمضان	٨	عمرو بن العاص - سعد بن زيد
٢١	بني تميم	المحرم	٩	عبيدة بن حصن
٢٢	اليمن	رمضان	١٠	علي بن أبي طالب
٢٣	لصد خطر الرومان	صفر ولم تتحرك	١٠	أسامة بن زيد





**أهم أحداث العام
الأول الهجري**





سرية سيف البحر

رمضان من العام الأول للهجرة

أرسل الرسول ﷺ حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه على رأس سرية تسمى بسيف البحر^(١)، وبعثه في ثلاثين رجلا من المهاجرين يعترض عيرا لقريش جاءت من الشام، وفيها أبو جهل بن هشام في ثلاثمائة رجل، فبلغوا سيف البحر من ناحية العيص، فالتقوا واصطفوا للقتال، فمشى مجدي بن عمرو الجهني وكان حليفا للفريقين جميعا بين هؤلاء وهؤلاء، حتى حجز بينهم، فلم يقتلوا.



(١) سيف البحر: ساحله.



سرية رابغ

شوال من العام الأول للهجرة

حيث بعث رسول الله ﷺ عبدة بن الحارث بن المطلب في ستين راكبًا من المهاجرين، فلقي أبا سفيان وهو في مائتين على بطن رابغ، وقد ترامى الفريقان بالنبل، ولم يقع فيها قتال، وفيها رمى سعد بن أبي وقاص بسهم، فكان أول سهم رمي به في الإسلام^(١).



١ - المرجع السابق ص ٣٠٦



سرية الخرار

شهر ذي القعدة

حيث بعث رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص في عشرين راكبا يعترضون عيرا القريش، وعهد إليه أن لا يجاوز الخرار، فخرجوا مشاة يكمنون بالنهار ويسرون بالليل حتى بلغوا الخرار صبيحة خمس، فوجدوا العير قد مرت بالأمس.





ميلاد أول مولود للمسلمين بعد الهجرة

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق (أَنَّهَا حَمَلَتْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ قَالَتْ فَخَرَجْتُ وَأَنَا مُتِمٌّ فَأَتَيْتُ الْمَدِينَةَ فَنَزَلْتُ بِقُبَاءَ فَوَلَدَتْهُ بِقُبَاءَ ثُمَّ أَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَوَضَعْتُهُ فِي حِجْرِهِ ثُمَّ دَعَا بِتَمْرَةٍ فَمَضَغَهَا ثُمَّ تَفَلَ فِي فِيهِ فَكَانَ أَوَّلَ مَا دَخَلَ فِي جَوْفِهِ رِيقُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ ثُمَّ حَنَّكَهُ بِتَمْرَةٍ ثُمَّ دَعَا لَهُ وَبَرَكَ عَلَيْهِ وَكَانَ أَوَّلَ مَوْلُودٍ وُلِدَ فِي الْإِسْلَامِ^(١)



(١) مسند أحمد - باقي مسند الأنصار - رقم الحديث ٢٥٧٠١٠.



دخول النبي ﷺ بالسيدة عائشة

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث هشام عن أبيه قال:
تُوِّفِيَتْ خَدِيجَةُ قَبْلَ مَحْرَجِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ فَلَبِثَ سِتِّينَ أَوْ قَرِيبًا
مِنْ ذَلِكَ وَنَكَحَ عَائِشَةَ وَهِيَ بِنْتُ بَنِي سِتِّ سِنِينَ ثُمَّ بَنَى بِهَا وَهِيَ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ

(١)



(١) صحيح البخاري - كتاب - باب تزوج النبي بعائشة - رقم الحديث ٣٦٠٧.



شَرَعُ الْإِذَاءِ

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مالك من حديث يحيى بن سعيد أنه قال: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ أَرَادَ أَنْ يَتَّخِذَ خَشْبَتَيْنِ يُضْرَبُ بِهِمَا لِيَجْتَمَعَ النَّاسُ لِلصَّلَاةِ فَأَرَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ ثُمَّ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ خَشْبَتَيْنِ فِي النَّوْمِ فَقَالَ إِنَّ هَاتَيْنِ لَنَحْوُ مِمَّا يُرِيدُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقِيلَ أَلَا تُؤَدُّونَ لِلصَّلَاةِ فَآتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ لَهُ ذَلِكَ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْأَذَانِ).

(١).





زيادة صلاة الحضر ركعتين

ففي الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث (عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ فَرَضَ اللَّهُ الصَّلَاةَ حِينَ فَرَضَهَا رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَمَّهَا فِي الْحَضَرِ - فَأُقِرَّتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَى الْفَرِيضَةِ الْأُولَى) (١)



١ - صحيح مسلم - صلاة المسافرين وقصرها - رقم الحديث ١١٠٦



**أهم أحداث العام
الثاني الهجري**



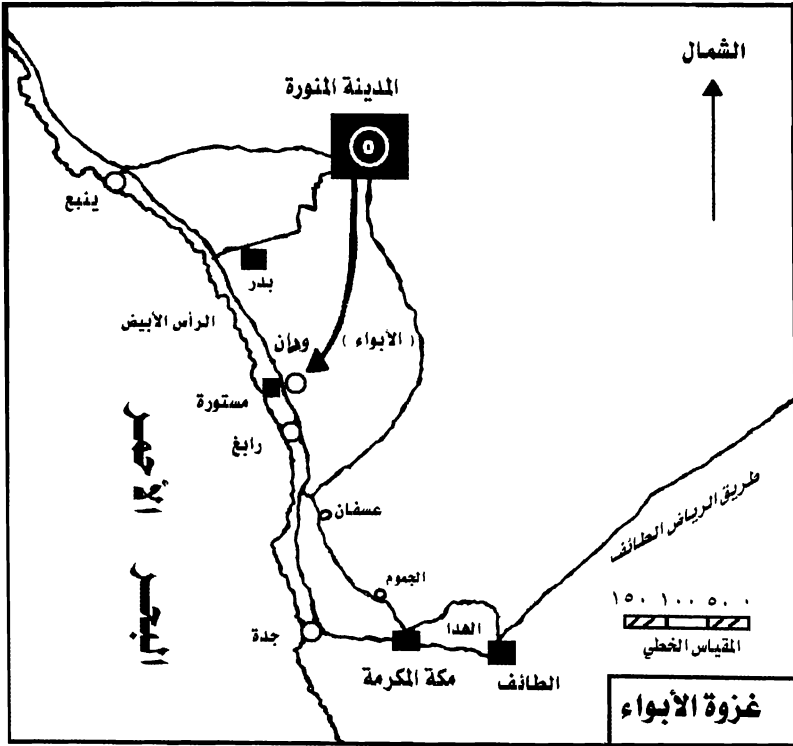


غزوة وعاظ (الأبواء)

في شهر صفر سنة ٢ من الهجرة على رأس أحد عشر شهراً من هجرة الرسول ﷺ^(١) حيث خرج الرسول ﷺ يريد قريشاً وبني ضمرة، فصالحه بني ضمرة، ولم يلق كيداً فرجع بمن معه إلى المدينة.
قال ابن هشام: وهي أول غزوة غزاها الرسول ﷺ^(٢).

١ - المغازي - للواقدي - ص ٢٠

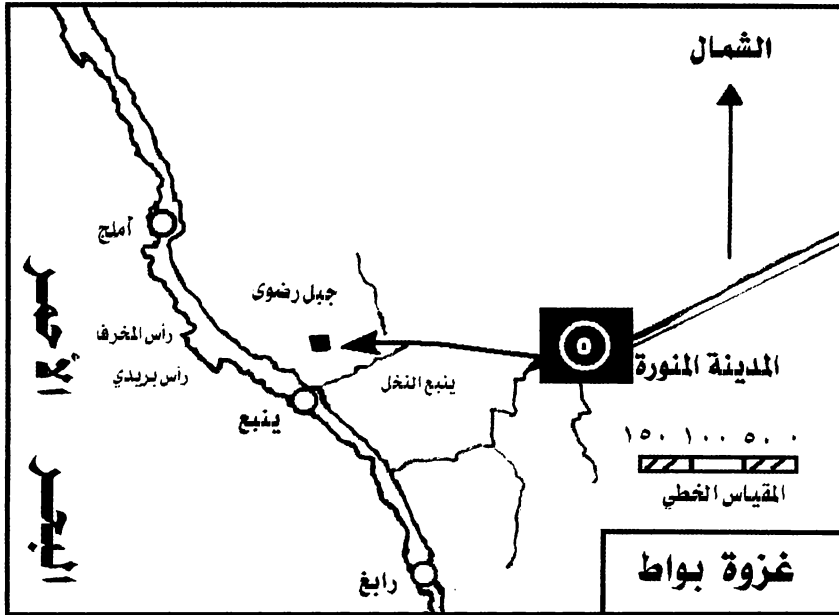
٢ - أنظر: سيرة ابن هشام ص ٣٠٦





غزوة بواط (١)

في شهر ربيع الأول حيث خرج رسول الله ﷺ حيث بلغ بواط من ناحية رضوى، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً، فلبث بها بقية شهر ربيع الآخر وبعض جمادى الأولى (٢)



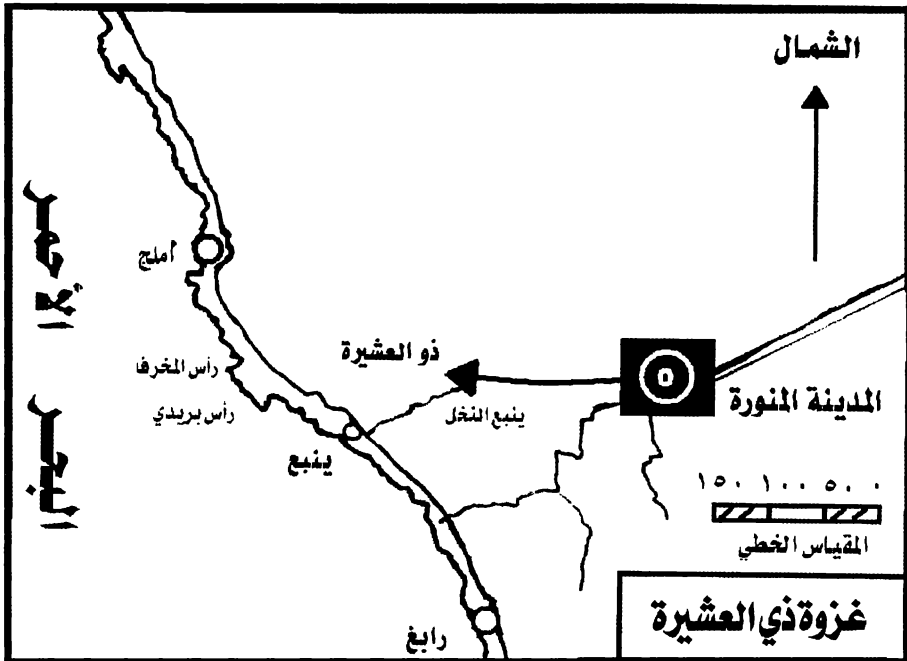
(١) موقعها الحالي بالقرب من مدينة ينبع علي البحر الأحمر.

(٢) أنظر: سيرة ابن هشام ص ٣١٠.



غزوة ذي العشيرة (١)

في جمادى الآخرة^(١)، وأراد الرسول ﷺ أن يعترض عيراً لقريش، غير أنها فاتت المسلمين ولم يدركوها.



(١) موضع بين مكة والمدينة.

(٢) المغازي - للواقدي - ص ٢.



غزوة بدر الأولى (سفوان)

ربيع الأول^(١)

سببها: أن كرز بن جابر الفهري، قد أغار على سرح المدينة ونهب بعض الإبل والمواشي، فخرج رسول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ وادياً يقال له (سفوان) من ناحية بدر، وفاته كرز بن جابر، فلم يدركه، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فأقام بها بقية جمادى الآخرة، ورجب، وشعبان^(٢).



(١) المغازي -- للواقدي -- ص ٢.

(٢) سيرة ابن هشام ص ٣١١٠.



سرية عبد الله بن جحش

والتي كانت في رجب عند عودته من بدر الأولى، وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين ليس فيهم من الأنصار أحد وكتب له كتابا، وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه، فيمضي لما أمره به، ولا يستكره من أصحابه أحدا.

فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب فنظر فيه، فإذا فيه: إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل « نخلة » بين مكة والطائف، فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم.

فلما نظر عبد الله بن جحش في الكتاب قال: سمعا وطاعة، ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله ﷺ أن أمضي إلى نخلة، أرصد بها قريشا حتى آتية منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحدا منكم، فمن كان منكم يريد الشهادة ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع، فأما أنا فإماض لأمر رسول الله ﷺ فمضى ومضى معه أصحابه، لم يتخلف منهم أحد.

وعندما كانوا بمكان يسمى بحران، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما كانا يتعقبانه، فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله بن جحش وبقية



تحويل القبلة

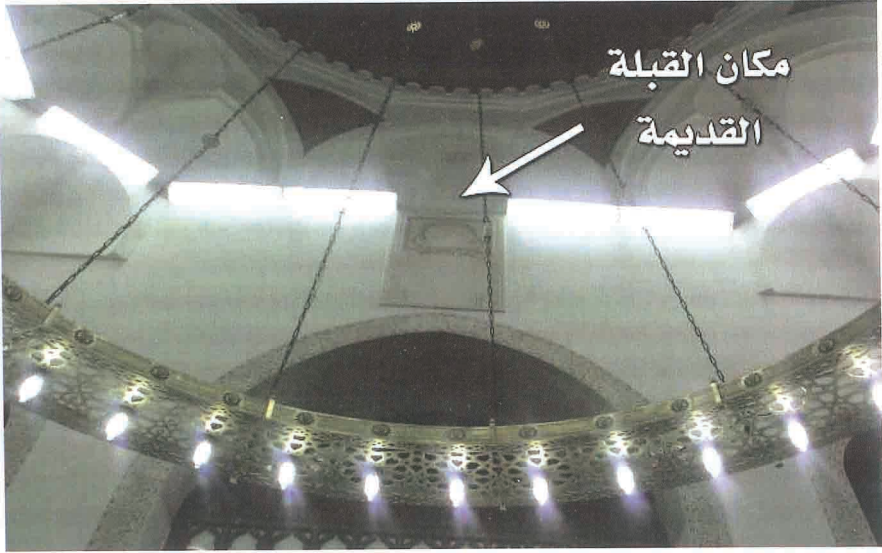
في شهر شعبان في العام الثاني للهجرة

ففي الحديث الذي رواه البخاري من حديث البراء بن عازب (أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده أو قال أخواله من الأنصار وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت وأنه صلى أول صلاة صلاتها صلاة العصر وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس وأهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك قال زهير حدثنا أبو إسحاق عن البراء في حديثه هذا أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم^(١)

(١) صحيح البخاري - كتاب الإيمان - باب الصلاة من الإيمان - رقم الحديث ٣٩.



مسجد القبلتين



مكان القبلة
القديمة

القبلة الأولى للمسلمين في أعلى الجدار

١٢. إن أمر تحويل القبلة لم يكن مجرد تغيير اتجاه الصلاة، وإنما هي

اختيار للمؤمنين، ومدى التزامهم بإتباع الرسول ﷺ وابتلاء لهم

في مدى صمودهم في وجه الإعلام المعادي الذي حمل لواءه اليهود

يومئذ باعتبارهم أصحاب كتاب، هذا الإعلام الذي يتخذ بعض

الأحيان من ظاهرة القول ما يبدو للوهلة الأولى أنه حق.

أنه درس للمؤمنين في توجيههم إلى التزام منهج الله الذي هداهم إليه

ولئن افتقدوا الحجّة والبرهان في تزييف الباطل، فينبغي أن يكون لهم من رسوخ

إيمانهم بعقيدتهم ما يجعلهم قوة صلدة يتحطم عليها كل زيف^(١)



(١) من معين السيرة - صلاح أحمد الشامي - ص ٢٠٤.



فريضة الصوم

فرض الله على المسلمين صيام شهر رمضان، وصلاة العيد، وزكاة
 الفطر قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ
 مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ
 فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ
 لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ
 الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ
 فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ
 الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ
 وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٥]





غزوة بدر الكبرى^(١)

(الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان^(٢))

سميت بهذا الاسم لأنها وقعت بالقرب من ماء بدر. وسببها: علم الرسول ﷺ أن أبا سفيان بن حرب جاء مقبلاً من الشام، ومعه قافلة تجارية كبيرة لقريش، جعلوا فيها أموال المسلمين التي صادروها منهم قبل الهجرة.

فخرج الرسول ﷺ ومعه جمع من الصحابة للإمساك بالقافلة، وأمر على المدينة عبد الله بن أم مكتوم.

غير أن أبا سفيان بن حرب، استطاع أن ينجو بها، وأن يرسل ضمضم بن عمرو الغفاري ليبلغ قريشاً أن محمداً وأصحابه، اعترضوا قافلتهم. فخرجت قريش بجيش قوامه نحو ألف وثلاثمائة مقاتل تريد حماية القافلة، فلما نجا أبو سفيان، وقع الخلاف بين جيش قريش فرجع بنو زهرة بنحو ثلاثمائة مقاتل، ولم يشتركوا في القتال، وصمم الباقون أن يأتوا ماء بدر فينحروا الإبل

(١) بدر مدينة تبعد عن المدينة المنورة بنحو ١٥٥ كيلو متر ناحية الغرب.

(٢) السيرة النبوية - ج ٢ ص ١٤٩.

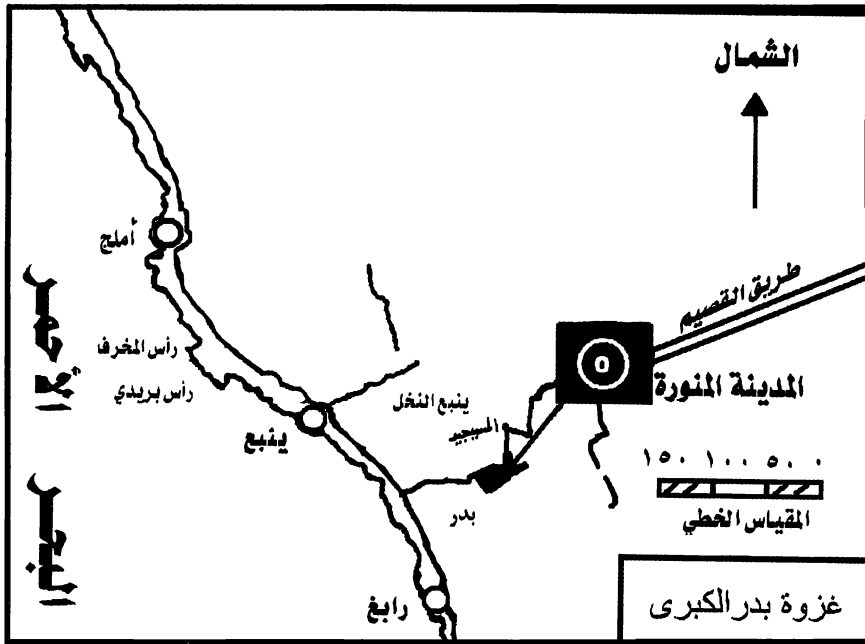
ويشربوا الخمر، ويستمعون الغناء، وأن تسمع بهم العرب فتهاهم وتعرف قوتهم، ولقد قام الشيطان - لعنه الله - في إشعال الحرب بين قريش والمسلمين وقال لهما كما أخبر المولى ﷺ في كتابه العزيز: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفَيْتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ [الأنفال: ٤٨]

وحين علم المسلمون بنجاة القافلة، أرسل الرسول ﷺ بسبس بن عمرو، وعدي بن الزعباء ﷺ يستطلعان أمر القافلة، فلما وصلا ماء بدر علم أبو سفيان أن هناك من يتابع تحركاته، حيث جاء إلى مكان البعيرين اللذان كانا معهما ووجد في بعركما النوى فعلم أنها من المدينة حيث أنها كثيرة النخل، وهذا من شدة ذكائه وفطنته.

وعلم الرسول ﷺ أيضاً أن قريشاً قد خرجوا في جيش جرار يسرون نحو بدر، وقد يدعوهم غرورهم أن يسيروا نحو المدينة ويهددوا كيان المسلمين فيها، وبذلك أدرك الرسول ﷺ أن المواجهة العسكرية قادمة لا محالة فاستشار أصحابه فوجد منهم كل خير وأنهم ما خرجوا إلا لنصرة دين الله.

وكان قد تكلم من المهاجرين أبو بكر الصديق، والمقداد بن عمرو وتكلم من الأنصار سعد بن معاذ، الذي قال للنبي ﷺ (امض يا رسول الله لما أردت، فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت بنا البحر لخضناه

وأَنْزَلَ اللهُ ﷻ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مَطْرًا، ثَبَّتَ بِهِ الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِ أَقْدَامِ الْمُسْلِمِينَ، وَرَبَطَ بِهِ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَازْهَبَ عَنْهُمْ رَجَسُ الشَّيْطَانِ.



في أرض المعركة..

لما اصطف الفريقان وترائت الفئتان أقسم رجل من الكفار يقال له الأسود بن عبد الأسد المخزومي، أن يشرب من ماء بدر لأنه كان بعيداً عن الكفار، وفي حوزة المسلمين، فقام إليه حمزة بن عبد المطلب - أسد الله - فضربه على ساقه، فتحامل الرجل فرمى نفسه في الماء يريد أن يبرقسمه، فعالجه بضربة أخرى قضت عليه وهو في الماء.

وكان من عادة الحروب حينئذ أن تبدأ بالمبارزة فقام ثلاثة من جيش الكفار هم عتبة وشيبة ابني ربيعة، والوليد بن عتبة وهم من بيت واحد، فقام إليهم ثلاثة من الأنصار، فقال لهم الكفار لا حاجة لنا بكم، نريد ثلاثة من بني عمنا، فأشار الرسول ﷺ إلى عبيدة بن الحارث، وحمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب وهم من بني هاشم، فبارز عبيدة بن الحارث عتبة، وبارز علي الوليد بن عتبة، وبارز حمزة شيبة، فقتل حمزة شيبة، وقتل علي الوليد، واختلفت ضربتا أبا عبيدة وشيبة، فكر علي وحمزة على شيبة فقتلاه، ثم احتملا عبيدة بن الحارث الذي نال الشهادة متأثراً بجراحه.

ثم بدأ التلاحم بين الفريقين، ورسول الله ﷺ يتהל إلى ربه بالدعاء، بنزول النصر على المؤمنين، فنزلت الملائكة تضرب وجوه الكفار وأدبارهم، وظهرت بسالة جيش المسلمين.

وأنزل الله: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِآلِيفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ

مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ [الأنفال: ٩]

وخرج رسول الله ﷺ، وهو يقول: ﴿ سِهْرَمُ الْجَمْعِ وَيَوْلُونَ الدُّبُرَ ﴾ [القمر: ٤٥]

وتجلت في هذه الغزوة علامات الحب لرسول الله ﷺ والانتصار له.

يقول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: ﴿ بينما أنا في الصف الأول يوم بدر، إذ التفت، فإذا عن يميني وعن يساري فتيان ^(١) حديثا السن، فكأني لم آمن لماكنها،

(١) فتيان: هما معاذ ومعوذ

إذ قال لي أحدهما سرّاً عن صاحبه، يا عم، أرنى أبا جهل، فقلت يا ابن أخي، فماذا تصنع به؟

قال: أخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ.

ثم قال: والذي نفسي بيده، لئن رأيته، لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا فتعجبت لذلك، قال عبد الرحمن بن عوف: ثم غمزني الآخر فقال لي مثلها، فلم أنشب أن أنظر إلى أبي جهل يجول في الناس.

فقلت: ألا تريان هذا صاحبكما، الذي تسألاني عنه.

قال: فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا.

ثم مر عبد الله بن مسعود فوجده بأخر رمق فعرفه فوضع رجله على عاتقه ثم قال: أخزأك الله يا عدو الله! قال: وبماذا أخزاني هل إلا رجل قتلتموه! أخبرني لمن الدائرة اليوم؟ فقال ابن مسعود: لله و لرسوله، ولما رآه أبو جهل قد وطى عنقه قال له: لقد ارتقيت يا رويعى الغنم مرتقى صعباً! فاحتز عبد الله رأسه ثم جاء به فقال: يا رسول الله! هذا رأس عدو الله أبي جهل، فقال النبي ﷺ: الله الذي لا إله غيره^(١)!

فقال ابن مسعود: نعم، والله الذي لا إله غيره! فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك^(٢).

(١) تعجب غرضه الدهشة والفرح أيضاً بموت هذا الطاغية.

(٢) السيرة النبوية- ابن حبان - ص ٧٠.

وحين رأى إبليس ملائكة الرحمن تقاتل مع المسلمين نكص على عقبيه وولى هارباً.

وقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يومئذ خاله العاص بن هشام بن المغيرة.

وانقطع سيف عكاشة بن محصن فأخذه منه الرسول ﷺ فبهزه فعاد كما كان، وأفضل، وكان عكاشة رضي الله عنه يقاتل به في جميع المعارك التي شهدتها، حتى نال الشهادة في حروب الردة.

وصرع في هذه المعركة طاغية ثان هو أمية بن خلف الجمحي صرعه بلال بن رباح رضي الله عنه ولقد نال جزاءه فإن هذا الطاغية كان يذيق بلال بن رباح في مكة أشد العذاب.

وانتهت المعركة بهزيمة منكرة للمشركين حيث قتل منهم سبعين رجلاً وأسر منهم مثلهم، ونال الشهادة من المسلمين أربع عشرة شهيداً، ولقد تلقت المدينة نبأ النصر بالفرحة والتحميد والتهليل، وتلقت قريش نبأ الهزيمة بالذل والثبور، وأقسم أبو سفيان بن حرب الذي لم يشترك في المعركة أنه لن يمس جسده الماء من جنابة حتى يثار لقتلى المشركين، وهكذا نصر الله المؤمنين ووعدهم التمكين، والاستخلاف في الأرض.

وقد أنزل الله ﷻ في معركة بدر آيات من كتاب الله الكريم، قال الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ ١٣٣ ۝ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُعِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ۝ ١٣٤ ۝ بَلَىٰ ۝ ١٣٥ ۝

إِنْ تَضَيَّرُوا وَتَجَفَّوْا وَيَأْتُوَكُمْ مِنَ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ
مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِنَطْمِئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا حَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ [آل
عمران: ١٢٣ - ١٢٧].

كما نزل العتاب لرسول الله ﷺ على قبوله فداء الأسرى، فقال الله تعالى:
﴿ مَا كَانَتْ لِيَنْبِيَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ ۚ لَئِنْ أَسْرَىٰ لَأَسْرَىٰ ۚ وَلَئِذَا أُسْرِيَ أَهْلًا مِّنْهُ فَسَأَلِ عَنِّي ۚ لَعَلَّكَ أَتَىٰ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا أَن نَّضِلَّكَ فِيهَا ۖ وَمَا نَضِلُّكَ فِيهَا وَمَا نَسْتَفِئِفُكَ ۚ وَمَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ
أَنْ يَأْتُواكُم بِنُجُوحٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَافِظًا ۚ وَمَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ أَنْ يَأْتُواكُم
بِنُجُوحٍ ۚ وَمَا كَانَ لِلْأَعْرَابِ أَنْ يَتَنَفَّسُوا فِيكَ ۚ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٦٧﴾ [الأنفال: ٦٧].



مقبرة بدر وبها من استشهد في الغزوة

وأما الدروس والعبر في هذه الغزوة فهي كثيرة ومتعددة يمكن أن نجملها فيما يلي ولك أخي القارئ أن تضيف إليها ما تراه مناسباً:

١. أن الجهاد بالسيف لم يفرضه الله إلا بعد أن توفرت أسبابه، وانتفت موانعه والذي يتبين من النصوص، وحال النبي ﷺ وأصحابه أن الدعوة إلى الله تعالى في المجتمعات التي تكون الشوكة فيها بيد من يحارب الحق وأهله، لا بد أن تمر بثلاث مراحل:

أ- بيان الحق والدعوة إليه بحق ورفق.

ب- الابتلاء والامتحان في سبيل الدعوة إلى الله، والصبر على ذلك.

ت- التميز عن أهل الباطل^(١).

٢. أهمية اللجوء إلى الله ﷻ بالدعاء وطلب النصر والتأييد فقد بدأ النبي ﷺ المعركة بتسوية صفوف المقاتلين ثم سأل ربه أن يمدّه بالنصر والتأييد.
٣. أهمية التفاؤل ورفع الروح المعنوية للمقاتلين فقد رأى النبي ﷺ مصارع الكفار، بينما رأت عاتكة بنت أبي طالب رؤيا أفزعت الكفار فقد رأت بقرًا يذبح، وفسرت رؤيتها على أن المقصود بذلك ما سينال الكفار من الهزيمة.
٤. على القائد أن يكون محبوباً من جنوده، لا متكبراً ومتغطرساً، فقد كانت قيادة المسلمين في أيدٍ رحيمة مليئة بالعطف والخوف عليهم، بينما كانت قيادة

(١) - غزوة بدر من القرآن والحديث الشريف - دروس وعبر - عبد الله الشقاوي - ص ٣٢٣

الكفار في أيد متغترسة متجبرة لذا قاتل جنود الكفار خوفاً من قيادتهم، بينما قاتل المسلمون دفاعاً عن الدين والعقيدة وشتان بين هذا وذاك.

٥. الله يؤيد بنصره من يشاء، شريطة أن يأخذ المؤيد بالنصر بالأسباب، ومنها حسن الإعداد، والتنفيذ، والتخطيط.

٦. أن القوة العددية وحدها لا تحقق نصراً، وإنما المهم قوة العقيدة، والإيمان بالقضية التي يقاتل الفرد من أجلها.

٧. الوفاء شيمة المؤمن حتى مع الكفار فقد اشترك أبو البحتري وكان كافراً مع جيش الكفار ضد المسلمين، ومع ذلك أمر الرسول ﷺ بعدم قتله لأنه كان من الذين نقضوا صحيفة المقاطعة الظالمة ضد المسلمين، كما لم يأمر الرسول ﷺ بقتل عمه العباس بن أبي طالب وكان أيضاً في جيش الكفار، فقال رجل من المسلمين يقال له - أبو حذيفة بن عتبة - والله لئن لقيته لأقتلنه، ثم شعر الرجل بأنه ما كان ينبغي عليه أن يقول ذلك لرسول الله ﷺ.

يقول أبو حذيفة ما زلت خائفاً من هذه الكلمة التي خرجت مني، ولقد حرصت على الشهادة حتى أكفرها، ولقد نالها فعلاً يوم اليامة ضد مسلمة الكذاب.

٨. البراءة من الشرك وأهله فقد قتل عمر بن الخطاب خاله - العاص بن هشام بن المغيرة، وحين رأى مصعب بن عمير - رضى الله عنه - أخاه في الأسر: قال

لصاحبه المسلم شد عليه، فإن أمه لغنية ستفديه بهال كثير فقال أبو عزيز لأخيه مصعب: أهذه وصيتك بي؟ فقال مصعب: إنه أي الأنصاري أخي دونك.

٩. هناك درس مهم ساقه ابن كثير في البداية والنهاية وهو أن قتل الكفار كانوا سبعين، ولو شاء الله لأهلكهم جميعاً، وقد كان في المعركة جبريل الذي أمره الله بإهلاك قوم لوط وغيرهم، ولكن الله شاء أن يسلم الكثير ممن بقوا على قيد الحياة، فلم يقتل في المعركة إلا من علم الله ﷻ أنه لن يسلم وأنه سيموت كافراً^(١).

١٠. الرحمة العامة من رسول الله ﷺ بالناس أجمعين فبعد انتهاء المعركة دفن النبي ﷺ الشهداء، ثم دفن جثث الكفار ولم يمثل بجثثهم، أو يتركها لتأكلها السباع، وهكذا المسلمون في حروبهم.

١١. الإسلام يحمي كرامة الأسير فلا يجوز قتله، أو إساءة معاملته حيث أخذ الرسول ﷺ بمبدأ العفو عنهم، على أن يقدموا عن أنفسهم الفداء، ومن لم يجد يقوم بتعليم عشرة من الصحابة القراءة والكتابة، أقول ذلك في وقت وصل فيه عدد المعتقلين من إخواننا الفلسطينيين في سجون الاحتلال الصهيوني إلى ما يناهز الأحد عشر ألفاً بينهم نساء وأطفال وعجائز، ويتعرضون في هذه المعتقلات لشتى صنوف التجارب، والمعاملة غير اللائقة، وكذلك المعتقل الأمريكي « جوانتنامو » حيث احتجزت القوات الأمريكية بأمر من رئيسها -

(١) أنظر: البداية والنهاية، لابن كثير، ج ١ ص - ٦٣١٠.

جورج بوش الابن - العديد من المسلمين وأذاقوهم شتى صنوف العذاب ولذلك شتان بين تعاليم عقيدتنا، وبين ما يفعلوه، وما يرفعوه من شعارات فالحرية عندهم ما هي إلا حریتهم واستقلالهم، وإذا تعلق الأمر بغيرهم فلا حرية ولا ديمقراطية ولا غيرها.

١٢. أهمية القوة في حماية الدين فقد ترتب على غزوة بدر أن المنافقين دخلوا في جحورهم، وخافوا على أنفسهم أن تدور الدائرة عليهم، فدخلوا في الإسلام وأظهروه بينما كانوا يضمرون له الشر في داخلهم.

١٣. غزوة بدر تذكرنا بضرورة الصدق الإعلامي فلقد أعلن المسلمون انتصارهم وعدد قتلاهم، بينما لم يذع الكفار حقيقة ما أصابهم، فقد كانت الأنباء تأتي من أرض المعركة إلى قريش بأنهم هم الذين انتصروا، فعاش الكفار لحظات من النشوة سرعان ما انقلبت إلى فاجعة بعدما تبين لهم الحقيقة المرة بعد ذلك أقول هذا لأن الآلة الإعلامية في حرب عام (١٩٦٧م)، والتي شنها العرب ضد الكيان الصهيوني المحتل لفلسطين، فكانت البيانات تأتي عبر وسائل الإعلام أننا دمرنا طائرات العدو ودباباته ومقدراته، فعاشت الأمة لحظات من فرحة الانتصار، ثم انكشفت الحقيقة عن احتلال أرضنا، وأسر جنودنا، وتدمير مقدراتنا.

١٤. على المنتصر أن يراعي شعور عدوه ولا يتشفى فيه، وليعلم أن النصر إنما هو من عند الله، وقد يتسلط العدو عليه فالأيام دول بين الناس قال ابن هشام:

لما خرج كنانة بن الربيع أخو أبو العاص بن الربيع، بزینب بنت رسول الله ﷺ من مكة يريد أن يلحقها برسول الله ﷺ قال له أبو سفيان: قد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد، فيظن الناس إذا أخرجت ابنته إليه علانية، أن ذلك على ذل أصابنا عن مصيبتنا التي كانت، وإن ذلك منا ضعف ووهن فارجع بالمرأة حتى إذا هدأت الأصوات، وتحدث الناس أن قد رددناها فسلها (فأخرجها خفية) وألحقها بأبيها^(١).

١٥. أنهت غزوة بدر سيطرة اليهود على المدينة المنورة، يقول محمد علي القطب: إن لكل زلزال توابع ترجف بعده بالأرض وبالناس...!
ولقد كانت غزوة بدر زلزال شديداً، ليس لقريش وحدها بل في كل أنحاء الجزيرة العربية، وقبائلها، وعشائرها، من أقصاها إلى أقصاها!!
صحيح أنها لم تكن نهاية الصراع بين الحق والباطل، وبين الإيمان والكفر، ولكنها كانت بداية النهاية؛ والمدخل إلى انكفاء الجاهلية وارتدادها على عقبيها واستعلاء التوحيد.

وكان أول التوابع انتهاء سيطرة وتسلط اليهود على المدينة بأوسها وخزرجها، اللذين استمررا عقوداً طويلاً من السنين!^(٢).



(١) أنظر: السيرة النبوية، لابن هشام - ص ٣٤٢.

(٢) أنظر: غزوات رسول الله ﷺ - وسجل الشهداء - من بدر إلى تبوك - محمد علي القطب - ٤٤.



غزوة بني سليم بالكدر

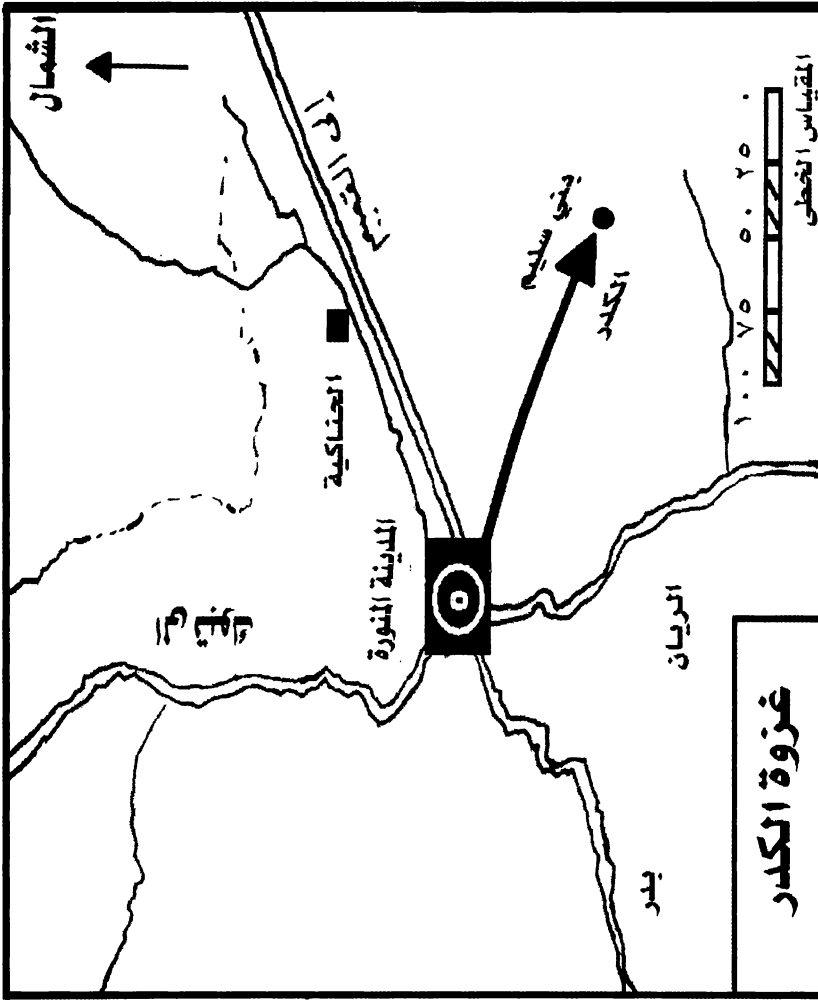
قال السهلي: قال ابن إسحاق: لم يقم رسول الله ﷺ، إلا سبعة أيام بالمدينة. ثم خرج بنفسه يريد بني سليم، واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري وقيل ابن أم مكتوم.

فبلغ ماء يقال له: الكدر.

فأقام عليه ثلاثاً، ثم انصرف. ولم يلق أحداً^(١).

وسببها: أن الرسول ﷺ علم أن بني سليم من قبائل غطفان تحشد قواتها لغزو المدينة، فباغتهم النبي ﷺ في مائتي راكب في عقر دارهم، ولما بلغ منازلهم نزل الصحابة في موضع يقال له الكدر، فلما علم به بنو سليم فروا وتركوا في الوادي خمسمائة بعير استولى عليها جيش المدينة وقسمها رسول الله ﷺ بعد أن إخراج الخمس، فأصاب كل رجل بعيرين وأخذ غلاماً يقال له « يسار » فأعتقه وأقام النبي ﷺ في ديارهم ثلاثة أيام ثم رجع.

(١) انظر: الروض الآنف للسهلي - ج٢ - ص ٢٤٠.





جلاء يهود بني قينقاع

غَزْوَةُ قَيْنُقَاعَ يَوْمَ السَّبْتِ لِلتَّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ^(١)

وأما اليهود فقد ضاقت صدورهم بهذا الانتصار فقالوا للرسول ﷺ لا يغرنك أنك لقيت أقواماً لا علم لهم بالحرب، فأصبت منهم فرصة، أما والله لئن حاربناك لتعلمن أنا نحن الناس.

وكان ذلك القول من يهود بني قينقاع، وكانوا أهل مال وتجارة وسلاح وكانوا يعيشون بالقرب من منازل المسلمين، وكان عدد مقاتليهم سبعمائة مقاتل.

روى ابن هشام:

عن أبي عون أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها^(٢)؛ فباعته في سوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها وهي غافلة، فلما قامت انكشفت سواتها، فضحكوا بها، فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله

(١) أنظر: المغازي للواقدي ص ٢٠٤.

(٢) الجلب: ما يجلب للأسواق لبيع فيها.

وكان يهوديا، فشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع، فخرج إليهم رسول الله ﷺ ومعه جمع من الصحابة، فحاصرهم خمسة عشر يوماً، ثم استسلموا، وتدخل المنافق عبد الله بن أبي بن سلول، فشفع لهم في القتل، وخرجوا من المدينة إلى أذراعات^(١) الشام، فما لبثوا أن هلك أغلبهم.

وتدل هذه الغزوة على مدى انحطاط الأخلاق عند هؤلاء التجار من اليهود، وأنهم لا يلتزمون بحرمة الأعراض، والصدق في المعاملات، لذا فإن التاجر الصدوق الأمين الذي يخاف الله ﷻ ولا يغش في معاملاته، فإنه سيكون مع الأنبياء والصالحين يوم القيامة، وهذا درس لكل تاجر مسلم أن يلتزم بغض بصره؛ وأن يحسن معاملته مع الناس.

كما دلت هذه الغزوة على مدى غيرة المسلمين على أعراضهم فمن أجل امرأة هب المسلمون يدافعون عن كرامتهم وشرفهم.



(١) أذراعات: أطراف.



غزوة السويق^(١)

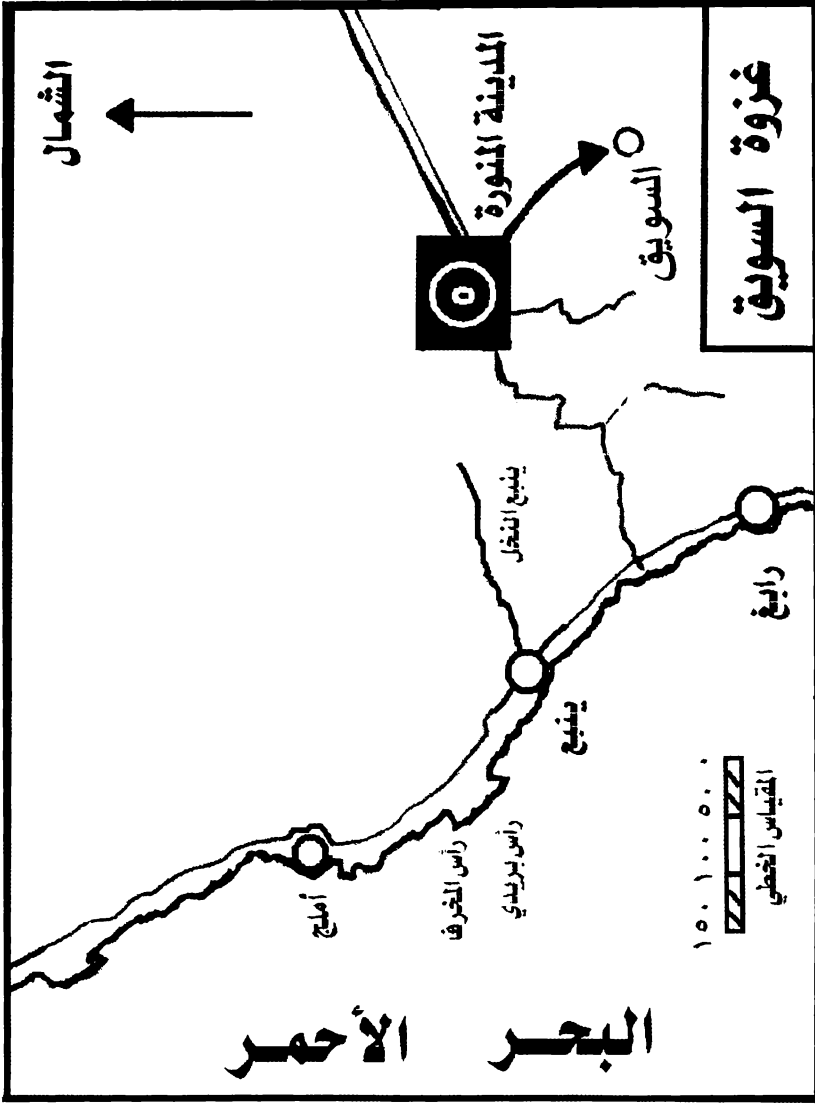
ذي الحجة ٢ هـ^(٢)

حلف أبو سفيان بن حرب أنه لن يمس جسده الماء حتى يأخذ بثأره من المسلمين، وبعد مرور شهرين على أحداث بدر جمع مائتي فارس، وخرجوا قاصدين المدينة المنورة، فأتوا على مكان يقال له العريض، فوجدوا رجلين من الأنصار يعملان في أرض لهما فقتلوهما، وأحرقوا بعض البساتين، وظن أبو سفيان بن حرب أنه بذلك قد أبر بقسمه، ولما علم الرسول ﷺ بما حدث خرج ومعه جمع من الصحابة يتعقبون أبا سفيان وجنوده الذين لم يجدوا بداً من التخفيف من أحمالهم إلا بترك السويق، مفضلين الفرار بأنفسهم، لذا سميت هذه الغزوة بغزوة السويق.

وهذه الغزوة تشبه حروب الاستنزاف التي تسبق الأحداث الكبرى، لذا يجب أن تكون الأمة دائمة الحذر، ولا تأمن مكر عدوها.

(١) - السويق هو طعام القمح والشعير.

(٢) - أنظر: السيرة النبوية - ابن هشام - ج ٣ ص ١٨٥.





بيحة النساء

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أم عطية رضي الله عنها قالت:
(أَخَذَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ الْبَيْعَةِ أَنْ لَا نَنُوحَ فَمَا وَفَّتْ مِنَّا امْرَأَةٌ غَيْرَ خَمْسِ نِسْوَةٍ أُمَّ
سُلَيْمٍ وَأُمَّ الْعَلَاءِ وَابْنَةَ أَبِي سَبْرَةَ امْرَأَةً مُعَاذٍ وَامْرَأَتَيْنِ أَوْ ابْنَةَ أَبِي سَبْرَةَ وَامْرَأَةً مُعَاذٍ
وَامْرَأَةً أُخْرَى ^(١)).



(١) صحيح البخاري - كتاب الجنائز - باب ما نهى من النوح والبكاء - رقم الحديث ١٢٢٣.



زواج علي بن أبي طالب بفاطمة الزهراء

ففي الحديث الذي أخرجه ابن ماجه من حديث عائشة وأُمّ سلمة (قالتا
أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُجَهِّزَ فَاطِمَةَ حَتَّى نُدْخِلَهَا عَلَى عَلِيٍّ فَعَمَدْنَا إِلَى الْبَيْتِ
فَفَرَشْنَاهُ تُرَابًا لَيْتًا مِنْ أَعْرَاضِ الْبَطْحَاءِ^(١) ثُمَّ حَشَوْنَا مِرْفَقَتَيْنِ^(٢) لِيَفَا فَنَفْسُنَاهُ
بِأَيْدِينَا ثُمَّ أَطْعَمْنَا تَمْرًا وَزَبِيبًا وَسَقَيْنَا مَاءً عَذْبًا وَعَمَدْنَا إِلَى عُودٍ فَعَرَضْنَاهُ فِي جَانِبِ
الْبَيْتِ لِيُلْقَى عَلَيْهِ الثُّوبُ وَيُعَلَّقَ عَلَيْهِ السَّقَاءُ فَمَا رَأَيْنَا عُرْسًا أَحْسَنَ مِنْ عُرْسِ
فَاطِمَةَ^(٣).



(١) الأرض ذات الحصى وتخلو من العمران.

(٢) وسادتين.

(٣) سنن ابن ماجه - كتاب النكاح - باب الوليمة - رقم الحديث ١٩٠١.



**أهم أحداث العام
الثالث الهجري**





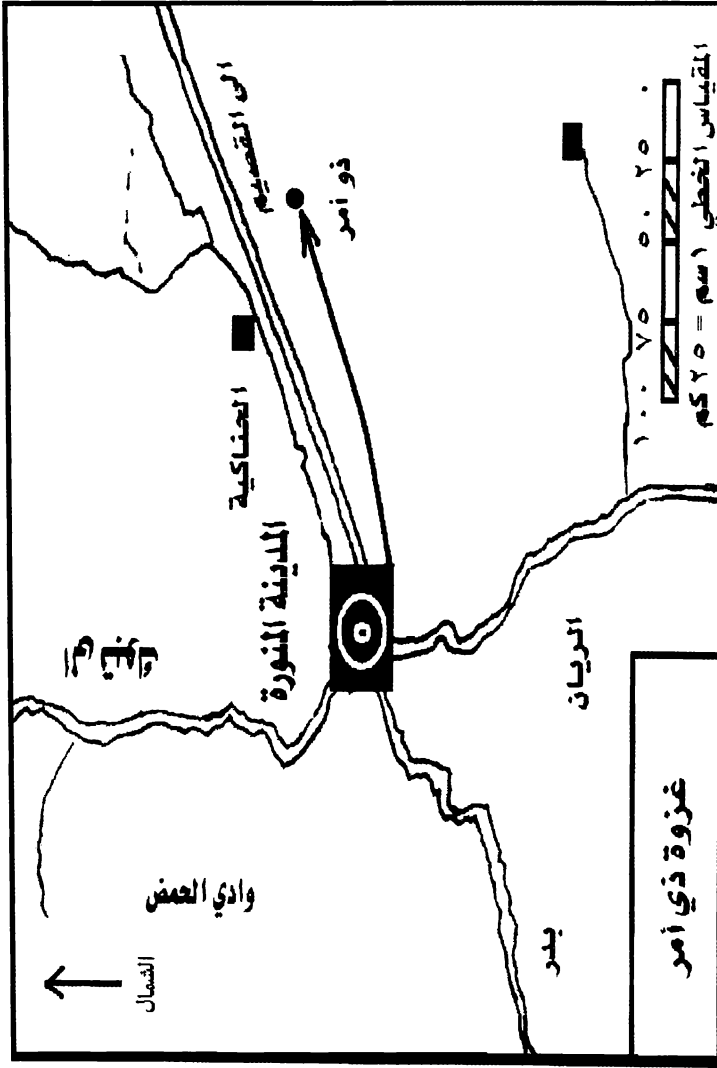
ما سبق، غزوة أحد من أحداث

غزوة غطفان.. وهي ذي أمر.. ربيع الأول ٣هـ^(١)

وسببها: أن الرسول الله ﷺ علم أن بعض القبائل كثعلبة ومحارب جمعت عدداً من مقاتليها للإغارة على المدينة المنورة، فخرج إليهم في أربعمئة وخمسين مقاتلاً واستخلف على المدينة عثمان بن عفان^(٢).

ولما سمع الأعداء بجيش المسلمين؛ تركوا ديارهم وتفرقوا، واعتلوا رؤوس الجبال، فلما وصل النبي ﷺ لم يجد رجالهم، فأقام على ماءهم المسمى بذي أمر شهر صفر؛ ليعلم العرب بقوة المسلمين؛ وحتى لا يفكر أحد منهم على مهاجمة المدينة بعد ذلك •

١- المعازي للواقدي - ص ٣ •



مقتل كعب بن الأشرف..

وهو الذي كان يجرّض قريش على الثأر من المسلمين، وكان يؤذي رسول الله ﷺ بأشعاره، ويجرّض على قتال المسلمين، ويؤذي الصحابيَّات وخرج بذلك عن حدود الأدب، وخان العهد بزيارته لقريش، وحثهم على القتال، وانتدب الرسول ﷺ لقتله محمد بن مسلمة -رضى الله عنه- ومعه عدد من الصحابة، وَكَانَ قَتْلُهُ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ (١) عام ٣هـ. ولعل المستفاد من ذلك أن الرسول ﷺ لم يأمر بقتل أحد لخصومة شخصية، وإنما أصبح هذا الرجل يمثل خطراً على الأمة بأسرها باتصاله برموز الكفر، والتحريض ضد المسلمين *

غزوة بحران..

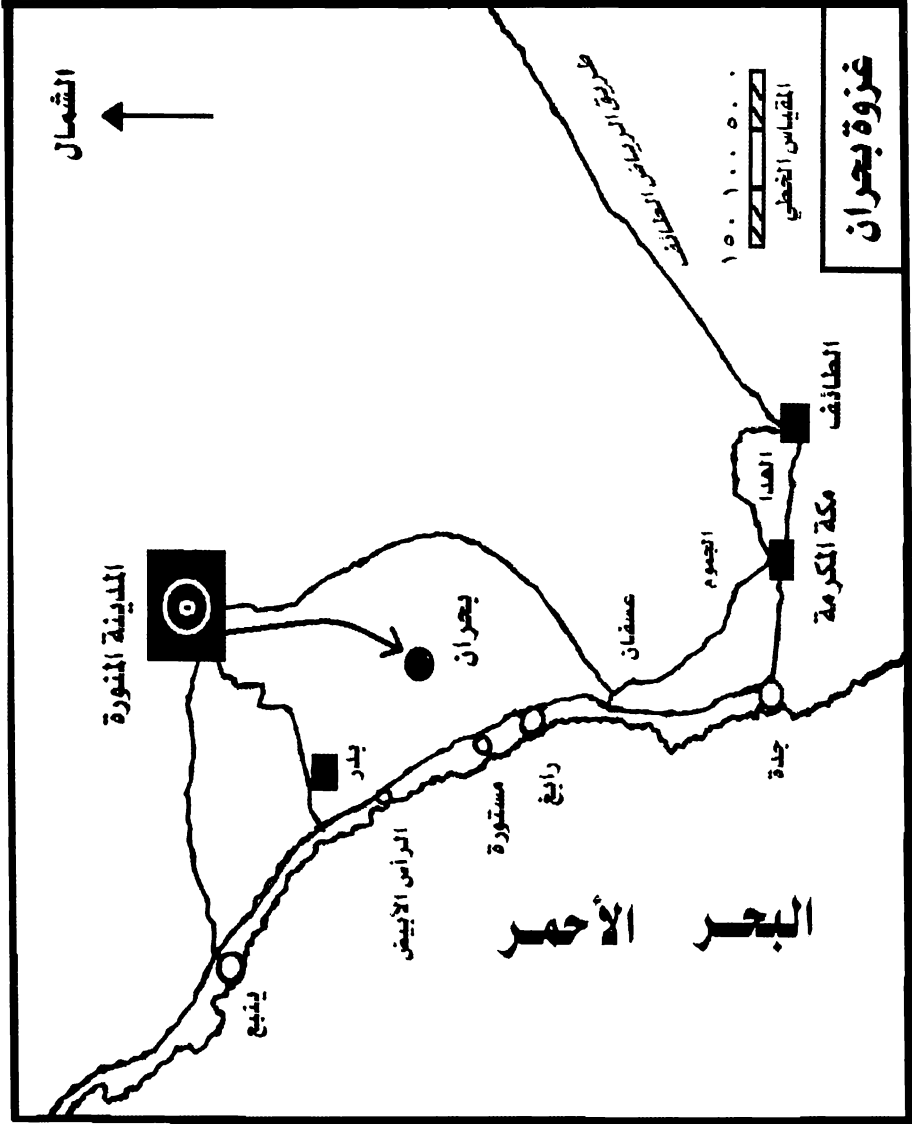
وفي شهر جمادى الأولى ٣هـ^(١)، خرج رسول الله ﷺ ومعه ثلاثمائة من الصحابة إلى أرض يقال لها بحران^(٢) في منطقة الحجاز، ولما وصل جيش المسلمين لم يجدوا كيداً فرجعوا سالمين، ويلاحظ من هذه الأحداث أن الرسول ﷺ أراد أن يوسع منطقة نفوذ دولة المسلمين، وأن يحصنها بالمناطق المتحالفة

(١) أنظر: المغازي للواقدي - ج ١ ص ٣.

(٢) ذكر الواقدي أنها كانت في شهر جمادى الأولى - المرجع السابق ص ١٤٧.

(٣) كتبت بضم الباء، وفي بعض المراجع بفتح الباء.

معها، وكل ذلك مطلوب لدرء الخطر عن مركز الثقل للدعوة، وهو المدينة المنورة.



سيطرة المسلمون على طريق التجارة..

فكر المشركون بعد أن سيطر المسلمون على طريق التجارة القريب من البحر الأحمر، بأن يسلكوا طريقاً آخر بعيداً عن البحر وهو طريق العراق إلى بلاد الشام مروراً بنجد، فخرج صفوان أمية في قافلة تجارية لقريش، غير أن الرسول ﷺ علم بها، فأرسل إليهم زيد بن حارثة رضي الله عنه ومعه مائة من الصحابة، فأخذوا ما فيها من متاع وكان ذلك في شهر جمادى الآخرة عام ٣هـ، فنكب المشركون مرة أخرى، وأجمعوا أمرهم على لقاء حاسم بينهم وبين المسلمين فكانت غزوة أحد.





غزوة أحد

شوال، سنة ثلاث

الأسباب والأحداث والنتائج^(١)

أما السبب الرئيس فهو الانتقام، والثأر من المسلمين، نظراً للهزيمة المنكرة التي منيت بها قوى الشرك والظلام من قريش في غزوة بدر. والسبب الثاني أن تجارة قريش أصبحت مهددة بسبب سيطرة المسلمين على طرق التجارة، خاصة بعد نجاح زيد بن حارثة رضي الله عنه في الاستيلاء على أموال القافلة التي كان يقودها صفوان أمية.

ولما كانت قريش تشعر بمرارة الهزيمة فقد أعدت لهذه المعركة عدتها بوقت كاف، فلقد رصدت لها أموال القافلة التي نجا بها أبو سفيان بن حرب قبل غزوة بدر فباعوها، وكانت ألف بعير، وجمعوا منها أموالاً طائلة، وفي ذلك أنزل الله تعالى قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُفْقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]

(١) جبل أحد يقع إلى الشمال من الحرم النبوي، ويبعد عنه بنحو ٤ كيلو متر، ويقع بجواره جبل عينين وهو جبل الرماة.

ولم يكن من عادة العرب أن يجتمع مثل هذا العدد في القتال، ولم تكنف قريش بجنودها، وعبيدها، بل حرضت القبائل المجاورة على الخروج معها لقتال المسلمين، حتى بلغ مجموع جيش الكفار ثلاثة آلاف مقاتل، وخرجت النساء تؤازرهن، وتحضهن على القتال، وكانت زعيمتهن في ذلك هند بنت عتبة زوج أبي سفيان بن حرب، وكان دافعها الانتقام من حمزة بن عبد المطلب الذي فجعهما هو وعلي بن أبي طالب بقتل ثلاثة من بيتها في غزوة بدر.

وكان القائد العام لجيش الكفار أبو سفيان بن حرب، وقيادة الفرسان لخالد بن الوليد، وصاحب لوائبهم وحامل رايتهم هم بنو عبد الدار.

وأما قوة عتادهم فقد بلغت ثلاثة آلاف بعير، وسبعمائة فرس، وسبعمائة درع وتحرك الجيش في بداية شهر شوال وكانت وجهته المدينة المنورة فلما أجمعوا المسير كتب العباس بن عبد المطلب كتابًا وختمه واستأجر رجلاً من بني غفار واشترط عليه أن يسير ثلاثاً إلى رسول الله ليخبره أن قريشاً قد أجمعت المسير إليك فما كنت صانعاً إذا حلوا بك فاصنعه. وقد توجهوا إليك، وهم ثلاثة آلاف وقادوا مائتي فرس وفيهم سبعمائة ذراع وثلاثة آلاف بعير^(١).

فجمع الرسول ﷺ الصحابة وأخبرهم بتحرك جيش الكفار نحو المدينة المنورة، واستشارهم في الأمر فأشار فريق بقيادة عبد الله بن أبي بن سلول بعدم الخروج والبقاء في المدينة يقاتلونهم في الشوارع والطرق، بينما رأى فريق آخر

(١) المغازي للواقدي - ص ١٥٤.

يمثله جيل الشباب بالخروج لقتال الكفار خارج المدينة وكان على رأس هذا الفريق حمزة بن عبد المطلب، وفي النهاية تغلب رأيهم، وما كان لرسول الله ﷺ أن يتخلف عن معركة هو قائدها وخرج رسول الله ﷺ بألف مقاتل فاتجه بهم نحو الشمال، وجعل على المدينة عبد الله بن أم مكتوم.

وقسم جيش المسلمين إلى ثلاثة الوية على النحو التالي:

١. كتيبة المهاجرين، وأعطى لواءها مصعب بن عمير العبدي.
٢. كتيبة الأوس من الأنصار، وأعطى لواءها أسيد بن الحضير.
٣. كتيبة الخزرج من الأنصار، وأعطى لواءها الحباب بن المنذر.

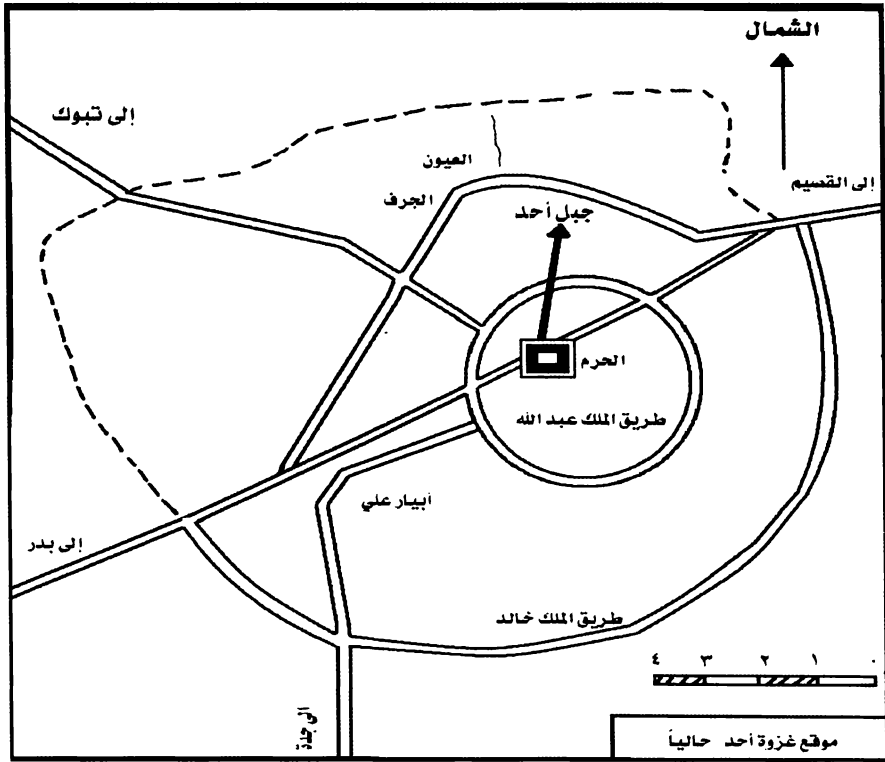
ورد رسول الله ﷺ كتيبة لليهود أرادوا أن يشتركوا مع المسلمين في القتال كما رد الرسول ﷺ صغار الصحابة - كعبد الله بن عمر، وسعيد الخدري وأسامة بن زيد، وأجاز رافع بن خديج وسمرة بن جندب على صغر سنهما وذلك أن رافع بن خديج كان ماهرا في رماية النبل فأجازه، فقال سمرة أنا أقوى من رافع أنا أصرعه، فلما أخبر رسول الله ﷺ بذلك أمرهما أن يتصارعا أمامه فتصارعا، فصرع سمرة رافعا فأجازه أيضا.

وخرجت بعض النساء يداوين الجرحى، فعن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة معها من الأنصار، يسقين الماء، ويداوين الجرحى^(١) رواه مسلم

(١) - صحيح السيرة العطرة وحسنها د- محمد أحمد عاشور، جمال عبد المنعم الكومي ص ٩٣

وقبل أن تبدأ المعركة انسحب عبد الله بن أبي بن سلول بثلاثمائة رجل، وقال
علام نقتل أنفسنا، وأراد في هذا الموقف العصيب أن يحدث شرخاً في صفوف
المسلمين، ولكن الله سلم.

ولما وصل المسلمون إلى جبل أحد كان عدد المسلمين نحو سبعمائة مقاتل
جعلوا الجبل خلفهم يحمي ظهورهم، ثم جعل الرسول ﷺ نحو خمسين من
الرماة بقيادة عبد الله بن جبير، وقال لهم لا تتركوا مكانكم، وكانوا في مكان
مرتفع على جبل يقال له عينين وبينه وبين أحد مسافة ليست بالكبيرة.



خطة الفريقين في أرض المعركة..

كانت خطة الرسول ﷺ هي تقسيم الجيش إلى ميمنة وميسرة وقلب ومن أعلى يقف الرماة لحمايتهم، ومنع المشركين من التقدم. وأما خطة الكفار، فقد قسموا جيشهم إلى صفوف يقف بينهم أبوسفيان بن حرب وميمنة بقيادة خالد بن الوليد وميسرة بقيادة عكرمة بن أبي جهل.

وفي أرض المعركة أظهر المسلمون شجاعة عجيبة صدت جيش الكفار وانقلبوا خاسرين وظهرت بسالة أبو دجانة، والزيير بن العوام، وحمزة بن عبد المطلب، وحنظلة بن أبي عامر المسمى -بغسيل الملائكة-، ورفع المسلمون أصواتهم بشعار المعركة وهو أمت أمت^(١).

وأبيد في هذه المعركة كل من حمل لواء المشركين من بني عبد الدار، ثم احتمل راية الكفار عبد حبشي يقال له صواب، فقاتل حتى قتل، ولم يتقدم أحد لحمل رايتهم، وتركت ملقاة على الأرض، وفر المشركون ومعهم النساء لا يلوون على شيء، تاركين ورائتهم الغنائم يجمعها المسلمون، وظهرت شجاعة الصحابة ومنهم حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وأبودجانة، وسعد بن وقاص وطلحة بن عبيد الله وغيرهم.

(١) - السيرة النبوية، لابن هشام - ص ٤١٥ .

أما الخطأ الذي غير مجريات المعركة فهو نزول الرماة لجمع الغنائم
ونسوا أمر رسول الله ﷺ، غير أن - عبد الله بن جبير - لم ينزل وظل مكانه مع
مجموعة صغيرة، لا تقدر أن تحمي ظهور المسلمين.



أرض المعركة ويظهر فيها جبل الرماة ومن خلفه جبل أحد



جبل الرماة ومن خلفه مقبرة الشهداء



الثغرة التي التف منا جيش المشركين حول المسلمين



المكان الذي احتفى فيه الرسول ﷺ في جبل أحد

وأنزل الله قوله ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ
الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] قال ابن مسعود رضي الله عنه: وما علمت أن أحداً من
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية .
وهنا فقط يستغل خالد بن الوليد هذا التغير، وطوق جيش المسلمين
فأصبحوا محاصرين من الأمام والخلف حيث يوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه
تسعة من أصحابه وقد أحاط به الكفار.
ولم يكن أمام الرسول صلى الله عليه وسلم في تلك اللحظات غير سبيلين اثنين يستطيع
انتهاجهما:

١. إما أن يكفل السلامة الشخصية لنفسه بالشخصين إلى مفرع ما
تاركاً أصحابه لمصيرهم المقدور.
٢. وإما أن يناديهم مخاطراً بنفسه لكي ينقذهم من الخطر (ليجعل
من مقره مكان تجمع لهم) فينقذهم بذلك من خطر الإفادة أو
الضياع أو التفكك، ولقد اختار السبيل الثانية^(١).

وتقدم وحشي بن حرب فقتل حمزة بن عبد المطلب وحدث ارتباك
شديد بين المسلمين، فهرب بعضهم فوق الجبل، وفر بعضهم حتى دخل المدينة
وقتل بعضهم بعضاً، فقد قتلوا اليان أبو حذيفة وهم يظنون أنه من الكفار، كل
ذلك عندما أشيع أن رسول الله قد قتل، واستسلم بعضهم ومر بهؤلاء .

(١) قيس من نور الرسول القائد محمود شتييت خطاب - ص ١٤٧ .

أنس بن النضر، وقد ألقوا ما بأيديهم فقال: ما تنتظرون؟ فقالوا: قتل رسول الله ﷺ قال: ما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله، ثم قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني المسلمين، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين، ثم تقدم فلقبه سعد بن معاذ، فقال: إليّ يا أبا عمر؟ فقال أنس: واهي لريح الجنة يا سعد، إني أجده دون أحد، ثم مضى فقاتل القوم حتى قتل، فما عرف حتى عرفته أخته بعد نهاية المعركة ببنايه، وبه بضع وثمانون جرحاً ما بين طعنة برمح، وضربة بسيف، ورمية بسهم.

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ يَبْعَثَهُ اللَّهُ أُمَّةً وَحْدَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١)

وأما مجموعة رسول الله ﷺ فقد كان يقودها طلحة بن عبيد الله الذي تترس أمام رسول الله ﷺ يتلقى عنه السهام والنبال، وكان معه سعد ابن أبي وقاص يرمي المشركين بالسهام وأما أبو دجانة فقد تترس هو الآخر وجعل ظهره للعدو ليحمي رسول الله ﷺ، وكان معهم بعض الأنصار الذين نالوا الشهادة وهم يدافعون عن رسول الله ﷺ، وتقدم ابن قمئة فضرب رسول الله ﷺ على رأسه حتى دخلت حلقات المغفر^(٢) في وجهه ورسول الله ﷺ فدعا عليه وقال: أقمئناك الله، وتقدم أبو لهب ليقتل رسول الله ﷺ فضربه النبي بحربة أصابته في عنقه فمات منها عند عودتهم من القتال إلى قريش، وسقط رسول الله ﷺ في حفرة فكسرت رجله، وكانت لحظات حرجة في حياة رسول الله ﷺ

(١) المغازي للواقدي - ج ١ ص ٢٠٣.

(٢) الخوذة التي تحمي الرأس.

قضاهما وهو يدافع عن الدين، ولما أحس الصحابة برسول الله ﷺ تجمعوا حوله مرة أخرى، وكان أول المتجمعين أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم - أبو عبيدة بن الجراح -، فلما رأى الصديق حلقتنا المغفر في وجه رسول الله ﷺ والدم يسيل منه تقدم لينزعها بأسنانه، فاستحلفه أبو عبيدة أن يقوم هو بهذه المهمة وقال: نشدتك بالله (أي أستحلفك بالله) يا أبا بكر إلا تركتني قال: فأخذ بفيه، فجعل ينفضه (أي يخرج به حصرص) كراهية أن يؤذي رسول الله ﷺ ثم استل السهم بفيه، فندرت ثنية أبي عبيدة (أي سقطت) قال أبو بكر ثم ذهبت لآخذ الأخرى، فقال أبو عبيدة: نشدتك بالله يا أبا بكر إلا تركتني قال فأخذه فجعل ينفضه حتى استله، فندرت ثنية أبي عبيدة الأخرى، وبتجمع الصحابة مرة أخرى تراجع المشركون عن رسول الله ﷺ ولم يقدرُوا أن يصلوا إلى رسول الله ﷺ فانقلبوا خاسرين، مصدقين إشاعة مقتل رسول الله ﷺ وما قتلوه يقينا، وفي موقف يدل على ندالة الشرك، قام بعض الكفار بالتمثيل بجثث شهداء الصحابة وخاصة حمزة بن عبد المطلب، وانسحب الكفار ظنا منهم أنهم حققوا ما أرادوا فصرخ أبو سفيان في نهاية المعركة، وقال: أعلو هبل.

فقال الرسول الله ﷺ ألا تجيبونه.

فقال الصحابة: ماذا نقول يا رسول الله.

فقال: قولوا الله أعلى وأجل.

فقال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم.

وبلغ مجموع قتلى الكفار كما ذكر بن هشام سبعة وثلاثون لا اثنان وعشرون والله أعلم (١).

وكان الرسول ﷺ يدفن الرجلين، والثلاث في قبر واحد وذلك من قلة الأثواب، ومدافنهم الآن في مقبرة الشهداء بالقرب من جبل أحد في المدينة المنورة فرضي الله عنهم وأرضاهم، وجزاهم الله عنا خير الجزاء.

ومر الرسول ﷺ عند عودته بحمنة بنت جحش، فنعى لها أخاها عبد الله فاسترجعت له ثم نعى أخاها حمزة فاستغفرت له، ثم نعى لها زوجها مصعب بن عمير فولولت وصاحت، فقال: (إن زوج المرأة منها لمكان) ومر رسول الله ﷺ بامرأة من الأنصار قد أصيب أباهم وزوجها فلما نعى لها قالت:

ما فعل رسول الله ﷺ؟

قال: هو بحمد الله كما تحيين.

قالت: أرونيهِ، فلما نظرت إليه قالت: كُتِّ مصيبةٌ بعدك جليل.

وكان رجوعه إلى المدينة يوم السبت يوم الوقعة (٢).

وأنزل الله سبب ما أصاب المسلمين وما حل بهم، قال تعالى في سورة آل عمران:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِثْلُهُ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

(١) المرجع السابق ج- ٢ ص ١٢٢/١٢٣.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ٥٤.

وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ
الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ
الضَّالِّينَ ﴿١٤٢﴾ [آل عمران: ١٣٩ - ١٤٢]

ثم يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَذْنِهِ ۗ
حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلْنَا مَا
تُحِبُّونَ ۗ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ ثُمَّ
صَرَّفَكُمُ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۗ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٢﴾
﴿ إِذْ تَضَعُونَ وَلَا تَكُونُ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي
أُخْرَانِكُمْ فَأَتَيْتَكُمْ غَمًّا يَغْمِرُ لِكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا
أَصَابَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢ - ١٥٣]

❀ الدروس والعبر

١. قال الإمام النووي في زاد المعاد - قال ابن حجر - وكان في قصة أحد،
وما أصاب المسلمون فيها من الفوائد، والحكم الربانية أشياء عظيمة
منها، تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية، وشئوم ارتكاب النهي، لما
وقع من ترك الرماة موقعهم الذي أمرهم الرسول ﷺ أن لا يبرحوه
ومنها أن عادة الرسل أن تبلى وتكون لها العاقبة، والحكمة في ذلك أنهم
لو انتصروا دائماً، لدخل في المؤمنين من ليس منهم، ولم يتميز الصادق

٤. دور المنافقين على مر العصور في تاريخ الأمة الإسلامية يقف في صف أعداء الإسلام لذا يجب الحذر منهم وكشف مخططاتهم.
٥. من قاتل فليقاتل في سبيل الله، وبنية إعلاء كلمة الله، فقد قاتل رجل يقال له قزمان في غزوة أحد في صفوف المسلمين، وقتل من الكفار سبعة أو يزيد، ولما سئل لماذا تقاتل في صفوف المسلمين، قال أقاتل حمية عن بني قومي، ولما أصيب بجرح، أخذ سيفه، فوضعه بين صدره، ثم تحامل عليه وقتل نفسه، فكان من أهل النار، بعكس ذلك الأصرم الذي أسلم، ودخل المعركة فقاتل مع المسلمين، ولما جرح جرحاً كبيراً قيل له لماذا تقاتل؟ فقال دفاعاً عن الدين، فاخبر الرسول ﷺ أنه من أهل الجنة.
٦. الله ﷻ ناصر دينه مهما خطط ودبر أعداء الإسلام، فقد أوحى الله إلى نبيه أنه لن يسلط على هذه الأمة من يهلكها إلى يوم الدين.
٧. على قادة الأمة أن يربوا شعوبهم على الثبات عند المحن وأيام الشدائد.
٨. ضرورة التضحية من أجل الدين ولقد تجلت في هذه المعركة تضحيات الصحابة وسجلت بحروف من نور كأمثال، مصعب بن عمير، وعمرو بن الجموح، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وأبو دجانة، وحمزة بن عبد المطلب وغيرهم.

٩. الثبات حتى المات مهما مر عليك من لحظات ضعف أو مغريات فثبات أبو طلحة، وأبو دجانة، وسعد بن أبي وقاص، ونفر قليل أنقذ أمة بأكملها، وكتب الله لها الحياة بثبات أبنائها.

١٠. على الجنود في أرض القتال السمع والطاعة من قائدهم الذي يخاف الله، ويعرف طبيعة القتال أكثر منهم.

١١. النفس البشرية جبلت على حب المال، فعلى المرء أن يتحرى فيما يجمع لأنه سيحاسب عليه يوم القيامة.

١٢. لا يمكن إنكار دور المرأة في السلم والحرب فالصحايبات كن يخرجن يداوين الجرحى ويسقين الماء، ويقاتلن إذا احتاج الأمر لذلك وهذه السيدة أم عمارة التي قاتلت مع رسول الله، وأصابها في غزوة أحد ما يقارب العشرين سهما، فأين دوركن الآن آيتها الأخوات الفضليات.

١٣. وفي ثبات نسيبة أم عمارة، ووقوفها وزوجها وأولادها حول رسول الله ﷺ حين انكشف المسلمون يوم أحد، دليل من الأدلة المتعددة على إسهام المرأة المسلمة بقسط كبير من الكفاح في سبيل دعوة الإسلام، وهو دليل على حاجتنا اليوم إلى أن تحمل المرأة المسلمة عبء الدعوة إلى الله من جديد، لتدعو إلى الله في أوساط الفتيات والزوجات والأمهات، ولتنشئ في أطفالها حب الله ورسوله ﷺ، والاستمسك بالإسلام وتعاليمه، والعمل لخير المجتمع وصلاحه.

وما دام ميدان الدعوة شاغراً من الفتاة المسلمة الداعية، أو غير
 ممتلئ بالعدد الكافي منهن، فستظل الدعوة مقصرة في خطاها، وستظل
 حركة الإصلاح عرجاء حتى يسمع نصف الأمة - وهن النساء - دعوة
 الخير، ويستيقظ ضائرهن وقلوبهن حب الخير، والإقدام على الدين
 والإسراع إلى الاستمسك بعروته الوثقى^(١).

١٤. قوة الإيمان تجعل صاحبها يتلقى الفواجع بالصبر والاحتساب فلقد
 تلقت السيدة - صفية بنت عبد المطلب - نبأ قتل أخيها بالاحتساب
 ولما مثل به الكفار طلب الرسول ﷺ من ابنها الزبير بن العوام، أن يرد
 أمه ولا ترى جثة أختها حمزة، فقالت: ولم؟ وقد بلغني أن قد مثل
 بأخي، وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن ولأصبرن
 - إن شاء الله - فأتته فنظرت إليه ودعت له واسترجعت واستغفرت له.
 ١٥. دروس الصحابة في شدة حبههم لرسول الله، والدفاع عنه بالنفس
 والروح فطلحة وأبو دجانة يتترسان بجسديهما يحيطان برسول الله ﷺ،
 وأبو عبيدة بن الجراح تسقط أسنانه لينزع الحديد من وجه رسول الله
 ﷺ.

(١) السيرة النبوية دروس وعبر - د- مصطفى السباعي - ص ١٣٧.

١٦. الرسول ﷺ رفض أن يستعين باليهود في المعركة ضد الكفار، فلماذا يستعين بعض المنتسبين للإسلام بأعدائه على إخوانهم في العقيدة، فيأتي العدو فلا يرعى حرمة للعرض أو الدين.

١٧. الحرص على أداء العبادات في كل وقت حتى أثناء القتال، فقد صلى رسول الله ﷺ الظهر قاعداً نظراً لما أصيب به في هذا اليوم، وصلى خلفه المسلمون ولم يتركوا الصلاة.

١٨. علو منزلة الشهداء عند الله ﷻ فقد نال حنظلة الشهادة وكان جنباً فكان من إكرام الله له أن جعل الملائكة تغسله، فسمي بغسيل الملائكة.
١٩. أن المسلمين إذا قتلوا واحداً منهم في الجهاد يظنونه كافراً، فعلى الإمام ديته من بيت المال، لأن الرسول ﷺ أراد أن يدي - اليان أبا حذيفة - فأمتنع حذيفة من أخذ الدية، وتصدق بها على المسلمين^(١).

٢٠. يقول د. علي محمد الصلابي عن عوامل النصر والهزيمة في المقارنة بين غزوتي بدر وأحد تحدثت سورة الأنفال عن غزوة بدر بشيء من التفصيل، وتحدثت سورة آل عمران عن غزوة أحد لكي تتعلم الأمة كثيراً من المفاهيم، تتعلق بمفهوم القضاء والقدر، ومفهوم الحياة والموت ومفهوم النصر والهزيمة، ومفهوم الربح والخسارة، ومفهوم الإيمان والنفاق، ومفهوم المنحة والمحنة، ومن المفاهيم التي تعلمها

(١) زاد المعاد - لابن القيم - ج ٣ ص ١٩٦.

الصحابة رضي الله عنهم من خلال أحداث بدر وأحد وسورتي الأنفال وآل عمران، قوانين النصر والهزيمة، وهذه القوانين قد بيّنتها الآيات الكريمة ويمكن تلخيصها في النقاط التالية:

أ. النصر ابتداء وانتهاء، بيد الله عز وجل، وليس ملكاً لأحد من الخلق، يهبه الله لمن يشاء ويصرفه عن من يشاء، مثله مثل الرزق، والأجل والعمل: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ

إِلَّا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ [الأنفال: ١٠]

ب. وحين يقدر الله تعالى النصر، فلن تستطيع قوى الأرض كلها الحيلولة دونه، وحين يقدر الهزيمة، فلن تستطيع قوى الأرض أن تحول بينه وبين الأمة، قال تعالى: ﴿ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخَذِلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ [آل عمران: ١٦٠]

ت. ولكن هذا النصر له نواميس ثابتة عند الله عز وجل، نحن بحاجة إلى فقهاء، فلا بد أن تكون الراية خالصة لله سبحانه - عند الذين يمثلون جنده، قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَتُبَّتْ أَقْدَامُكُمْ ﴿٧﴾ [محمد: ٧] ونصر الله في الاستجابة له، والاستقامة على منهجه والجهاد في سبيله.

ث. ووحدة الصف ووحدة الكلمة أساس في النصر، قال تعالى:

وَأذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ [الأَنْفَال: ٤٥] وقال تعالى:

﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْاَدْبَارَ

﴿ ١٥ ﴾ [الأَنْفَال: ١٥]

ر. ولا شيء يعين على الثبات والصبر عند اللقاء مثل ذكر الله الكثير

باتجاه القلب إلى الله وحده منزل النصر، وطلب العون منه،

والتوكل عليه، وعدم الاعتماد على العدد أو العدة أو الذات،

والتبرؤ من الحول والقوة، هو عامل أساسي من عوامل النصر^(١).

قال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيْتَهُمُ فَتَةً فَاقْبُتُوا وَأذْكُرُوا اللَّهَ

كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ [الأَنْفَال: ٤٥].



(١) انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - د- علي محمد الصلابي - نقلا عن مجموعة من المراجع ص ١٢٠.



غزوة جمراء الأسد

انتهت غزوة أحد في يوم السبت السابع من شهر شوال، وفي يوم الأحد الثامن من شوال ٣هـ^(١)، خرج الرسول ﷺ لتعقب جيش الكفار، وكان الهدف من ذلك إشعار الكفار بقوة المسلمين، وهناك هدف آخر وهو حتى لا تفكر قريش في الرجوع إلى المدينة بعد ما أصاب المسلمين ما أصابهم يوم أحد فدمائهم ما زالت تسيل.

وبالفعل فكر أبو سفيان بن حرب بالعودة إلى المدينة، لولا أن صفوان بن أمية حذره من قتال الذين تخلفوا عن محمد، وجلسوا في المدينة، ورغم ذلك صمم أبو سفيان على العودة إلى المدينة، وفي هذه الأثناء جاء معبد بن أبي معبد الخزاعي الذي أرسله الرسول ﷺ لتخذيل الكفار، رغم أنه كان على الشرك، فقال له أبو سفيان: ما وراءك يا معبد؟ فقال معبد (وقد شن عليه حرب أعصاب دعائية عنيفة): محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط

(١) المغازي للواقدي - ص ٣.

يتحرقون عليكم تحرقا، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم، وندموا على ما ضيعوا، فيهم من الخنق^(١) عليكم شيء لم أر مثله قط.

قال أبو سفيان: ويحك، ما تقول؟

قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى يطلع أول الجيش من وراء هذه الأكمة^(٢).

فقال أبو سفيان: والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم.

قال: فلا تفعل: فإني ناصح.

وحينئذ انهارت عزائم جيش المشركين، وأخذ الفزع والرعب، فلم ير العافية إلا في مواصلة الانسحاب والرجوع إلى مكة، لكن أبا سفيان بن حرب قام بحرب أعصاب معاكسة ضد الجيش الإسلامي لعله ينجح في كفهم عن مواصلة المطاردة لجيشه، وبالتالي تجنب هذه المواجهة مع المسلمين، لذا لما مر به ركب من عبد القيس يريد المدينة، فقال: هل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة وأوقر^(٣) لكم راحلتكم هذه زيبا بعكاظ إذا أتيتم إلى مكة؟

قالوا: نعم.

قال: فأبلغوا محمداً أنا قد أجمعنا الكرة؛ لنستأصله ونستأصل أصحابه.

فمر الركب برسول الله ﷺ وأصحابه، وهم بحمراء الأسد،

فأخبروهم بالذي قاله أبو سفيان، وقالوا: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم،

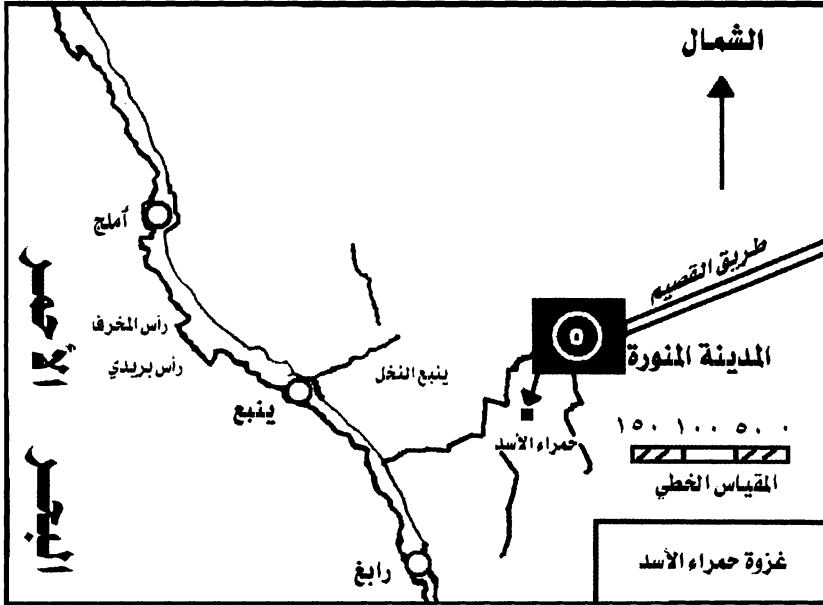
(١) الخنق: شدة الغيظ.

(٢) المكان المرتفع.

(٣) - أملاً.

فزاد هذا القول المسلمين حماسة وإيماناً، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (١٧٣) فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسَهُمْ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤]

ولا ينبغي أن تمر علينا هذه الغزوة دون أن نتعلم منها أن الذكاء الفطري للقائد قد يجنب شعبه وقومه، الكثير من المحن، ففطنة رسول الله ﷺ وخروجه من المدينة، واستخدامه لأحد الحلفاء جنب المدينة كلها مزيداً من الدماء.





أهم الأحداث الاجتماعية في العام الثالث الهجري

١. زواج النبي ﷺ من أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه في شهر شعبان، ففي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:
أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة بنت عمر، فقال: سأنظر في أمري، فلبثت ليالي، ثم لقيني فقال: قد بدا لي ألا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق، فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر فصمت أبو بكر الصديق رضي الله عنه فلم يرجع إلي شيئاً، فكنت عليه أوجد مني على عثمان. فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحها إياه، فلقيني أبو بكر فقال: لعلك وجدت عليّ حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال عمر: نعم، قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليّ، إلا أني كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ، ولو تركها رسول الله قبلتها^(١).
٢. زوج النبي ﷺ بنته أم كلثوم لعثمان بن عفان رضي الله عنه بعد أن ماتت رقية لذا سمي بذي النورين.

(١) رواه البخاري - كتاب النكاح - رقم الحديث ٥١٢٢.



**أهم أحداث العام
الرابع الهجري**





وأد فتنه خالد بن سفيان الهذلي

وفي نفس الشهر شهر الله المحرم أرسل الرسول ﷺ عبد الله بن أنيس للقضاء على خالد بن سفيان الهذلي الذي أراد أن يجمع الناس في الحج لقتال المسلمين فجاء إليه وقتله، وأتى برأسه إلى رسول الله ﷺ وهذا مثال للشجاعة المنقطعة النظير لأن عبد الله بن أنيس، قتل هذا الرجل، وهو بين هذا الجمع الغفير من أتباعه، وبذلك أطفأ فتنه عظيمة، لأن القوم تشتتوا ولم يجتمعوا على زعيم بعده.





فاجعة الرجيع

في شهر صفر عام ٤هـ أرسل الرسول ﷺ رهط^(١) من الصحابة وجعل على قيادتهم عاصم بن ثابت ومهمتهم، أن يعلموا القرآن لمن أسلم من عضل وقارة، وقيل بأن السبب هو أن بني لحيان وهم حي من هذيل، مشت إلى عضل والقارة، وجعلت لهم جعلاً ليخرجوا إلى رسول الله ﷺ ويطلبوا منه أن يخرج معهم من يدعوهم إلى الإسلام ويفقههم في الدين، فيكمنوا لهم ويأسروهم ويصيبوا بهم ثمناً في مكة^(٢) فلما كانوا بالرجيع، وهو ماء لهذيل بناحية الحجاز - بين رابع وجده - خرج عليهم بنو لحيان وقتلوا منهم سبعة ففي الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: (بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشْرَةَ رَهْطٍ سَرِيَّةً عَيْنًا وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَأَنْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْهَدَاةِ وَهُوَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذُكِرُوا لِحِيٍّ مِنْ هَذِيلٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لَحْيَانَ فَنَفَرُوا لَهُمْ قَرِيبًا مِنْ مَائَتِي رَجُلٍ كُلُّهُمْ رَامٍ فَأَقْتَصُوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَا كُلُّهُمْ تَمَرًا تَزَوَّدُوهُ مِنَ الْمَدِينَةِ فَقَالُوا هَذَا تَمَرٌ يَثْرَبُ فَأَقْتَصُوا

١ - الرهط ك الجماعة دون العشرة .

(٢) رواه البخاري - رقم الحديث - رقم الحديث - ٤٠٨٦ .

مَا أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ اللَّهُ مَصْرَعِي وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ^(١) مُمَزَّعٍ فَقَتَلَهُ ابْنُ الْحَارِثِ فَكَانَ حُبِيبٌ هُوَ سَنُّ الرَّكْعَتَيْنِ لِكُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لِعَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ يَوْمَ أُصَيْبَ فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ خَبْرَهُمْ وَمَا أُصِيبُوا وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمٍ حِينَ حَدَّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ لِيُؤْتُوا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ وَكَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ عَظْمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ فَبَعَثَ عَلَى عَاصِمٍ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ^(٢) فَحَمَّتُهُ مِنْ رَسُوْلِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَقْطَعَ مِنْ لَحْمِهِ شَيْئًا^(٣).

وسرية القراء تعلمنا درساً عظيماً في أهمية وجود الكوادر الدعوية من حفظة القرآن الكريم والتوسع في إنشاء حلقات حفظ كتاب الله ﷻ حتى إذا مات صف أو سافر أو حدث له شيء؛ أكمل من بعده المسيرة على هدى ونور. وفي قصة بعث الرجيع درس في الاستبسال والدفاع عن الدين حيث صمد ثلاثة من القراء أمام مئة حتى استشهدوا. وفي هذه القصة أيضاً ما يؤيد ما نذهب إليه من أن القلة أو الكثرة في حروب المسلمين في الصدر الأول، لم يكونوا يحسبون لها حساباً لأنهم على خير أمرين إما النصر، وإما الظفر بالشهادة، وكلا الأمرين محبوب ومرغوب^(٤).

(١) - الشلو: قطعة من اللحم.

(٢) - الدبر: الزنابير.

(٣) - صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - رقم الحديث ٢٨١٨.

(٤) - حكم وأحكام من السيرة النبوية - عبد الغني خياط - ص ٣٣.



جائحة بئر معونة

وفي نفس الشهر حدثت فاجعة أخرى لا تقل عن مصاب المسلمين في أحد، وهي فاجعة بئر معونة حيث جاء عامر بن مالك إلى المدينة فدعا الرسول ﷺ إلى الإسلام، فلم يسلم، ولم يترك، بل قال: يا رسول الله ابعث أصحابك إلى أهل نجد يدعونهم إلى الإسلام، فبعث رسول الله ﷺ سبعين رجلاً من القراء وأمر عليهم المنذر بن عمرو، فكانوا يحتطبون في النهار، ويقومون الليل حتى وصلوا إلى بئر معونة، فأرسلوا إلى عامر بن الطفيل، بكتاب رسول الله ﷺ فلم ينظر فيه وأمر رجلاً فقتل حامل الرسالة، وهو حرام بن ملحان، فقال حرام: فزت ورب الكعبة.

ثم استنفر على الباقيين (عصية، ورعل، وزكوان) وأحاطوا بالصحابة فقتلواهم إلا كعب بن زيد الذي استشهد يوم الخندق.

وكان قد تخلف عن هذه المجموعة عمرو بن أمية الضمري، والمنذر بن عقبة بن عامر، حيث كانا في رحال الصحابة، فلما رأيا الطير تحوم حول موضع القتل، علموا أن هناك أمراً قد حدث، فذهبا إلى ذلك المكان فوجدا الفاجعة رأي العين، فأما المنذر فقاتل حتى قتل، وأما عمرو بن أمية الضمري، فأخذوه

أسيراً فأعتقه الطاغية عامر بن الطفيل برقة كانت على أمه، فرجع عمرو بن أمية الضمري، بهذا المصاب الأليم إلى رسول الله ﷺ، وفي طريق عودته قتل رجلين عن طريق الخطأ ظن أنهما من بني عامر، واتضح أنهما من بني كلاب، حلفاء النبي ﷺ فلما جاء إلى النبي ﷺ ذهب ليجمع دين هذين القتيلين وطلب مساعدة اليهود.

وظل النبي ﷺ يدعو على - عصية ورعل وذكوان - ثلاثين يوماً ففي الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (قَالَ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الَّذِينَ قَتَلُوا يَعْني أَصْحَابَهُ بِبُئْرِ مَعُونَةَ ثَلَاثِينَ صَبَاحًا حِينَ يَدْعُو عَلَى رِغْلٍ وَحَيَّانَ وَعُصِيَّةَ عَصَتْ اللَّهُ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ) (١).

وتدل هذه الأحداث على أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى توضيحات قال

تعالى: ﴿الْمَرْءُ (١) أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكَوْا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٢) وَلَقَدْ فَتَنَّا

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (٣)﴾ [العنكبوت: ١ - ٣]

والتوضيحية قد تكون بالنفس أو المال أو الوقت، وقد تكون بهم جميعاً، وعلى المرء أن يبذل وسعه في خدمة الدين، وليعلم أن ثواب ذلك عظيم عند الله ﷻ الذي لا يضيع أجر المحسنين، ومن يتأمل استشهاد الصحابي الجليل حرام بن ملحان (رضي الله عنه) في حادثة بئر معونة يتعجب بل يلوم نفسه، ويبيكي على حاله عندما يرى كيف أن الصحابة كانوا يحملون هم الإسلام حتى الرمق الأخير من حياتهم

١ - صحيح البخاري - كتاب المغازي - رقم الحديث ٢٧٨٦



إجلاء يهود بني النضير

قال ابن هشام: وذلك في شهر ربيع الأول فحاصرهم ست ليال ونزل تحريم الخمر^(١).

واختلف الرواة وأهل السير والمغازي في توقيت إجلاء يهود بني النضير فعند البخاري أنها كانت بعد غزوة بدر، وعند ابن اسحاق أنها كانت بعد حادثة بئر معونة، وقتل عمرو بن أمية الضمري للرجلين المعاهدين.

قال ابن اسحاق: ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بني النضير يستعينهم في دية ذلك القتيلين من بني عامر، الذي قتلها عمرو بن أمية الضمري، فلما أتاهم قالوا نعم يا أبا القاسم، نعيناك على ما أحببت، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه، ورسول الله ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد، فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقي عليه صخرة، ويرميحنا منه؟^(٢)

(١) السيرة النبوية - ابن هشام ص ٤٨٢.

(٢) - المرجع السابق ص ٤٨٢.

الغزوة بقطع و حرق نخيلهم، وقد يقول قائل كيف يأمر رسول الله ﷺ بقطع و حرق النخيل وهو الذي كان يأمر أصحابه بعدم حرقها أو إتلافها؟! والإجابة على ذلك نقول أن تعاليم الإسلام تدعوا إلى الحفاظ على الممتلكات وعدم التعدي عليها، وهذا من سمو تعاليمه، وأما الأمر هنا بحرق النخل، لأن المقاتلين من اليهود كانوا يرتقون عليها؛ ويوجهون نبالهم وسهامهم نحو المسلمين، ولم يكن هناك حلا لهذه المشكلة إلا بحرق النخل أو قطعة لمنع هؤلاء من إصابة المسلمين، لذا لما قطع المسلمون النخل ظهرت لهم الرؤيا وفر المقاتلون إلى داخل حصونهم، واستسلموا للمسلمين.

فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل والتحريق فيها، فنادوه: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعييه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْسَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْهَا فَأَيَّمَهُ عَلَىٰ أَصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَيُخْرِجُ الْفَاسِقِينَ ﴾ [الحشر: ٥] (١)

قال: الدكتور/ على محمد الصلابي:

وقد توسع الشيخ محمد أبو زهرة في شرح هذه الآية فقال ما ملخصه بعد أن ساق آراء الفقهاء في ذلك: والذي ننتهي إليه بالنسبة لما يكون في الحرب من هدم وتحريق وتخريب أنه يستفاد من مصادر الشريعة وأعمال النبي ﷺ في حروبه:

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٨ / ٣٤).

١. أن الأصل هو عدم قطع الشجر وعدم تخريب البناء؛ لأن الهدف من الحرب ليس إيذاء الرعية، ولكن دفع أذى الراعي الظالم وبذلك وردت الآثار.

٢. أنه إذا تبين أن قطع الشجر وهدم البناء توجه ضرورة حربية لا مناص منها كأن يستتر العدو به ويتخذة وسيلة لإيذاء جيش المؤمنين، فإنه لا مناص من قطع الأشجار وهدم البناء، على أنه ضرورة من ضرورات القتال، كما فعل النبي ﷺ هنا وفي حصن ثقيف.

٣. أن كلام الفقهاء الذين أجازوا الهدم والقلع يجب أن يخرج على أساس هذه الضرورات، لا على أساس إيذاء العدو والإفساد المجرد، فالعدو ليس الشعب، إنما العدو هم الذين يحملون السلاح ليقاتلوا (١).

٤. أن من عصى الله وحارب رسوله؛ يعرض نفسه للهوان والذلة مهما كانت قوته، ومهما كانت حصونه، فإن بني النضير كانوا كانوا على حال من القوة والتمكين في الأرض، لا يخطر على بالهم أن يستطيع أحد أن يزلزهم من منازلهم، ولم يخطر على بال غيرهم أن أحداً يستطيع إجلاء بني النضير لقوة بأسهم، وشدة شكيمتهم، وكثرة أموالهم ونخيلهم

(١) انظر: خاتم النبیین للشیخ محمد أبو زهرة (٢/ ٢٦٥-٢٦٩). نقلاً من: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث

وسلاحهم، واستحكام حصونهم، وقلاعهم، ولم يُجد^(١) معهم شيء من أسباب قوتهم، ودفاعهم، وأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا^(٢).



(١) معني كلمة يُجد: ينفذ

(٢) القصص الحق في سيرة سيد الخلق محمد ﷺ - د. عبد القادر شيبه الحمد - ص ٢٧٩.



أهم الأحداث الإجتماعية والتشريحية البارزة في العام الرابع

١. زواج الرسول ﷺ من زينب بنت خزيمة من بنى هلال بن عامر بن صعصعة، وكانت تسمى - أم المساكين-، لرحمتها أياهم ورقتها عليهم، كانت تحت عبد الله بن جحش، فاستشهد في أحد، فتزوجها رسول الله ﷺ سنة ٤ هـ. مات بعد الزواج بنحو ثلاثة أشهر في ربيع الآخر سنة ٤ هـ، فصلى عليها النبي ﷺ، ودفنت بالبقيع.

٢. زواج الرسول ﷺ من أم سلمة هند بنت أبي أمية، كانت تحت أبي سلمة، وله منها أولاد، ومات ﷺ في جمادى الآخر سنة ٤ هـ، فتزوجها رسول الله ﷺ في ليال بقين من شوال السنة نفسها، وكانت من أفضه النساء وأعقلهن. توفيت سنة ٥٩ هـ، وقيل: ٦٢ هـ ودفنت بالبقيع، ولها ٨٤ سنة^(١).

٣. مولد الحسن بن علي ؑ.

قال الإمام القرطبي ؑ: ولد الحسن في شعبان من السنة الرابعة وعلى هذا ولد الحسين قبل تمام السنة من ولادة الحسن، ويؤيده ما ذكره الواقدي أن فاطمة علقت بالحسين بعد مولد الحسن بخمسين ليلة.

(١) الرحيق المختوم - صفى الدين المباركفوري ص.



تقليم أظافر الظالمين

أسلفنا أن من نتائج غزوة أحد أن البدو والأعراب طمعوا في المدينة المنورة، وظنوا أنهم يستطيعون أن يغيروا عليها ظنا منهم أن شوكة المسلمين قد كسرت، ولكن هيهات، فعندما علم الرسول ﷺ بتجمع بني محارث، وبني ثعلبة وغطفان، لقتال المسلمين فعتد خراج إليهم وشتت شملهم.
غزوة بدر الموعد:

خرج رسول الله ﷺ في شهر ذي القعدة عام ٤هـ^(١) إلى بدر ومعه ألف وخمسة مقاتل، للقاء قريش حسب الميعاد المتفق عليه، وخرج أبو سفيان بجيشه، ولما بلغ مكان يقال له مر الظهران، تشاور مع أصحابه في أمر القتال وتعللوا بقلّة العشب، وقلّة الطعام، ورأي أبو سفيان بالعودة إلى مكة دون قتال ولقد وجد هذا الرأي استجابة واضحة منهم فرجعوا، وبقي الرسول ﷺ ثمانية أيام في بدر ثم رجع إلى المدينة.

١ المغازد للواقدي - - ص ٣.

وهذا ما عرف بغزوة بدر الموعد أو الآخرة، وتوضح بجلاء ان المسلمين قد استردوا عافيتهم، وأن ما أصابهم في أحد كان تمحيصاً لهم، وعليهم أن يتمسكوا بعقيدتهم، وقيادتهم.





**أهم أحداث العام
الخامس الهجري**





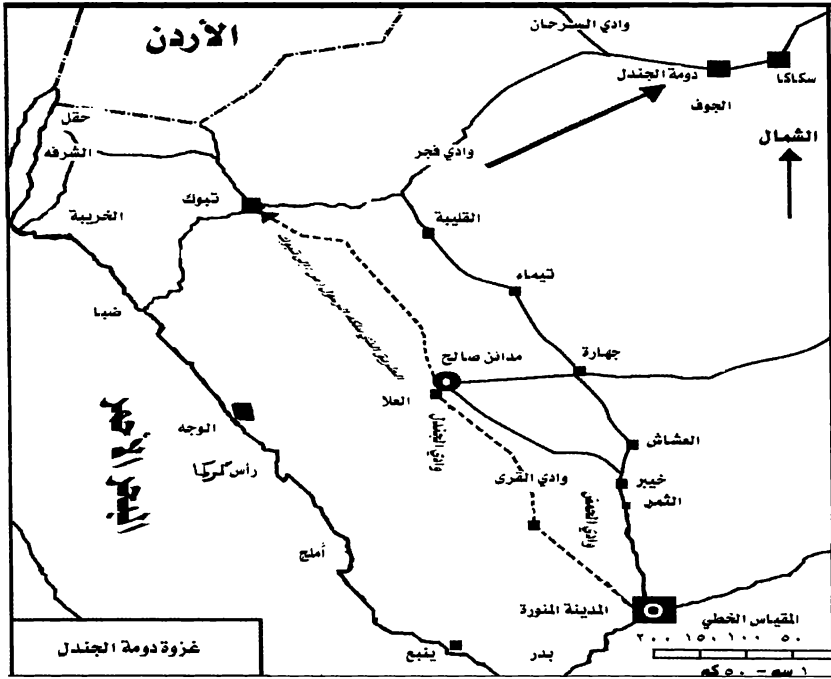
غزوة بومة الجندل

خرج الرسول ﷺ في ربيع الأول عام ٥، لتأديب القبائل القريبة من بلاد الشام، بعد أن علم أنهم يعدون العدة لغزو المدينة، ولما علمت هذه القبائل بطلائع جيش المسلمين تفرقوا، ولم يجد الرسول ﷺ من بأس فمكث فيهم عشرة أيام ثم رجع بالصحابة إلى المدينة المنورة، فأقام بها بقية سنته^(١).

وبذلك اكتسب الإسلام أرضاً جديدة، ولما شعر اليهود بوصول الرسول ﷺ إلى هذه المناطق دخلهم الخوف و أحسوا بالخطر على حياتهم من جديد ففكروا في تأليب الأحزاب للخلاص من المسلمين.

ولقد كانت هذه الغزوة بداية للمواجهات التالية بين المسلمين والروم نظراً لوقوع هذه الأراضي على الأطراف الشمالية لجزيرة العرب، وكانت تمهيداً لعالمية الإسلام والخروج به إلى مختلف بلاد العالم، وكان لوجود الرسول ﷺ مع الصحابة الكرام في هذه المعركة الأثر الكبير في طمأنينة النفس وعدم والخوف والاستعداد لحمل راية الإسلام في كل مكان من أرض الله.

(١) السيرة النبوية، لابن هشام ص ٤٩٤.





إشكال وتوضيح وتحقيق

حول غزوتي بني المصطلق و ذات الرقاع

١. ذكر الواقدي وقوع غزوة ذات الرقاع في شهر المحرم من العام الرابع للهجرة، بينما قال ابن كثير رحمه الله: أن وقوع غزوة ذات الرقاع كان قبل الأحزاب فيه نظر، وقد ذهب البخاري إلى أنها كانت بعد غزوة خيبر واستدل على أن أبا موسى الأشعري شهدها^(١). قلت والثابت أن أبا موسى الأشعري أسلم في العام السابع وفي أثناء وجود النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر.
٢. ذكر الشيخ محمد الغزال رحمه الله في كتابه فقه السيرة: أن كتاب السيرة يرون أن (حديث الإفك) وغزوة بني المصطلق كانا بعد الخندق، لكننا تابعنا ابن القيم في اعتبارهما من حوادث السنة الخامسة قبل هجوم الأحزاب على المدينة، والتحقيق يساند ابن القيم، ومتابعته، فستعلم أن سعد بن معاذ قتل في غزوة الأحزاب، مع أن لسعد بن معاذ في غزوة بني المصطلق شأناً يذكر إذ أن الرسول صلى الله عليه وسلم اشتكى إليه عمل ابن أبي، ولا يتفق أن يستشهد

(١) البداية والنهاية - لابن كثير - ج١ ص ٧١٦.

سعد بن معاذ في غزوة الخندق، ثم يحضر بعد ذلك في بني المصطلق لو صح أنها وقعت في السنة السادسة^(١).

أما الشيخ صفي الدين المباركفوري في كتابه الرحيق المختوم فيرى أن غزوة بني المصطلق من أحداث العام السادس على الأصح، ودليله أن ما ثبت في حديث الإفك، أنه كان بعد نزول آية الحجاب، وآية الحجاب نزلت في شأن زينب بنت جحش، وزينب بنت جحش إذ ذاك^(٢) كانت تحت رسول الله ﷺ لأنها قالت في شأن عائشة فقالت: أحمي سمعي وبصري^(٣) وعلى ذلك فإن حادثة الإفك كانت بعد زواج الرسول ﷺ من السيدة زينب وليس قبلها^(٤).

وقال الشيخ الألباني رحمه الله في تحقيقه لأحاديث كتاب فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي رحمه الله لعله وهم أو سبق قلم، فإن المشتكى إليه في غزوة بني المصطلق هو أسيد بن الحضير كما في سيرة ابن هشام^(٥).
لذا فإن النفس تطمئن أيضاً إلى ما ذكره ابن هشام والألباني والمباركفوري من أن غزوة بني المصطلق كانت في السنة السادسة والله أعلم.

(١) فقه السيرة - محمد الغزالي - ص ٢٩٣.

(٢) في ذلك الوقت.

(٣) أي أنها سكنت عن الخوض في هذا الأمر.

(٤) الرحيق المختوم - صفي الدين المباركفوري ص ٢٩٨.

(٥) فقه السيرة - محمد الغزالي - ص ٢٩٣.



غزوة الأحزاب (الخطبة)

الحصار والجوع والخيانة، والثبات والنصر

ذهب جمهور أهل السير والمغازي إلى أن غزوة الأحزاب كانت في شهر شوال من السنة الخامسة^(١)، وذهب الواقدي إلى أنها كانت في شهر ذي القعدة^(٢).

أسباب الغزوة

قال ابن اسحاق: خرج وفد من اليهود فيهم حبي بن أخطب، وسلام بن حقيق النضري، وكنانة بن الربيع، وهوذ بن قيس الوائلي، وأبو عمارة الوائلي في نفر من بني النضير، فأتوا قريشاً يجرسونهم على غزو الرسول ﷺ ويؤلبونهم عليه، فقالت قريش لهم: أنتم أهل الكتاب الأول، أفديننا خير أم دين محمد فقالوا: بل دينكم خير من دين محمد، وفي ذلك أنزل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كَفَرُوا هَتُّوْا لَهُمْ نَصِيحًا مِّنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن نَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا ۗ﴾ (٥٢) ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيحٌ مِّنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ۗ﴾ (٥٣) ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ

(١) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية - ص ٤٤٣.

(٢) انظر: المغاري للواقدي - ص ٣.



مسجد الفتح ففي موضع هذا المكان دعا الرسول ﷺ على الأحزاب فاستجيب له، ويقع عند المساجد السبعة القريبة من جبل سلع، ومسجد الفتح هو أعلامهم.

ويلغ الخوف أشده حين غدر يهود بني قريظة بالمسلمين وتحالفوا ومع الكفار، وبذلك أصبح المسلمون محاصرين من الأمام بالأحزاب ومن الخلف ببني قريظة، الذين لم يكتفوا بخيانه العهد، بل أرادوا كذلك أن ينتهكوا أعراض المسلمات في دلاله على الخسة والندالة، وانحطاط الأخلاق الإنسانية حين لا يكون للمرء وازع من حياء أو دين يعصمه من الوقوع في المحرمات، فلقد علم اليهود أن جنود المسلمين منشغلة بالوقوف في وجه الأعداء، فأرادوا أن يذهبوا إلى حصن النساء فتسلق أحدهم الجدار ليصل إليهن، فرأته السيدة - صفية بنت عبد المطلب ﷺ فألقت عليه جذع نخلة فسقط قتيلًا إلى من أرسله، فهرب الباقون وظنوا أن هناك رجالاً كثيرون يحمون هؤلاء النسوة، ولما علم المسلمون

وحاصرت الأحزاب المسلمين لمدة عشرين يوماً ولما اشتد الحصار أراد الرسول ﷺ أن يفاوضهم على ثلث ثمار المدينة، وينقلبوا دون قتال، فلما استشار السعدين سعد بن معاذ، وسعد بن عباد فقال له سعد بن معاذ: يا رسول الله قد كنا وهؤلاء على الشرك بالله، وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة واحدة إلا قرى أوبيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له، وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا: ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال النبي ﷺ أنت وذاك^(١).

وفي هذه الأثناء أسلم نعيم بن مسعود سراً، فخذل بين الأحزاب واليهود، وأوقع الخلاف بينهم فقد جاء إلى النبي ﷺ وقال يا رسول الله: إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فمروني ما شئت، فقال رسول الله ﷺ: إنما أنت رجل واحد، فخذل عنا ما استطعت، فإن الحرب خدعة، فذهب من إلى بني قريظة، وكان صاحباً لهم في الجاهلية، وقال لهم: قد عرفتم ودي إياكم قالوا: صدقت. قال: فإن قريشاً ليسوا مثلكم، البلد بلدكم فيه أموالكم وأبناؤكم ونسأؤكم، لا تقدر أن تتحولوا منه إلى غيره، وإن قريشاً، وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونسأؤهم بغيره، فإن أصابوا فرصة انتهزوها، وإلا لحقوا ببلادهم وتركوكم

(١) البداية والنهاية - لابن كثير - ج١ ص ٩٢٧.

ومحمدا فانتقم منكم، قالوا فما العمل يا نعيم؟ قال: لا تقاتلوا معهم حتى يعطوكم رهائن. قالوا: لقد أشرت بالرأي.

ثم مضى نعيم سريعا إلى قريش، وقال لهم: تعلمون ودي ونصحي لكم؟ قالوا: نعم، قال: إن يهود قد ندموا على ما كان منهم من نقض عهد محمد وأصحابه، وإنهم قد راسلوه أنهم يأخذون منكم رهائن يدفعونها إليه، ثم يوالونه عليكم، فإن سألوكم رهائن فلا تعطوهم ثم ذهب إلى غطفان فقال لهم مثل ذلك.

فلما كان ليلة السبت من شوال سنة ٥ هـ بعثوا إلى يهود: أنا لسنا بأرض مقام، وقد هلك الكراع^(١)، والخنف^(٢)، فانهضوا بنا حتى نناجز محمدا، فأرسل إليهم اليهود أن اليوم يوم السبت، وقد علمتم ما أصاب من قبلنا حين أحدثوا فيه، ومع هذا فإننا لا نقاتل معكم حتى تبعثوا إلينا رهائن.

فلما جاءتهم رسلهم بذلك قالت قريش وغطفان: صدقكم والله نعيم فبعثوا إلى يهود: إنا والله لا نرسل إليكم أحدا، فخرجوا معنا حتى نناجز محمدا فقالت قريظة: صدقكم والله نعيم، فتخاذل الفريقان ودبت الفرقة بين صفوفهم، وقرر المشركون الرحيل تاركين اليهود لقدرهم المحتوم، وأراد النبي ﷺ أن يستوثق من خبر رحيلهم فأرسل حذيفة بن اليمان ؓ ففي الحديث الذي أخرجه مسلم من حديث إبراهيم التيمي عن أبيه قال كنا عند حذيفة فقال

(١)- الخيل.

(٢)- الإبل.

رَجُلٌ لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ فَقَالَ حُدَيْفَةُ أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ لَقَدْ رَأَيْتَنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ وَأَخَذْتَنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرْ (١) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَيْرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَسَكَنَّا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَيْرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَسَكَنَّا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَيْرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَسَكَنَّا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ فَقَالَ قُمْ يَا حُدَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَيْرِ الْقَوْمِ فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ قَالَ أَذْهَبَ فَأْتِينِي بِخَيْرِ الْقَوْمِ وَلَا تَدْعُرْهُمْ عَلَيَّ فَلَمَّا وُلِّيتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصِلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَيْدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا تَدْعُرْهُمْ عَلَيَّ وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَامِ فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَيْرِ الْقَوْمِ وَفَرَعْتُ قُرْزُتُ فَالْبَسَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عِبَادَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ قُمْ يَا نَوْمَانُ

(٢) رواه مسلم

وبعد رحيل جيش الأحزاب قال الرسول ﷺ الآن نغزوهم ولا يغزونا.

وفي هذه الغزوة أنزل الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا

أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ

(١) البرد.

(٢) صحيح مسلم - كتاب الجهاد والسير - باب غزوة الأحزاب ٠ رقم الحديث ٣٣٤٣.

وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا

زَلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ [الأحزاب: ٩ - ١١]

ثم يصف موقف المنافقين وتحذيلهم وانسحابهم من المعركة، ثم يقول في وصف المؤمنين: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٢٥﴾ [الأحزاب: ٢٢ - ٢٥]

ويلاحظ أن عدد القتلى من الجانبين في غزوة الأحزاب كان قليلاً فقد قتل من المسلمين ستة، ومن المشركين عشرة، بينما قتل واحد أو اثنين منهم بالسيف في محاولة عبور الخندق الفاشلة، ورمي سعد بن أبي وقاص بسهم فدعا ربه أن لا يموت حتى يشفي صدره من اليهود.

الدروس والعبر من غزوة الأحزاب..

١. قال الإمام النووي معلقاً على غزوة الأحزاب (أنه ينبغي للإمام وأمير

الجيش بعث الجواسيس والطلائع لكشف خبر العدو) (١).

(١) صحيح مسلم بشرح النووي - المجلد السادس - ص ٣٨٧.

٢. أثبتت غزوة الأحزاب أن الحقد مرض خطير، فالحاسد لا يرضى إلا بزوال النعمة عن من يكرهه، ويبدل كل ما في وسعه حتى ينال مراده فحيي بن أخطب الذي حقد على الرسول ﷺ من اليوم الأول، فلم يفكر يوماً أن تصفو العلاقة بينه وبين رسول الله ﷺ ونفذ مقولته وشعاره الذي لقي مصرعه بسببه وهو (عداوة محمد ما دمت حيا).
٣. أثبتت غزوة الأحزاب أن الحقد يولد الكفر والكذب والبهتان، لذا لم سئل اليهود عن أيهما أحق بالإتباع دين محمد أم دين الكفار، فقالوا: بل دين الكفار أحق بالإتباع من دين محمد.
٤. خطورة المنافقين على الأمة فهم الطابور الخامس المندس بين المسلمين لذا لما دعاهم الرسول ﷺ بالوقوف مع المسلمين في حفر الخندق تعلقوا بالبرد، وقلة الطعام وغيرها من الأسباب الخسيئة.
٥. أظهرت الغزوة رباطة جأش المسلمين وقوة عزمهم، وتوحدتهم خلف نبهم على الرغم من الجوع والحصار، بعكس اليهود الذين قالوا لنبي الله موسى ﷺ **فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هُنَا قَاعِدُونَ** [المائدة: ٢٤].
٦. الحصار سلاح قديم كثيراً ما يستخدم ضد الأمة الإسلامية بداية من شعب أبي طالب إلى أن يرث الله ومن عليها، طالما سحنت الفرصة لأعداء الله أن يستخدموه، فيجب الحذر والحيلة، وأخذ ذلك في الحسبان.

٧. إظهار المعجزات على أيدي الأنبياء والمرسلين أثناء الأزمات يزيد في ثبات المؤمنين وتمسكهم بعقيدتهم، فقد كثر الطعام القليل ببركة دعاء النبي ﷺ.

٨. مشاركة القائد في العمل الميداني وعدم التعالي على الزملاء يزيد من توحيد الصفوف وتآلف القلوب، وانسجام المشاعر، فيعمل الجميع بروح الفريق، فلا يدب في قلوبهم اليأس، بل يزيد في قلوبهم الأمل في تحقيق النصر المبين.

٩. أثبتت غزوة الأحزاب أن اليهود ليس لهم عهد ولا ميثاق، ولا أدري ما هو السر في الجري وراء مؤتمراتهم الذي لا نأخذ منها إلا المزيد من ضياع الأرض والكرامة.

١٠. عزة المؤمن وكرامته وتمسكه بعقيدته تجعله يكره الظلم والخنوع والاستسلام والتفريط في الحقوق، فقد رفض السعديين المساومة على أقوات المدينة للكفار، ولا ادري لماذا تعطى الآن مقدرات وخيرات الشعوب لأعدائها بدعوى الحماية وغيرها، فالحامي هو الله.

١١. الحرب خدعة، وعلى القائد أن يستخدم جميع أسلحته في تحقيق الأمن لمجتمعة ليعيش في أمن وسلام.

١٢. العناية الإلهية تتدخل في الوقت المناسب في صالح المؤمنين، فالله لن يترك الدين يضيع، ولكن على المؤمنين أن يبذلوا طاقتهم، ويخلصوا في دعوتهم.

١٣. رعاية الله للأمة الإسلامية، وإرساله الآيات تأييداً للمؤمنين فالريح والماء من جنود الله يسلطنها على من يشاء من عباده، فلا يغتر أحد بصبر الله وحلمه على عباده المذنبين.

١٤. في حفر الخندق أمر هام للدعاة وهو تنوع مصادر إطلاعهم بحيث يخدمون الدعوة على الوجه المطلوب، فالخندق كان أسلوباً جديداً في فنون القتال في ذلك الزمان، لذا فإن الداعية الآن يستطيع أن يعد البرامج أو يستخدم الصحافة والانترنت في نشر الإسلام والتعريف به.

١٥. على الأمة أن تأخذ بالتقنيات الحديثة في حماية أراضيها من الأعداء والمهربين وغيرهما من المتربصين بالأمة الشر.

١٦. في هذه الغزوة تعليم للقادة أن لا يتميزوا عن جنودهم فهذا رسول الله ﷺ لو قعد عن حفر الخندق، واكتفى بالإشراف، والتوجيه لما لاهم أحد، ولكنه ﷺ كان يشاركهم في جوعهم، ويربط على بطنه الحجر وكان يحمل التراب بنفسه ﷺ بأبي هو وأمي^(١).

(١) وقفات تربوية مع السيرة النبوية - أحمد فريد - ص ٢٥٦.



غزوة بني قريظة

ذي القعدة سنة ٥ هـ

قال ابن إسحاق: « ولما أصبح رسول الله ﷺ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون، ووضعوا السلاح، فلما كان الظهر جاء جبريل عليه السلام، فقال أو قد وضعت السلاح يا رسول الله، قال نعم، فقال جبريل ما وضعت الملائكة السلاح بعد، إن الله يأمرك أن تسير إلى بني قريظة، فإني منزل بهم فأمر رسول الله ﷺ مؤذناً ينادي في الناس (من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة) واستعمل الرسول ﷺ عبد الله بن أم مكتوم^(١).

وفي رواية البخاري أن بعضهم صلى العصر في الطريق وبعضهم انتظر حتى وصل إلى بني قريظة كما حكي ذلك لرسول الله ﷺ فلم يعنف واحداً منهم.

فلما علم يهود بني قريظة بطلائع جيش المسلمين دخلوا حصونهم فتحصنوا فيها، وأغلقوا عليهم الأبواب، وكانوا يسبون الرسول ﷺ وزوجاته فقال لهم سيدهم، كعب بن أسد:

(١) أنظر: البداية والنهاية - لابن كثير - ج ١ ص ٧٣٧.

(يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلافاً ثلاثاً
فخذوا بما شئتم منها).

قالوا: وما هن؟

قال: نتابع هذا الرجل، ونصدقه، فلقد تبين أنه نبي مرسل، وأنه للذي تجدونه
مكتوباً عندكم في كتابكم، فتأمنون به على دمائكم وأموالكم وأبنائكم
ونسائكم.

قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره.

قال: فإن أبيتم على هذه فهلهم فلنقتل أبناءنا، ونسائنا، ثم نخرج إلى محمد
وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف، لم نترك ورائنا ثقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين
محمد؛ فإن نهلك نهلك ولم نترك ورائنا نسلاً نخشى عليه، ولئن نظفر فلعمري
لنجدن النساء والأبناء.

قالوا: أنقتل هؤلاء المساكين، فما خير العيش بعدهم.

قال: فإن أبيتم هذه؛ فإن الليلة ليلة السبت وأنه عسى أن يكون محمد وأصحابه،
قد آمنوا فيها، فأنزلوا العلنا نصيب من محمد غره.

قالوا: أنفسد سبتنا، ونحدث فيه ما لم يحدث فيه من كان قبلنا، إلا ما قد علمت،
فأصابهم ما لم يخف عنك من المسخ.

فقال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه حازماً، ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا عمرو بن عوف وكانوا من حلفاء الأوس لنستشيره.

فأرسله رسول الله ﷺ فلما رأوه، قام إليه الرجال وجهش إليه النساء والصبيان فرق لهم.

وقالوا: يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد.

قال: نعم: وأشار بيده إلى حلقه - إنه الذبح -.

قال: أبو لبابه: فوالله ما زالت قدماي في مكانها حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه، ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ربط نفسه في عمود من أعمدة المسجد، فقال لا أبرح مكاني، حتى يتوب الله عليّ مما صنعت، وأعاهد الله أن لا أطأ بني قريظة، ولا أرى بلداً خنت الله ورسوله فيه أبداً.

قال: ابن هشام وأنزل الله قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا

أَمَنَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ [الأنفال: ٢٧]



أسطوانة أبي لبابة حيث ربط نفسه في موضع هذا العمود وتسمى أيضاً
(أسطوانة التوبة - وهي داخل الروضة المباركة) (١)

وظل أبو لبابة مربوطاً ست ليال، تأتيه امرأته في كل وقت، فتحله حتى يتوضأ
ويصلي ثم يربط نفسه حتى نزلت توبته قال تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ أَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ
خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢]
ثم أعطى الرسول ﷺ الحكم فيهم لسعد بن معاذ

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث سَعِيدِ الْحُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ نَزَلَ
أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى سَعْدِ فَاتَى عَلَى حِمَارٍ فَلَمَّا
دَنَا مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ لِلْأَنْصَارِ قَوْمُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ أَوْ خَيْرِكُمْ فَقَالَ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى

(١) للمزيد - المدينة المنورة للمصنف - ص ٢٦.

حُكِّمَكَ فَقَالَ تَقْتُلُ مَقَاتِلَتَهُمْ وَتَسْبِي ذُرَارِيَهُمْ قَالَ فَصَيِّتَ بِحُكْمِ اللَّهِ وَرَبِّمَا قَالَ
بِحُكْمِ الْمَلِكِ^(١).

وكان فيهم كعب بن أسد القرظي، وحيي بن أخطب فلما تقدم حيي
للقتل، نظر إلى رسول الله ﷺ وقال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنه
من يخذل الله يخذله، ثم أقبل على الناس، وقال إنه لا بأس بأمر الله، كتاب وقدر
وملحمة كتبها الله على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه^(٢).

ولقد عفا الرسول ﷺ عن الزبير بن باطا بشفاعه ثابت بن قيس بن
شماس، وعفا أيضاً عن مسعد بن عمر القرظي، وأسعد بن عبيد، وثعلبة بن
سعية، وأسد بن سعية، وهم أولاد عم بني قريظة^(٣).

ولم يقتل النبي ﷺ من نسائهم إلا امرأة واحدة قتلت رجلاً من المسلمين
فقتلت به^(٤).

قال ابن هشام: ولقد كانت مدة حصارهم خمسة وعشرين يوماً.
وهكذا نال الغادرون جزائهم، وحكم عليهم سعد بن معاذ بالعدل
الذي أَرَادَهُ اللَّهُ ﷻ، وطويت صفحة سوداء من تاريخ اليهود لتكون لهم صفحة

(١) صحيح البخاري - كتاب المغازي - رقم الحديث ٣٨١٢.

(٢) البداية والنهاية - لابن كثير ج ١ ص ٧٤٢.

(٣) المرجع السابق - ص ٧٤٢.

(٤) المرجع السابق - ص ٧٤٣.

أخرى في خير في العام السابع للهجرة، غير أن صفحاتهم السوداء مع أمة الإسلام لن تنتهي حتى تقوم الساعة.

وتذكر كتب السيرة أن سلام بن الحقيق استطاع أن يهرب إلى خير فأرسل الرسول ﷺ خمسة من الصحابة لقتله قبل أن ينشر سمومه بين الناس ولقد نجحوا في القضاء عليه، وتخليص البشرية من شره.

وأما الصحابي الجليل سعد بن معاذ فلقد استجاب الله دعوته، بعد أن شفى ما في نفسه من بني قريظة، فاستجاب الله دعائه، ومات شهيداً، متأثراً بالجرح الذي أصيب به في غزوة الأحزاب.

ولا ينبغي أن تمر علينا هذه غزوة بني قريظة دون أخذ العبر والدروس منها وأهمها:

١. هذه الغزوة قصاص عادل لخيانة عننية، مع نقض لمعاهدة موقعة تعهدوا بموجبها دعم المسلمين، إذا داهمهم عدو، فانحازوا إلى جانب العدو ومتى؟! عندما رأوا عشرة آلاف مقاتل حول المدينة، فظنوا أن الأمر قد انتهى، وأن نهاية المسلمين قد حانت.

٢. أن عداوة اليهود للمسلمين دائمة ومستمرة إلى يومنا هذا، وأنها لم تتغير ولم تتبدل وما احتلال فلسطين منا ببعيد.

٣. أن اليهود خلال تاريخهم الطويل لا يحترمون عهداً ولا موثيقاً وإنما كما

قال الله عنهم ﴿يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ [الأففال: ٥٦].

٤. يجب الحذر من أعداء الأمة المتربصين بها الدوائر، وهؤلاء قد يعيشون بيننا وقلوبهم مع أعدائنا.
٥. أعظم الخيانة خيانة الأوطان، لذا لا يجب التساهل مع العملاء، بل يجب الضرب على أيديهم ليكونوا عبرة لغيرهم.
٦. إذا ضاقت عليك الأمور، وأحاطت بك الابتلاءات من كل جانب فاعلم أن هذا اختبار من الله، وسيجعل لك من كل ضيق مخرجاً، وإنما يريد أن يصطفيك، ويخلصك من ذنوبك، ويقربك إليه.
٧. العدل يقتضي توقيع العقوبة على المجرمين والخائنين، وليس تركهم يسعون في الأرض فساداً، فالحكم الذي صدر على اليهود الخائنين هو العدل الذي شرعه الله، وهو العدل الذي حكمت به القوانين الوضعية كذلك، فجزاء خيانة الأوطان وقت الحرب يكون الإعدام، لأن الذي يخون وطنه وقت القتال فإنه يعرض المجتمع بأكمله للقتل والهزيمة وضياع كرامته وحرية^(١).



١ - غزوة الخندق - د- شوقي أبو خليل - ص ١٣٨ .



مقتل سلام بن الحقيق

كان سلام بن أبي الحقيق وكنيته أبو رافع من أكابر مجرمي اليهود الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين، وأعانهم بالموءن والأموال الكثيرة، وكان يؤذي رسول الله ﷺ، فلما فرغ المسلمون من أمر قريظة استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتله. وكان قتل كعب بن الأشرف على أيدي رجال من الأوس، فرغبت الخزرج في إحراز فضيلة مثل فضيلتهم، فلذلك أسرعوا إلى هذا الاستئذان. وأذن رسول الله في قتله ونهي عن قتل النساء والصبيان، فخرجت مفرزة قوامها خمسة رجال، كلهم من بني سلمة من الخزرج، قائدهم عبد الله بن عتيك. خرجت هذه المفرزة، واتجهت نحو خير؛ إذ كان هناك حصن أبي رافع، فلما دنوا منه، وقد غربت الشمس، وراح الناس بسرهم، قال عبد الله بن عتيك لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فإني منطلق ومتلطف للبواب، لعل أن أدخل فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنع بثوبه كأنه يقضي حاجته، وقد دخل الناس فهتف به البواب: يا عبد الله، إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب.

قال عبد الله بن عتيك: فدخلت فكمنت، فلما دخل الناس أغلق الباب، ثم علق الأغاليق على ودّ. قال: فقممت إلى الأقاليد فأخذتها، ففتحت الباب، وكان أبو رافع يسمر عنده، وكان في علالي^(١) له، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقت على من داخل. قلت: إن القوم لو نذروا بي لم يخلصوا إلى حتى أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت. قلت: أبا رافع، قال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فضربته ضربة بالسيف وأنا دهش، وصاح فخرجت من البيت، فمكثت غير بعيد، ثم دخلت إليه، فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: - لأمك الويل -، إن رجلاً في البيت ضربني من قبل بالسيف. قال: فضربته ضربة أنخنته ولم أقتله. ثم وضعت صبيب السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أني قتلته فجعلت أفتح الأبواب باباً باباً، حتى انتهيت إلى درجة^(٢) له، فوضعت رجلي وأنا أري أني قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست على الباب. فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته؟ فلما صاح الديك قام الناعي على السور، فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي فقلت: النجاء، فقد قتل الله أبا رافع. فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته فقال: (ابسط رجلك)، فبسطت رجلي فمسحها فكأنها لم أشتكها. هذه رواية البخاري، وعند ابن إسحاق أن جميع نفر دخلوا

(١) مكان مرتفع.

(٢) درجة: السلم.

على أبي رافع واشتركوا في قتله، وأن الذي تحامل عليه بالسيف حتى قتله هو عبد الله بن أنيس، وفيه: أنهم لما قتلوه ليلاً، وانكسرت ساق عبد الله بن عتيك حملوه وأتوا مِنْهَرًا من عيونهم فدخلوا فيه، وأوقد اليهود النيران واشتدوا في كل وجه حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم، وأنهم حين رجعوا احتملوا عبد الله بن عتيك حتى قدموا على رسول الله ﷺ.

وكان مبعث هذه السرية في ذي القعدة أو ذي الحجة سنة ٥ هـ^(١).



(١) - أنظر: الرحيق المختوم - صفي الدين المباركفوري - ص ٢٥٠ -



من الإحداث الاجتماعية في هذا العام

١. زواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش الأسدية ؓ في شهر ذي القعدة من العام الخامس.

٢. نزول آية الحجاب قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرٍ لَهُ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسَبِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيِّ فَيَسْتَحِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحِي مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُنَّ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾﴾ [الأحزاب: ٥٣]





**أهم أحداث العام
السادس الهجري**



جاء العام السادس من الهجرة المباركة، والمسلمون في المدينة؛ قد اشتد عودهم، وقويت شكيمتهم؛ وأرادوا أن يؤمنوا حدود دولتهم من طمع المتربصين فيها من الأعراب وغيرهم؛ فأرسل الرسول ﷺ سرية إلى ناحية ضريبة بالبكرات من أرض نجد، وكان ذلك لعشر ليال خلون من المحرم في العام السادس من الهجرة، فلما نزلوا إلى بطن من بطون بكر بن كلاب، هرب المشركون فاستاقوا معهم نعماً وشيأة، وقدموا المدينة ومعهم ثامة بن أثال الذي خرج من اليمامة يريد قتل رسول الله ﷺ فلما جئى به إلى رسول الله ﷺ وقع في قلبه الإسلام، فأسلم وذهب إلى مكة معتمراً، وأراد أن يعاقب قريشاً بمنع القمح والشعير عنهم، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه بالقربى التي بينهم أن يأمر ثامة بن أثال أن يعطي لهم القمح والشعير، فأمر رسول الله ﷺ ثامة بن أثال أن يعطي لهم ما كانوا يأخذون، فأعطاهم استجابة لأمر رسول الله ﷺ.

وهذا درس نتعلمه من رسول الله ﷺ وهو الرحمة بالأهل وذوى القربى، والتلطف بهم وعدم الغلظة في التعامل معهم، فقريش في هذا الوقت كانت تقف في وجه الدعوة ومع ذلك، لم يمنع الرسول ﷺ الطعام، فما بالك أن كان من تتعامل معهم مسلمون مثلك، ألا يكون ذلك داعياً لحسن معاملتهم والتلطف بهم.



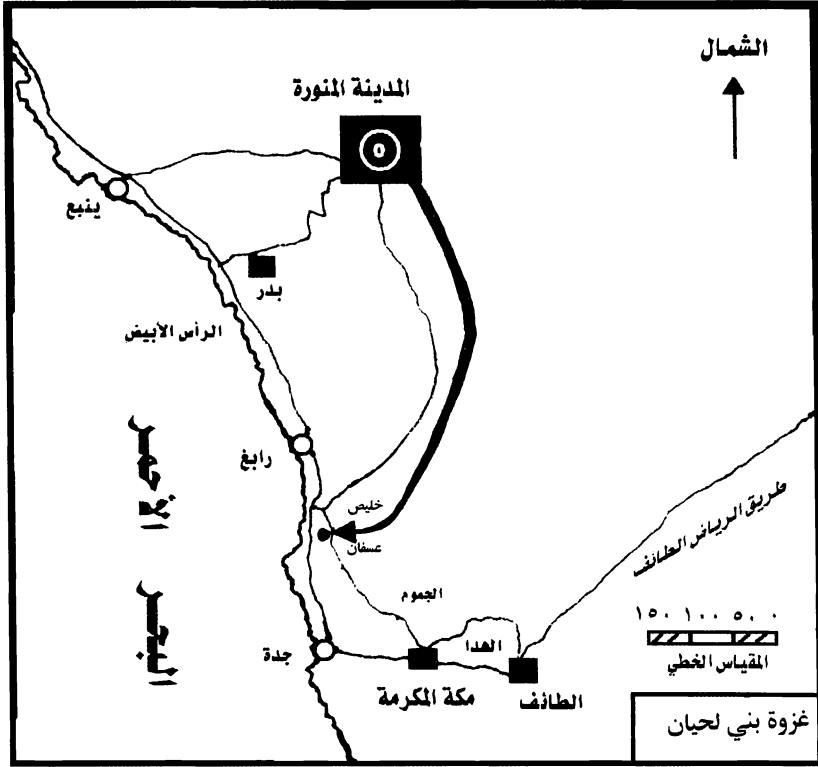
غزوة بني لحيان

كان الهدف من هذه الغزوة هو الثأر من بني لحيان، الذين كانوا قد غدروا بعشرة من أصحاب رسول الله ﷺ بالرجيع، وهي المذكورة في أحداث العام الثالث، فخرج إليهم الرسول ﷺ في ربيع الأول سنة ٦ هـ من الهجرة^(١) في مائتين من أصحابه، واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، وأظهر الرسول ﷺ أنه يريد الشام، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غران، حيث كان مصاب أصحابه، فترحم عليهم ودعا لهم وسمعت به بنو لحيان، فهربوا في رؤوس الجبال، فلم يقدر على أحد منهم، فأقام يومين بأرضهم، وبعث السرايا فلم يقدروا عليهم، فسار إلى عسفان، فبعث عشرة فوارس إلى كراع الغميم لتسمع به قريش، ثم رجع إلى المدينة، وكانت غيبته عنها أربع عشرة ليلة.^(٢)

ثم تابع النبي ﷺ إرسال السرايا لتأمين المدينة المنورة، وكسر شوكة الطامعين فيها، لأن الحق يحتاج إلى قوة تحميه، وإذا شعر الأعداء بضعف المسلمين، فلن يرقبوا فيهم عهداً ولا ذمة ولا حرمة.

(١) المغازي للواقدي - ج ٢ - ص ٣٣.

(٢) الكامل في التاريخ - ابن الأثير - ج ٣ - ص ٤٥٠.





غزوة بني المصطلق (المريسخ)

شعبان سنة ست هجرية

ذكرنا آنفاً أن التحقيق الذي انتهى إليه المباكفوري، والألباني، في أنهما يرجحان وقوع غزوة بني المصطلق بعد غزوة الأحزاب، لذا نميل إلى هذا الرأي للأدلة التي سقناهم سابقاً.

أسباب الغزوة..

بلغ الرسول ﷺ أن رئيس بني المصطلق الحارث بن أبي ضرار أعلن في قومه ومن قدر عليه من العرب أنه يريد حرب رسول الله، فبعث النبي ﷺ بريدة بن الحصيب الأسلمي؛ ليتحقق من الخبر فأتاهم وتأكد من صحة الخبر، فرجع إلى رسول الله ﷺ وأخبره من صحة الخبر الصحابة، فأعلم النبي الصحابة وأسرعوا في الخروج إليه قبل أن يباغت المدينة، وكان خروجه لليلتين خلتا من شهر شعبان في العام السادس للهجرة، وخرج معه جماعة من المنافقين لم يخرجوا في غزوة قبلها، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة.

وأما لماذا خرج المنافقون؟

فلأنه تأكد لديهم أن الإسلام أصبح له قوة تحميه، فطمعوا في الحصول على الغنائم، والفوز بمتاع الدنيا الزائل، فإذا ضعف الدين مرة أخرى - لا قدر الله - انقلبوا ضده ونالوا منه، وطمعوا في الأموال من أعدائه وهكذا يفعلون في كل زمان ومكان، فهم الطابور الخامس، وهم عين الأعداء للنيل من المسلمين.

وفي صحيح البخاري (إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَغَارَ عَلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ وَهُمْ غَارُونَ^(١) وَأَنْعَامُهُمْ تُسْقَى عَلَى الْمَاءِ فَقَتَلَ مُقَاتِلَتَهُمْ وَسَبَى ذَرَارِيَهُمْ وَأَصَابَ يَوْمَئِذٍ جُؤَيْرِيَةَ)^(٢).

ولما تزوج الرسول ﷺ جويرية بنت الحارث، اعتق المسلمون أسراهم من بني المصطلق، إكراماً لرسول الله ﷺ وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ. ولما عسكر المسلمون في بني المصطلق حدثت مشادة كلامية بين غلامين أحدهما لرجل من المهاجرين والآخر من الأنصار، وكادت أن تحدث مصادمة بينهما، فخرج إليهم الرسول الله ﷺ وغضب ﷺ لذلك الأمر، لأنها المرة الأولى التي تحدث فيها مشادة بين المهاجرين والأنصار، زد على ذلك أنها في ساحة حرب تحتاج إلى التماسك والوحدة بين المؤمنين، وما أن صل الخبر إلى عبد الله بن أبي بن سلول، إلا وأخرج ما في نفسه من الحقد والنفاق ضد المسلمين، وأراد أن يشعلها حرباً بين المؤمنين.

(١) غافلون.

(٢) صحيح البخاري - كتاب العتق - رقم الحديث ٢٣٥٥.

وقال: لقد كاثرونا في بلادنا، والله إنما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل - سمن كلبك يأكلك -، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل على من كان يجلس معه وقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، احللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو امسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غيركم.

وكان بين الجالسين شاب ثابت الإيمان، يسمى - زيد بن أرقم، فقام وأخبر عمه؛ ثم قام عمه؛ وأخبر الرسول ﷺ، وكان معه عمر بن الخطاب الذي قال: يا رسول الله مر عباد بن بشر فليقتله، فقال رسول الله ﷺ فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟

ولما علم أسيد بن الحضير قال يا رسول الله، أنت رسول الله تخرجه منها إذا شئت، هو والله الذليل وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لينظّمون له الخرز، فإنه يرى أنك استلبته ملكه . فأرسل الرسول ﷺ إلى عبد الله بن أبي بن سلول، فأنكر ما قال من قبل، ولكن الرسول ﷺ تأكد مما قال.

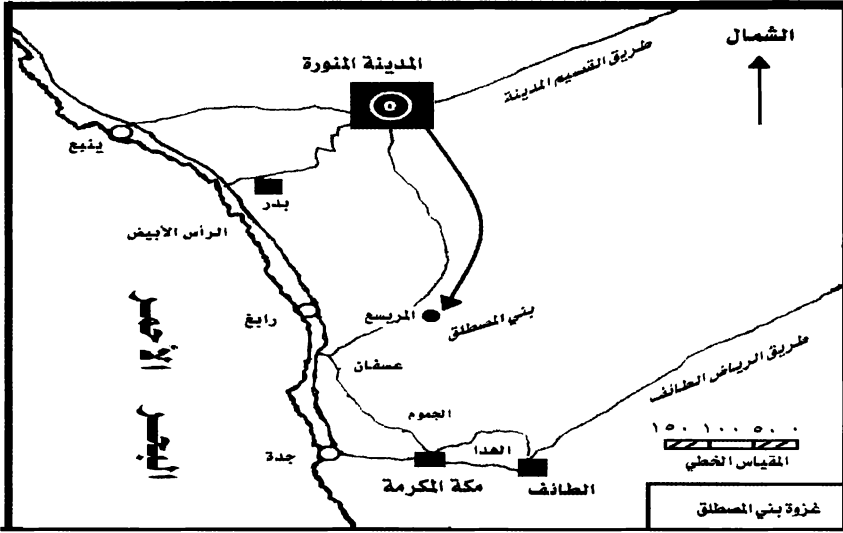
ثم أمر الرسول ﷺ الجيش بالرحيل في وقت لم يرحل فيه من قبل، وأراد بذلك أن يطفئ نار الفتنة التي أراد أن يشعلها عبد الله بن سلول، فصار الرسول ﷺ بالمسلمين يومهم حتى المساء، وليلتهم حتى الصباح، ويومهم الثالث حتى أذاهم حر الشمس فنزلوا فناموا من شدة التعب.

يقول الدكتور محمد سعيد البوطي:

تدلنا معالجة النبي ﷺ للمشكلة التي استغلها عبد الله بن أبي بن سلول بالشكل الذي رأيناه، على مدى ما قد آتاه الله من براعة فائقة في سياسة الأمور وتربية الناس والتغلب على مشاكلهم.

لقد كان ما سمعه ﷺ من كلام ابن سلول مسوغا كافيا لأن يأمر بقتله بحسب الظاهر. ولكنه ﷺ استقبل الأمر بصدر أرحب من ذلك، وسمع عن اللغظ الذي جرى، والتناوش الذي وقع، والجيش فيه عدد كبير من المنافقين الذين يبحثون عن شيء مثل هذا ليقوموا ويقعدوا به، فلم يعالج الأمر بعاطفة متأثرة، وإنما ترك الحكمة وحدها هي التي تدبر. فكان أن أمر القوم بالمسير في وقت لم يكونوا يعتادونه، حتى يشغلهم السير عن الاجتماع على المحادثة والكلام، وظل يسير بهم بقية اليوم والليل كله وصدرا من اليوم الثاني، لا يدع لهم مجالا يفرغ فيه المنافقون للخوض فيما يريدون من باطل، فلما انحطوا بعد ذلك على الأرض لم يدع لهم التعب فرصة الحديث عن شيء، وذهب الجميع في سبات عميق.^(١)

(١) فقه السيرة -- رمضان البوطي - ص ١٢٣.



إشكال وتوضيح

ذكر البخاري رحمته الله أن الرسول ﷺ، أخذ بني المصطلق على حين غفلة من أمرهم.

فهل يتفق هذا مع ما كان يوصي به النبي ﷺ في القتال من دعوة غيرهم أولاً إلى الصلح، قبل الحرب والقتال؟

نقول: كان النبي ﷺ يوصي أصحابه بدعوة من يقاتلونهم إلى الإسلام أولاً، فإن لم يقبلوا فيدعونهم إلى الجزية، فإن لم يقبلوا فالحرب، ولكن في هذه الغزوة الأمر مختلف تماماً، لأن بني المصطلق هم الذين أرادوا غزو المدينة على حين غفلة من أهلها، وعندما علم الرسول ﷺ بما أجمعوا عليه من أمرهم، بادرهم ﷺ والصحابة لصد خطرهم المحتمل، ولم يكن هو الذي أراد غزوهم لولا أنهم،

هم الذين أرادوا غزو المدينة، فعامل المفاجئة هو الذي منع خطر هؤلاء من النيل من المسلمين.

فالرسول ﷺ فطن لما يدبره الأعداء فهاجمهم قبل أن يهاجموه.

ولقد تجلّى في هذه الغزوة أيضاً مبدأ الولاء والبراء فلقد تبرأ عبد الله بن عبد الله بن سلول من فعله أبيه، وقال يا رسول الله لن يدخل المدينة إلا بعد أن تأذن له كما أنه قدم والولاء لله ورسوله على ولائه لأبيه وقال: يا رسول الله، إن أمرت بقتله، فمروني أن أقتله، مخافة أن يقتله غيري فيكون في نفسي شيء منه.

ولقد أظهرت هذه الغزوة أيضاً خطورة المنافقين على المجتمع الإسلامي بأثره. ولقد ارتبطت حادثة الإفك بهذه الغزوة ورمي السيدة عائشة رضي الله عنها بالباطل مع صفوان بن المعطل وهي مكيدة أخرى من مكائد المنافقين ولكن الله فضحهم في كتابه العزيز وسنة نبيه الكريم محمد عليه الصلاة والسلام فأنزل الله قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١﴾ ﴿تَوَلَّى إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ١٢﴾ ﴿تَوَلَّى جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ فإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكٰذِبُونَ ١٣﴾ ﴿وَلَوْلا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٤﴾ ﴿إِذْ تَلَقَوْهُ بِالْأَسِنَّةِ وَنَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ١٥﴾ ﴿وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحٰنَكَ هَذَا مَبْتَلُنَّ عَظِيمٌ ١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَبَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ [النور: ١١ - ٢٠]

ولقد أثبتت هذه الحادثة صدق رسول الله ﷺ فلقد ظل الوحي لمدة شهر لم ينزل بشيء عن هذه الحادثة، ورسول الله ﷺ يتهم في عرضه، فلو كان كاذباً وحاشاه لجا من عنده بكلام يبرأ زوجته، ولكنه صبر حتى جاء الوحي من عند الله. لذا يطأطأ المغرضون رؤوسهم خجلاً عندما يقرؤون هذه الحادثة، ولا يجدون ما يقولونه في أن القرآن إنما هو من عند الله ﷻ.

ولقد أثبتت أيضا بعد نظر رسول الله ﷺ فلقد أصبح الأنصار يلومون عبد الله بن أبي بن سلول.

فقال رسول الله ﷺ لعمر: كيف ترى يا عمر؟ أما والله لو قتلته يوم قلت لي اقتله لأرعدت له أنف (أي لغضب له كثيرون) ولو أمرتها اليوم بقتله لقتلته. قال عمر: قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري^(١).

(١) للمزيد - ٣٤ قصة للمعتبرين للمصنف.



صلح الحديبية

ذي القعدة ٦هـ

يالبشاعة الباطل عندما يقف عشرة في سبيل نشر الحق والرحمة بين الناس، ويالبشاعة الكبر عندما يحول بين المرء وبين النور الذي جاء من عند الله فالبيت بيت الله، والحرم حرم الله، فكيف يسمح المشركون لأنفسهم أن يطوفوا حوله عرايا، ويمنع منه الذين يقولون، كما قال الله ﷻ ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٢٠٢) [البقرة: ٢٠١-٢٠٢]

هذا ما حدث فعلاً من قريش فقد منعت الرسول ﷺ والصحابة من أداء العمرة وصدتهم عن أداء شعيرة من شعائر الله.

ففي شهر ذي القعدة من العام السادس للهجرة خرج الرسول ﷺ ومعه ألف وأربعمائة من الصحابة يسوقون معهم الهدى قاصدين البيت الحرام، لأداء العمرة فلما وصلوا الجحفة^(١) نزل الصحابة فاغتسلوا ولبسوا ملابس الإحرام وصار المسلمون حتى إذا كانوا بعسفان، جاء بشر بن سفيان الكعبي إلى رسول

(١) أبيار علي حالياً.

الله ﷺ وقال يارسول الله: هذه قريش سمعت بمسيرك، فخرجوا ومعهم العوذ والمطافيل^(١)، قد لبسوا جلود النمرور، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً وهذا خالد في خيلهم قد قدموها إلى قراع الغميم^(٢) فقال رسول الله ﷺ يا ويح قريش، لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب؟ فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا

في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟ فوالله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به، حتى يظهره الله، أو تنفرد هذه السالفة، ثم قال من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها. فقال رجل: أنا يا رسول الله، فسلك بهم طريقاً وعرأ بين الشعاب، فلما خرجوا منه، وقد شق ذلك على المسلمين، فاضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي فقال رسول الله ﷺ قوموا نستغفر الله ونتوب إليه، فقالوا لك ذلك فقال ﷺ إنها للحظة التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها^(٣).

وحدث أن القصواء ناقة الرسول ﷺ بركت ولم تتحرك فقال رسول الله ﷺ لقد حبسها حابس الفيل.

(١) الأطفال والنساء.

(٢) مكان في الطريق الموصل إلى مكة.

(٣) ذلك أن نبي الله موسى عليه السلام قال لهم عندما أرادوا دخول بيت المقدس قولوا حطة أي ربنا حط عنا خطايانا، لم

يقولوها، وقالوا حنطة، وشتان بين صحابة محمد ﷺ وصحابة موسى عليه السلام.

ففي الحديث الذي أخرجه أبو داود رضي الله عنه من حديث عروة الزبير عن
 المسر بن مخرمة قال: (خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ زَمَنَ الْحُدَيْبِيَّةِ فِي بَضْعِ عَشْرَةِ مِائَةٍ مِنْ
 أَصْحَابِهِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْتِ الْحُلَيْفَةِ قَلَدَ ^(١) الْهُدْيَ وَأَشْعَرَهُ وَأَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ وَسَاقَ
 الْحَدِيثَ قَالَ وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ الَّتِي يَهْبُطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا بَرَكَتٌ بِهِ
 رَاحِلَتُهُ فَقَالَ النَّاسُ حَلْ حَلْ خَلَّاتٌ ^(٢) الْقُصُوءُ مَرَّتَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا خَلَّاتٌ
 وَمَا ذَلِكَ لَهَا بِخُلُقٍ وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا
 يَسْأَلُونِي الْيَوْمَ خُطَّةً يُعْظَمُونَ بِهَا حُرْمَاتِ اللَّهِ إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا ثُمَّ رَجَرَهَا فَوَثِبَتْ
 فَعَدَلَ عَنْهُمْ حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى ثَمَدٍ ^(٣) قَلِيلِ الْمَاءِ فَجَاءَهُ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ
 الْخِزَاعِيِّ ثُمَّ أَتَاهُ يَعْنِي عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ فَكَلَّمَهَا كَلِمَةً أَخَذَ
 بِلِحْيَتِهِ وَالْمَغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ السَّيْفُ وَعَلَيْهِ الْمُغْفَرُ ^(٤) فَضْرَبَ
 يَدَهُ بِنَعْلِ السَّيْفِ وَقَالَ آخِرُ يَدِكَ عَنْ لِحْيَتِهِ فَرَفَعَ عُرْوَةَ رَأْسَهُ فَقَالَ مَنْ هَذَا قَالُوا
 الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فَقَالَ أَيُّ غُدْرٍ أَوْلَسْتُ أَسْعَى فِي غُدْرَتِكَ ^(٥) .

قال ابن هشام: أراد عروة بقوله هذا، أن المغيرة بن شعبة قتل قبل إسلامه ثلاثة
 عشر رجلاً من بني مالك من ثقيف، فدفع عروة الدية، وأصلح ذلك الأمر ^(٦) .

(١) علق في رقبتها ما يدل على انها للحرم.

(٢) بركت.

(٣) حفرة صغيرة فيها ماء.

(٤) ما يوضع على الراس في القتال.

(٥) سنن أبي داود - كتاب الديبة - باب - في صلح العدو - رقم الحديث ٣٣٨٤.

(٦) البداية والنهاية، لابن كثير، ج ١ ص ٧٧٠.

وكان الرسول ﷺ قد أرسل عثمان بن عفان ؓ إلى مكة ليلبغهم أنهم ما أتوا للقتال، غير أنه تأخر في مكة، وأشيع بين المسلمين أنه قتل، فبايع المسلمون الرسول ﷺ على القتال وذلك في البيعة المسماة بيعة الرضوان.

ورأى عروة بن مسعود الثقفي وهو عند رسول الله ﷺ عجباً فقد رأى أن الصحابة يتسابقون على ما بقى من وضوء النبي ﷺ ليتوضئون به، ولا يبصق إلا ابتدروه، ولا يسقط منه شعر إلا أخذوه، فرجع إلى مكة فقال يا قوم لقد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وأراد بذلك أن الصحابة يعظمون الرسول ﷺ ويقدرونه تقديراً لم يرى مثله.

ثم أرسلت قريش سهيل بن عمرو ليفاوض الرسول ﷺ.

فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله علام نعطي الدنيا في ديننا.

فقال الرسول ﷺ يا عمر: (أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره ولن يضيعني).

ثم دعا الرسول ﷺ علي بن أبي طالب ليكتب العهد، فكتب (بسم الله الرحمن الرحيم - فقال سهيل هذه الكلمة لا نعرفها، اكتب « باسمك اللهم)، فقال النبي ﷺ لعلي اكتب (باسمك اللهم)

ثم قال له الرسول ﷺ اكتب: (هذا ما عاهد عليه محمد رسول الله، سهيل بن عمرو، فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول الله ما قاتلتك).

اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله، سهيل بن عمرو واصطلحنا على:

١. أن يرجع المسلمون هذا العام على أن يعتمروا العام القادم، فيقومون في مكة ثلاثة أيام معهم سلاح الركبان، ولا تتعرض لهم قريش بأي أذى.

٢. قيام هدنة بين الجانبين لمدة عشر سنين.

٣. من أحب أن يدخل في حلف محمد فليفعل ومن أحب أن يدخل في خلف قريش فليفعل.

٤. من أتى محمداً من قريش من غير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء من عند محمد إلى قريش لا يردوه.

وفي هذا الأثناء جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو هارباً من مكة فرمى بنفسه بين الناس.

فقال سهيل: هذا أول ما أقاضيك فيه، فقال رسول الله ﷺ أجزه لي.

فقال سهيل: ما أنا بمجيزه، فقال رسول الله ﷺ يا أبا جندل اذهب، فصرخ بأعلى صوته، يا معشر المسلمين أريد إلى المشركين يفتونني في ديني؟

فقال رسول الله ﷺ يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله سيجعل لك فرجاً ومخرجاً.

ثم قال الرسول ﷺ قوموا فاحلقوا ثلاثاً فلم يقم منهم أحد، فدخل الرسول ﷺ خيمته، فشكى، لأم سلمة فقالت يا رسول الله: اخرج فانحر بدنك وادع حالقك فيحلق شعرك، فلما رآه المسلمون يفعل ذلك، نحروا هديهم وحلقوا شعرهم، وتحللوا من إحرامهم، فلما رجعوا إلى المدينة،

جَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ فَأَرْسَلُوا فِي طَلَبِهِ فَدَفَعَهُ إِلَى الرَّجُلَيْنِ فَخَرَجَا بِهِ حَتَّى إِذْ بَلَغَا ذَا الْحُلَيْفَةِ نَزَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تَمْرِ هُمْ فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ لِأَحَدِ الرَّجُلَيْنِ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى سَيْفَكَ هَذَا يَا فُلَانُ جَيْدًا فَاسْتَلَّهُ الْآخَرُ فَقَالَ أَجَلٌ قَدْ جَرَّبْتُ بِهِ فَقَالَ أَبُو بَصِيرٍ أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْهِ فَأَمَكَتَهُ مِنْهُ فَضْرِبُهُ حَتَّى بَرَدَ وَفَرَ الْآخَرَ حَتَّى أَتَى الْمَدِينَةَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ يَعْدُو فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَقَدْ رَأَى هَذَا دُغْرًا فَقَالَ قَدْ قُتِلَ وَاللَّهِ صَاحِبِي وَإِنِّي لَمُتَّوَلٌّ فَجَاءَ أَبُو بَصِيرٍ فَقَالَ قَدْ أَوْفَى اللَّهُ ذِمَّتَكَ فَقَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ ثُمَّ نَجَّانِي اللَّهُ مِنْهُمْ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَيَلُ أُمَّهُ مِسْعَرٌ حَرْبٌ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ إِلَيْهِمْ فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى سَيْفَ الْبَحْرِ وَيَنْقَلِتُ أَبُو جَنْدَلٍ فَلَحِقَ بِأَبِي بَصِيرٍ حَتَّى اجْتَمَعَتْ مِنْهُمْ عِصَابَةٌ^(١).

الدروس والعبر من صلح الحديبية

١. بعد نظر النبي ﷺ فقد تفرغ المسلمون بعد هذا الصلح لنشر الدعوة في الجزيرة العربية، وخارجها، عن طريق الرسائل للملوك والحكام.
٢. اعترفت قريش بقوة المسلمين، واعترافها بالفشل في القضاء عليهم.
٣. ضعفت سلطة قريش كزعيمة لقبائل العرب، وانتقلت الزعامة للمسلمين.
٤. أوضح الاتفاق مدى احترام المسلمون للعهود التي يوقعونها مع الغير، فلا ينقضونها في حالة القوة، بينما الأعداء ينفضون أيديهم من جميع المواثيق طالما كانت القوة تميل إليهم.

(١) سنن أبي داود - كتاب الدببية - باب - في صلح العدو - رقم الحديث ٣٣٨٤.

٥. مدى حب الصحابة لنبئهم، وما حدث في هذا الصلح من حرصهم على إرضائه ﷺ كان حالة عامة في جميع أمورهم، وأما ما حدث من حرصهم على التبرك بنخامة النبي ﷺ فقد كانت حالة خاصة أراد منها الصحابة إظهار الولاء لنبئهم ﷺ.

٦. قال ابن القيم رحمه الله: أن المشركين، وأهل البدع والفجور، والبغاة والظلمة إذا طلبوا أمراً يُعظَّمون فيه حُرمةً من حُرْمَاتِ الله تعالى، أُجيبوا إليه وأعطوه، وأعينوا عليه، وإن مُنعوا غيره، فيُعاونون على ما فيه تعظيم حُرْمَاتِ الله تعالى، لا على كفرهم وبغيتهم، ويُمنعون مما سوى ذلك، فكلُّ مَنْ التمس المعاونة على محبوب لله تعالى مُرَضٍ له، أُجيبَ إلى ذلك كائناً مَنْ كان، ما لم يترتب على إعانتته على ذلك المحبوبِ مَبغُوضٌ لله أعظمُ منه، وهذا من أدقِّ المواضع وأصعبها، وأشقَّها على النفوس، ولذلك ضاق عنه من الصحابة مَنْ ضاق، وقال عمر ما قال، حتَّى عمِلَ له أعمالاً بعده، والصديقُ تلقاه بالرضى والتسليم، حتَّى كان قلبه فيه على قلبِ رسولِ الله ﷺ، وأجاب عُمَرَ عما سأل عنه من ذلك بعينِ جوابِ رسولِ الله ﷺ، وذلك يدل على أن الصديق ﷺ أفضلُ الصحابة وأكملهم، وأعرفهم بالله تعالى ورسوله ﷺ وأعلمهم بدينه، وأقومهم بمحبَّته، وأشدَّهم موافقةً له،

٩. في قصة إسلام أبوبصير دلالة على أن الإيمان إذا تمكن في قلب المؤمن، فإن قوى الشر لن تستطيع أن تنتزعه منه مهما حاولت من تعذيب أو إكراه أو غير ذلك.

١٠. حرص الإسلام على كرامة النساء وستر أعراضهن، فقد رد الرسول ﷺ الرجال ولم يرد النساء، لأن المرأة ضعيفة قد تتعرض للضغوط لترجع عن دين الله. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهِنَّ جُلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۗ وَءَاتُوهُنَّ مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَانَيْتُمُوهُنَّ أُجْرُهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسْئَلُوا مَّا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ حُكْمٌ ۗ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حِكْمَةٌ ۙ [المتحنة: ١٠]





وتميز العام السادس من الهجرة بكثرة السرايا فيه، حيث بلغ مجموعها ما يزيد عن عشرة، وكان الهدف الأكبر منها تأمين المدينة المنورة، وتوسعة رقعة الدولة الإسلامية، وإشعار القبائل المجاورة أن دولة الإسلام لا يمكن هزيمتها أو تهديد مدينتها.

وتميز هذا العام أيضاً في تنفيذ عالمية الإسلام فقد نقش الرسول ﷺ خاتماً نقش فيه (محمد رسول الله) وبدأ بإرسال الكتب إلى الملوك والرؤساء يدعوهم فيها إلى الإسلام.





**أهم أحداث العام
السابع الهجري**





أهم ما وقع في العام السابع من أحداث

١. تأمين الجبهة الشمالية والشرقية للدولة الإسلامية، والقضاء على الخطر اليهودي في خيبر والأطراف الشمالية المتأخمة مع حدود بلاد الشام.
٢. مكاتبة الملوك والأمراء ودعوتهم إلى الإسلام، لتحقيق وعد الله ﷻ بأن الرسول ﷺ دعوته رحمة للعالمين.
٣. عمرة القضاء.





غزوة ذي قرد (الغابة)

غزوة ذي قرد^(١) كانت أول غزوة غزاها الرسول ﷺ بعد رجوعه من الحديبية^(٢) وقبل خيبر بثلاث أيام على الراجح^(٣).
وسببها: أن بعض الأعراب من قبيلة غطفان أخذوا إبل رسول الله ﷺ التي كانت ترعى خارج المدينة، فعلم بهم سلمة بن الأكوع^(٤)، فنادى على أهل المدينة، فسمعه الناس ثم أخذ يطاردهم وهم على البعير، وهو على رجليه مسافة طويلة، حتى أعياهم وأخذ ما معهم، ولحق الرسول ﷺ والصحابة لئلا يجدته وردوا امرأة من غفار كانوا قد أخذوها مع الإبل.

ففي الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه من حديث عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ سَمِعْتُ سَلْمَةَ بْنَ الْأَكْوَعِ يَقُولُ خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤَدَّنَ بِالْأُولَى وَكَأَنْتُ لِقَاحُ^(٥) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَرَعَى بِنْدِي قَرْدٍ قَالَ فَلَقَيْتَنِي غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ

(١) قال صاحب الروض الأنف: ويقال فيه قرد بضمين هكذا ألفيته مقيدا عن أبي علي والقرد في اللغة الصوف الرديء

يقال في مثل عثرت على الغزل بأخرة فلم تدع بنجد قردة.

(٢) الكامل في التاريخ - ابن الأثير ج ٢ ص ٩٧.

(٣) غزوة فريدة ودروس عديدة - فتحي الجندي - ص ١٩.

(٤) الناقة الحلوب قرية العهد من الولادة.

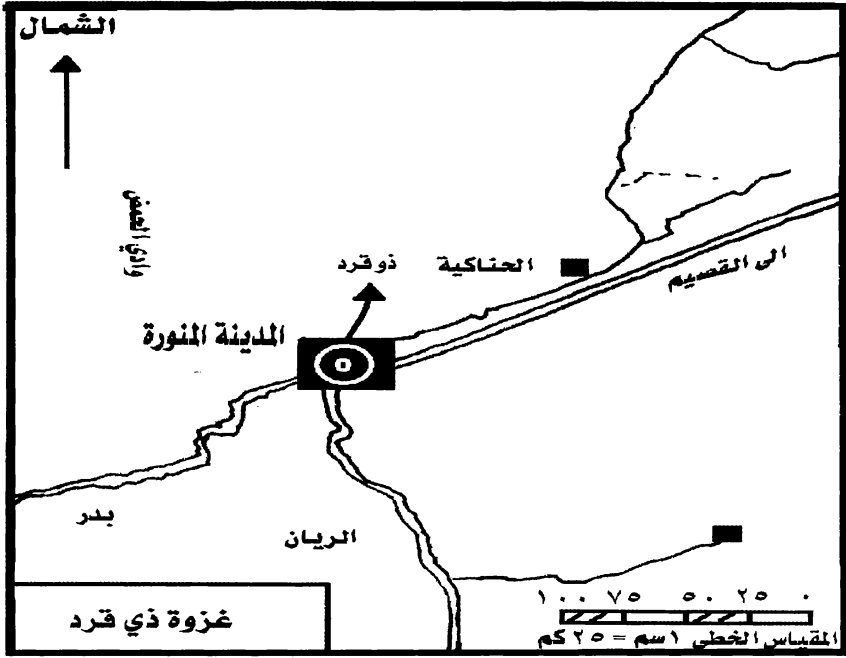
فَقَالَ أُخِذْتُ لِقَاحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ مَنْ أَخَذَهَا قَالَ عَطْفَانُ قَالَ فَصَرَخْتُ
ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ يَا صَبَاحَاهُ^(١) قَالَ فَأَسْمَعْتُ مَا بَيْنَ لَابَتِي الْمُدِينَةِ ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَى
وَجْهِي حَتَّى أَدْرَكْتُهُمْ بِذِي قَرْدٍ وَقَدْ أَخَذُوا يَسْقُونَ مِنَ الْمَاءِ فَجَعَلْتُ أُرْمِيهِمْ بِنَبْلِي
وَكُنْتُ رَامِيًا وَأَقُولُ أَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ^(٢) فَأَرْجُزُ حَتَّى اسْتَفْذْتُ
اللِّقَاحَ مِنْهُمْ وَاسْتَلَبْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً قَالَ وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَالنَّاسُ فَقُلْتُ يَا
نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي قَدْ حَمَيْتُ الْقَوْمَ الْمَاءَ وَهُمْ عِطَاشٌ فَابْعَثْ إِلَيْهِمُ السَّاعَةَ فَقَالَ يَا ابْنَ
الْأَكْوَعِ مَلَكَتْ فَأَسْجِحْ قَالَ ثُمَّ رَجَعْنَا وَيُرْدِفُنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى نَاقَتِهِ حَتَّى
دَخَلْنَا الْمُدِينَةَ^(٣).

وموقف سلمة بن الأكوع ؓ إنما يدل على قوة العزيمة عند المؤمن
صادق الإسلام، وتدل هذه الغزوة على أن الله ﷻ، قد أعطى بعض الناس
خصوصيات في بعض الجوانب الجسدية وقد ميز هذا الصحابي بالسرعة الفائقة
في الجري، ولقد كان يستخدم موهبته في الدعوة ونشر دين الله وحري بالذين
يشتركون في مسابقات الجري وألعاب القوى وغيرها، أن يتخلقوا بالأخلاق
الحسنة، وأن يكونوا رموزاً صالحة لمجتمعاتهم ودينهم.

(١) دعاء استغاثة حيث يستغيث بالصبح.

(٢) يوم هلاك النمام.

(٣) صحيح مسلم - كتاب - الجهاد والسير - باب غزوة ذي قرد - رقم الحديث ٣٣٧١٠.





غزوة خيبر

المحرم ٧هـ

قال ابن هشام:

أقام رسول الله ﷺ بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم - ثم خرج في بقية المحرم إلى خيبر^(١).

علم الرسول ﷺ أن اليهود قد اتصلوا ببعض القبائل القريبة من خيبر يحسونهم على قتال المسلمين وغزو المدينة المنورة، وكونوا حلفاً على الأطراف الشمالية لشبه الجزيرة العربية، ثم أرسلوا إلى كبير المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول يستميلونه إليهم، ويخبرهم بتحركات المسلمين، لذا قرر الرسول ﷺ أن يباغت حزب الشيطان قبل أن يستفحل خطره، فكون جيشاً قوامه ألف وأربعمائة مقاتل للسير إلى خيبر حيث أكبر تجمع لليهود هناك، غير أن ابن سلول اتصل بهم وأخبرهم بعدد المسلمين وعدتهم حتى يأخذوا حذرهم.

وكانت غطفان قد تجهزت للقتال وخرجت للوقوف مع اليهود، فلما خرجوا من ديارهم سمعوا حساً من ورائهم، فظنوا أن المسلمين قد داهمهم

(١) السيرة النبوية - لابن هشام - ص ٥٥٨.

وأشرك الرسول ﷺ من جاء مهاجراً إليه وهو في خير في الغنائم كأمثال جعفر بن أبي طالب، والأشعرين ومنهم أبو موسى الأشعري رضي الله عنه.

وقبل أن ينصرف الرسول ﷺ من خير أهدت له امرأة يقال لها له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية^(١) وقد سألت: أي عضو أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها من السم، ثم سمت سائر الشاة ثم جاءت بها، فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ تناول الذراع، فلاك^(٢) منها مضغة، فلم يسغها ولفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: قلت: إن كان ملكا استرحت منه، وإن كان نبيا فسيخبر، فتجاوز عنها.

قال ابن القيم: وجيء بالمرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: أردت قتلك، فقال: (ما كان الله ليسطك علي) قالوا: ألا تقتلها؟ قال: «لا» ولم يتعرض لها، ولم يعاقبها، واحتجم على الكاهل، وأمر من أكل منها فاحتجم، فمات بعضهم، وقد اختلف في قتل المرأة والصحيح أنه لما مات بشر قتلها^(٣).

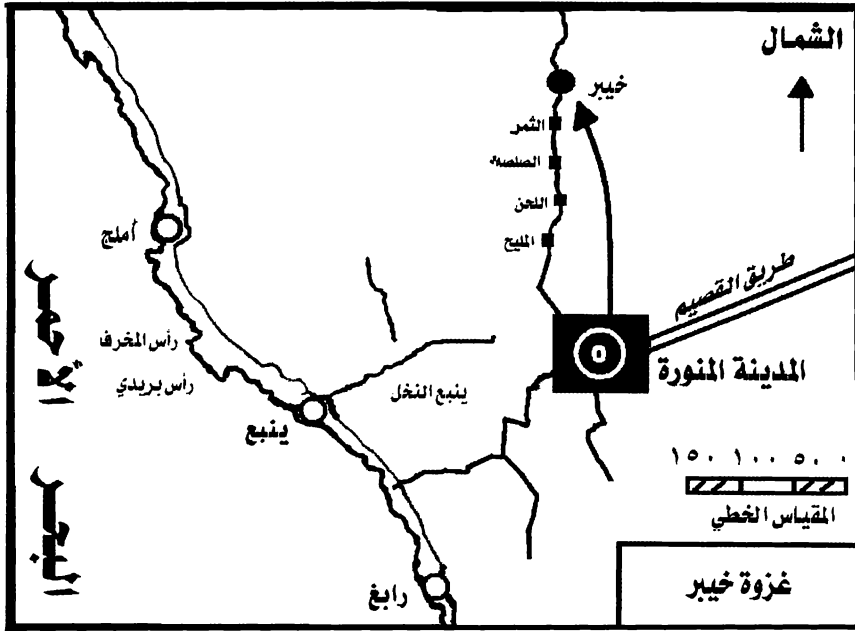
وفي طريق العودة تزوج الرسول ﷺ بالسيدة صفية بن حبي أخطب وكانت من سبي خيبر، بعد أن عرض عليها الرسول ﷺ الإسلام فأسلمت

(١) مشوية.

(٢) مضغ.

(٣) زاد المعاد - لابن القيم - (٣/٣٣٦).

فأعتقها، وتزوجها، ودخل بها في مكان يقال له (سد الصهباء) على بعد ١٢ ميلاً من خيبر في طريقه إلى المدينة^(١).



واستطاع الرسول ﷺ أن يؤمن الجبهة الشمالية ولو مؤقتاً، بعد أن توجه إلى اليهود الساكنين في فدك وتيما ووادي القرى وعقد معهم صلحاً يقضي بأن يكون لهم نصف الثمار وللمسلمين النصف الآخر كما عامل أهل خيبر. ويلاحظ من غزوة خيبر أن أسلوب اليهود لم يتغير في القتال كما أخبر المولى ﷺ في كتابه الكريم، قال تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْىٍ مَّحْصَنَةٍ﴾

(١) الرحيق المختوم - صفيا الدين المباركفوري - ص ٣٤٥.

أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ [الحشر: ١٤]

فهم دائماً يلجئون إلى الحصون وبناء الجدر ليختبئوا فيها، وهذا واقع مشاهد فإسرائيل الآن تبني الجدار العازل لحمايتها من هجمات المجاهدين، كما كان يفعل أسلافهم من بني قريظة، وخيبر وغيرهم.

كما يلاحظ أن طبائعهم لم تتغير في معاملاتهم مع غيرهم، فلم يأخذوا عظة مما وقع عليهم، وإنما رجعوا إلى سابق عهدهم في المراوغة والرشوة، فزينب بنت الحارث التي وضعت السم في الشاة، ولما جيء بها، وسئلت لماذا فعلت هذا؟

قال: أردت أن أعرف أن كان محمداً نبياً أم لا..

وأظن - والله أعلم - أن زينب بنت الحارث ما أقدمت على وضع السم في الطعام لرسول الله ﷺ إلا بدافع الانتقام لزوجها الهالك سلام بن مكشم الذي أرسل إليه النبي ﷺ الصحابة فقتلوه بعد أن هرب من المدينة وأخذ يدبر المؤامرات ضد المسلمين.

وموقف آخر يدل على طبائع اليهود أن الرسول ﷺ كان يرسل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه لجمع ثمار خيبر فأرادوا أن يعطوه رشوة لكي يخفف عنهم ويتجاوز، فقال: رضي الله عنه: يا معشر اليهود والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلي، وما ذلك بحاملي على أن أحيف عليكم، فأما ما عرضتم من الرشوة فإنها سحت وإنما لا نأكلها، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض.

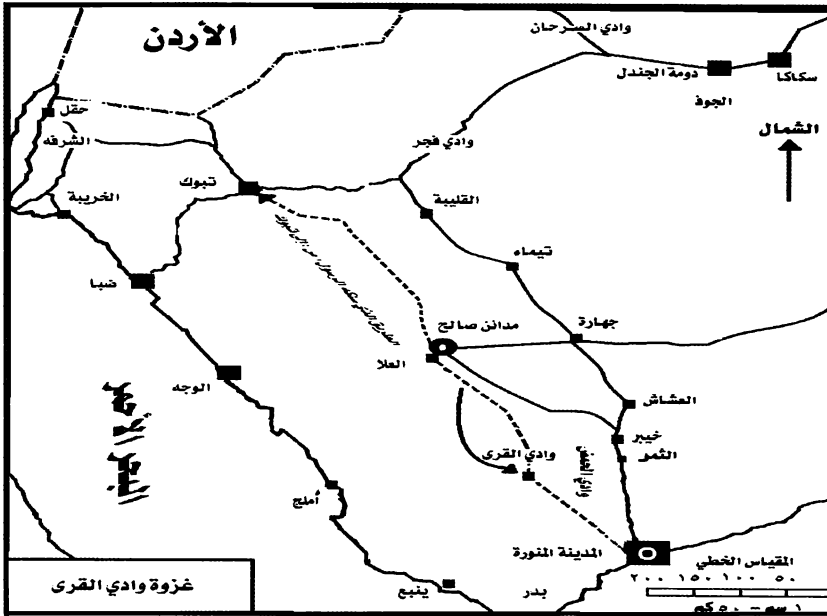
وهذا درس نتعلمه من الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه في التمسك بأخلاق الإسلام، والبعد عن الرشوة لأنها من كبائر الذنوب حيث لعن الله الراشي والمرتشي، كما أنها تدمر المجتمع حيث يكثر فيه أكلة الحرام ويترتب عليها ضياع الحقوق من أهلها، ويترتب عليها كذلك ضياع حق الضعفاء والمساكين الذين لا يقدرّون أن يدفعوا شيئاً للمرتشين، لأن المرتشي تنطبع في شخصيته عدم أداء ما يكلف به إلا بالرشوة فإن لم يتم دفعها؛ فإنه يُعقد الأمور حتى يستسلم صاحب المصلحة ويلجأ إلى دفع الرشوة في النهاية.





غزوة وادي القرى

وادي القرى هي تلك القرى التي كانت تقع بين خيبر وتيماه، وكان يسكن فيها جمع من اليهود، فحاصرهم الرسول ﷺ بعد فتح خيبر، ثم استسلمت، وعاملهم الرسول كما عامل أهل خيبر، وبذلك تساقطت سائر الحصون اليهودية أمام قوات المسلمين، وتم توسعة حدود الدولة الإسلامية لتكتسب أرضاً جديدة يرفع عليها شعار التوحيد، والعبودية الخالصة لله الواحد القهار.





غزوة ذات الرقاع

اختلف كتاب السيرة في تاريخ هذه الغزوة فعند البخاري أنها بعد خيبر وذهب ابن اسحاق أنها بعد غزوة بني النضير وقبل الخندق أي سنة أربع، وعند ابن سعد وابن حبان أنها كانت في المحرم سنة خمس، وأما أبو معشر فجزم أنها كانت بعد بني قريظة والخندق، والراجح ما ذهب إليه البخاري وأبو معشر لأن أبا موسى الأشعري شهدها، وقد قدم من الحبشة بعد فتح خيبر مباشرة، وأبو هريرة شهدها، وقد أسلم حين فتح خيبر.

وقد سميت بغزوة ذات الرقاع، كما سميت بغزوة نجد، وغزوة بني محارب وبني ثعلبة من غطفان^(١)، والأغلب أنها وقعت في ربيع الأول عام ٧هـ^(٢).

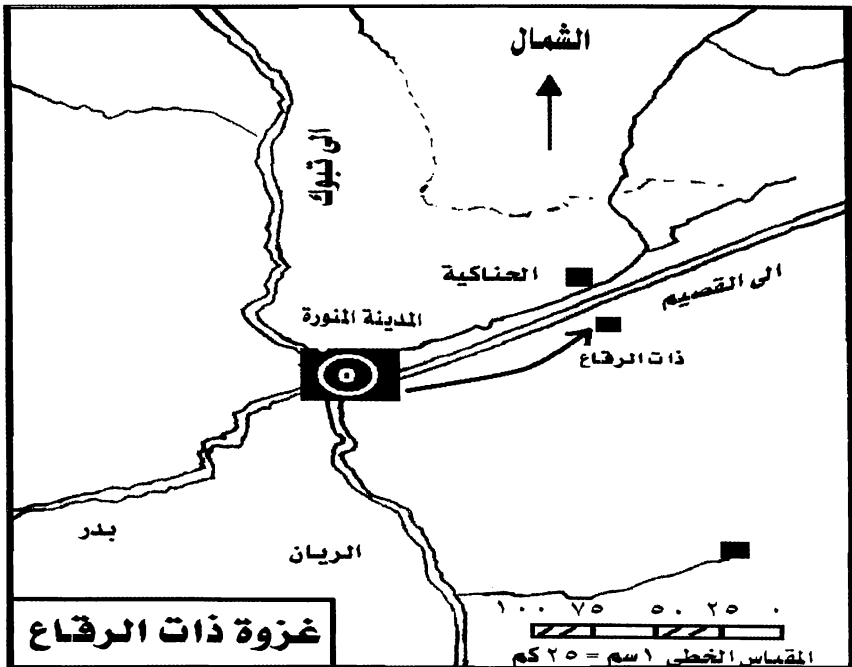
سببها..

أما السبب المباشر فيها أن الرسول ﷺ سمع عن تجمع غطفان لحرب المسلمين، وهم الذين أرادوا أن يساندوا اليهود من قبل، فخرج الرسول ﷺ في أربعائة مقاتل وشتت شملهم.

(١) السيرة النبوية الصحيحة - د- أكرم ضياء العمري - ص ٤٦٢.

(٢) الرحيق المختوم ص ٣٤٨.

ففي الحديث الذي رواه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم فِي غَزْوَةِ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ فَتَقَبَّتْ أَقْدَامُنَا وَتَقَبَّتْ قَدَمَايَ وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي وَكُنَّا نُلْفُ عَلَى أَرْجُلِنَا الْحِرْقَ فَسُمِّيتْ غَزْوَةُ ذَاتِ الرَّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الْحِرْقِ عَلَى أَرْجُلِنَا وَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهِذَا ثُمَّ كَرِهَ ذَلِكَ قَالَ مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَدْكُرُهُ كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ^(١).



وفي هذه الغزوة صلى الرسول صلى الله عليه وسلم بالصحابة صلاة الخوف، وعندما استظل تحت شجرة جاءه رجل من الكفار فاستل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال:

(١) رواه البخاري - كتاب المعازي - باب غزوة ذات الرقاع - رقم الحديث ٣٨١٦.

من يمنحك مني يا محمد، فقال الرسول ﷺ الله، فسقط السيف من يد الرجل فأخذه رسول الله ﷺ، وقال له من يمنحك مني قال الرجل: كن خير آخذ، فتركه الرسول ﷺ ولم يعاقبه.

ولعل إلحاق بعض أهل المغازي هذه الغزوة بأحداث العام الرابع الهجري أن الجذب كان واضحاً فيه في جزيرة العرب في هذا الوقت لذا فإن قريشاً أجلت خروجها لقتال المسلمين، وكانوا قد تواعدوا على اللقاء في بدر في العام الرابع بعد غزوة أحد، فلما خرج أبو سفيان، تعلق بجذب الأرض، ورجع بجنوده.

وقد يقول قائل: كيف تنقب أقدام الصحابة وهم قد غنموا في خيبر مغانم كثيرة؟

والرد على ذلك أن مغانم خيبر كانت من الثمار، ولم تكن من الخيول والإبل، لذا قالت السيدة عائشة ؓ ما شبعنا من خبز الشعير حتى فتح الله علينا خيبر.





رسائل الدعوة المحمدية

سعى النبي ﷺ أن يبلغ رسالة ربه إلى الناس كافة بالحكمة والموعظة الحسنة، لذا أرسل الرسول ﷺ الصحابة لحمل رسائل التوحيد إلى الأمراء والملوك والحكام، وبدأت هذه الرسائل منذ أن عقد الرسول ﷺ صلح الحديبية في العام السادس من الهجرة النبوية المباركة، واستمرت بعد ذلك إلى وفاة الرسول ﷺ غير أنها تركزت بشكل ظاهر للعيان خلال العام السابع والثامن للهجرة، ثم جاء العام التاسع، وسمي - بعام الوفود - حيث جاءت الوفود إلى المدينة المنورة؛ لتبايع الرسول ﷺ على الدخول في الإسلام، وكان ممن أرسل إليهم الرسول ﷺ الرسائل:

١. النجاشي ملك الحبشة، وبعث إليه الرسول ﷺ بكتاب مع الصحابي عمرو بن أمية الضمري في المحرم من العام السابع، ثم زوج النجاشي السيدة رملة بنت أبي سفيان ؓ لرسول الله ﷺ وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة ؓ فدخل بها الرسول ﷺ بعد رجوعه من خيبر.

٢. المقوقس عظيم القبط في مصر.

٣. كسرى ملك الفرس.

٤. قيصر ملك الروم.

٥. المنذر بن ساوى ملك البحرين.

٦. هوزة بن علي صاحب اليمامة.

٧. الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق *

ونقش النبي ﷺ خاتماً من فضة مكتوب عليه (محمد رسول الله).

و شاء الله ﷻ أن يؤمن بعضهم، وأن يكفر بعضهم، فمن أسلم فقد أفلح
ومن كفر فعليه كفره، ولا يزيد الذين كفروا كفرهم إلا مقتاً، وطرذاً، وخسراناً
في الدنيا والآخرة.

لذا ينبغي أن يكون الداعية بصيراً، ولا ييأس من رحمة الله، وعليه أن يتخذ
من الوسائل المتاحة لتبليغ دعوة الله ﷻ ومن هذه الوسائل كتابة الرسائل
الدعوية، وتوزيع الكتب والمطبوعات، وإنشاء المواقع الإسلامية على شبكة
الإنترنت، والكتابة في الصحف والمجلات، وليعلم أن الله ناصر دينه ومعلي
كلمته، وأن من جاهد فإنما يجاهد لنفسه، وأن الله غني عن العالمين، وليعلم أن
الله لا يرضى لعباده الكفر.

والتأمل لهذه الكتب إلى ملوك الأرض المحيطة ببلاد العرب ليدرك بما لا
يدع مجالاً للشك معنى عالمية الدعوة لنشر الدين الإسلامي في ربوع المعمورة
فالإسلام هو الدين الخاتم مصداقاً لقوله المولى ﷻ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ

أَلَسَلَّمُ ﴿آل عمران: ١٩﴾ وهذا إخبار من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام^(١).



(١) قطوف من رياض السيرة المحمدية - محمد حسن فايد - ص ١٤٢.



عمرة القضاء

ذي القعدة ٧هـ

عمرة القضاء هي العمرة المتفق عليها من العام السادس في صلح الحديبية حيث اتفق الكفار مع المسلمين على أن يرجعوا هذا العام على أن يعتمروا العام القادم، فيمكثوا في الحرم ثلاثة أيام ثم يرجعوا إلى المدينة.

قال ابن اسحاق: واستعمل الرسول ﷺ على المدينة عوف بن الأضبط الدائلي، وخرج معه كل من كان في صلح الحديبية إلا من استشهد منهم، وخرج معهم غيرهم، ومعهم السيوف، والرماح، وأدوات الحرب، مخافة غدر المشركين، وقبل أن يدخلوا مكة تركوها في حراسة بعض الصحابة، ودخلوا ومعهم السيوف في غمدها.

وفي هذه العمرة أمر الرسول ﷺ أصحابه بالرمل^(١) والاضطباع وبقى المسلمون ثلاثة أيام ثم جاء سهيل بن عمرو يذكر الرسول ﷺ بصلح الحديبية، فأمر رسول الله ﷺ أبا رافع فأذن بالرحيل، ونزل رسول الله ﷺ بطن سرف^(٢)

(١) الرمل اسراع الخطى في الثلاث أشواط الأولى في الطواف حول الكعبة، والاضطباع: كشف الكتف الأيمن في

الطواف، وهذا خاص بالرجال دون النساء.

(٢) عند التعميم حالياً.

فبنى^(١) بميمونة بنت الحارث^(٢)، وأصدقها أربع مائة درهم^(٣) وهي آخر من تزوج الرسول ﷺ من نسائه، وآخر من مات من نسائه بعده،^(٤).



(١) فدخل بها.

(٢) أنظر: البداية والنهاية - لابن كثير - ص ٨٠٩.

(٣) أنظر: السيرة النبوية لابن هشام - ص ٥٨٢.

(٤) انظر: هذا الحبيب محمد يا محب، للجزائري، - ص ٣٧٥.



**أهم أحداث العام
الثامن الهجري**





إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص

وعثمان بن طلحة

ابتليت الأمة بضعف المعرفة الدينية عند بعض من يعمل في مجال الدعوة دون علم، فقد سمعت وأنا طفل صغير من أحد الدعاة وهو يعظ الناس في المسجد، أن خالد بن الوليد رضي الله عنه كان يقف لحراسة المسلمين في مكة وهم يصلون، وكان لا يصلي معهم، لذا فإنه سيصلي ما فاته من صلوات على - بلاطة جهنم، ولم أفهم في حينها متى أسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه إلا في المرحلة الإعدادية ونحن ندرس تاريخ الدولة الإسلامية.

لذا يجب أن يكون الداعية بصيراً بما يقول، لأنه سيسأل عنه يوم القيامة..

قصة إسلامهم

كان السبب في إسلام خالد بن الوليد - رضي الله عنه - أن الله تعالى شرح صدره للإسلام بعد أن جرب ضلال الشرك والبعد عن الله، وأيقن أن الله ناصر دينه ومعلي كلمته، ومؤيد رسوله.

ولقد ترتب على عمرة القضاء أن المشركين أيقنوا بغلبة الإسلام على الشرك، فتحررت القلوب نحو التوحيد، وانتقلت من الظلمات إلى النور، وكان ممن تحركت قلوبهم نحو الإسلام خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة.

يقول اللواء محمود شيت خطاب: (أثرت عمرة القضاء في هذه الفترة على معنويات قريش تأثيراً كبيراً، فقد وقف الكثير من قريش عند دار الندوة بمكة، كما عسكر آخرون فوق الهضاب المحيطة بها ليشهدوا دخول الرسول ﷺ وأصحابه، فلما دخل رسول الله ﷺ المسجد اضطبع بردائه وأخرج عضده اليمنى ثم قال: «رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة»، ثم استلم الركن وأخذ يهرول وأصحابه معه، فلم يكديترك الرسول ﷺ مكة، حتى وقف خالد ابن الوليد يقول في جمع من قريش: لقد استبان لكل ذي عقل أن محمداً ليس بساحر ولا شاعر، وأن كلامه من كلام رب العالمين، فحق كل ذي لب أن يتبعه وسمع أبو سفيان بما كان من قول خالد بن الوليد، فبعث في طلبه، وسأله عن صحة ما سمع، فأكد له خالد صحته، فاندفع أبو سفيان إلى خالد في غضبه فحجز عنه عكرمة وكان حاضراً، وقال: مهلاً يا أبا سفيان، فوالله خفت للذي خفت أن أقول مثل ما قال خالد وأكون على دينه، أنتم تقتلون خالدًا على رأي رآه، وهذه قريش كلها تابعت عليه، والله لقد خفت ألا يحول الحول حتى يتبعه أهل مكة كلهم. وأسلم من بعد خالد بن الوليد عمرو بن العاص، وحارس

الكعبة نفسها عثمان بن طلحة، بل وظهر الإسلام في كل بيت من قریش سرًّا وعلانية؛ وبهذه النتيجة الطيبة يمكننا القول بأن عمرة القضاء هذه قد فتحت أبواب قلوب أهل مكة قبل أن يفتح المسلمون أبواب مكة نفسها^(١).



(١) انظر: السيرة النبوية - عرض وقائع وتحليل أحداث د / علي محمد الصلابي - ج ٢ ص ٣٠١٠



سرية مؤتة^(١)

والصدام المسلح مع الروم

جمادى الأولى ٨ هـ

أسبابها..

أراد الرسول ﷺ أن يثأر للحارث بن عمرو الأذي الذي أرسله إلى عظيم بصري في الشام، فلقيه شرحبيل بن عمرو الغساني فأوثقه و ضرب عنقه وكان شرحبيل عاملاً على أرض البلقاء التابعة للدولة الرومانية. وفعل كهذا لا ينبغي السكوت عليه لأن السفراء والرسل لا يقتلون، والاعتداء عليهم، يعتبر اعتداء على من أرسلهم بل على دولتهم. فوجه النبي ﷺ جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، لهذه المهمة، وجعل على قيادة الجيش زيد بن حارثة، ثم أوصاهم إن قتل فجعفر بن أبي طالب، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، فإن قتل فليختاروا رجلاً منهم، وأوصاهم كذلك أن يأتوا المكان الذي قتل فيه الحارث بن عمرو، وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإن أجابوا وإلا استعانوا بالله عليهم وقاتلوهم، وقال لهم: اغزوا بسم الله في

(١) قال صاحب الروض الآنف: وهي مهموزة الواو وهي قرية من أرض البلقاء من الشام.

ثم انطلق جيش المجاهدين حتى بلغ (معان بأرض الشام) فبلغهم أن الروم جمعوا لهم مائة ألف مقاتل وعدد من القبائل العربية المتحالفة معهم كلخم وجذام وبلي، وبلقين وبهراء في مئة ألف آخرين.

فلما علم المسلمون بهذا العدد الهائل من الأعداء أقاموا في معان ليلتين ينظرون في أمرهم، وقالوا نكتب إلى رسول الله ﷺ نخبره بعدد عدونا، فإما أن يمدنا بالرجال، وأما أن يمدنا برأيه.

فقال: عبد الله بن رواحة: يا قوم، والله إن التي تكرونهون للتي خرجتم تطلبون^(١)، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنها هي إحدى الحسينين، إما ظهور وإما شهادة فنزل الناس على هذا الرأي.

ولما اصطف الفريقان للقتال في أرض مؤتة، نظر أبو هريرة رضي الله عنه إلى هذه الجموع وما معها من عدة، وسلاح، وحرير، وديباج، فقال له ثابت بن أقرم: يا أبا هريرة، كأنك ترى جموعاً كثيرة. قال: نعم.

قال ثابت: إنك لم تشهد بداراً، إننا لم نتصر بالكثرة.

ولما بدأ القتال كانت الراية مع زيد بن حارثة يصول، ويجول كالأسود في الميدان، فقاتل حتى قتل، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب، فقاتل حتى

(١) الموت في سبيل الله.

قطعت يمينه، فأمسك الراية بشماله، فقاتل حتى قطعت، فأمسك بالراية بين
عضديه وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

قال ابن هشام: وحدثني من أثق به من أهل العلم: أن جعفر بن أبي طالب أخذ
اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتى قتل ﷺ
وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث
شاء. ويقال: إن رجلاً من الروم ضربه يومئذ ضربة، فقطعه نصفين^(١).

ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وكان ﷺ شاعراً لبيباً وداعية إلى الله
أسلم على يديه بعض قومه، وممن أسلم على يديه أبو الدرداء^(٢) ﷺ.
وهو يقول:

أقسمت يا نفس لتنزلنه
لتنزلن أو لتكرهنه
إن أجلب^(٣) الناس وشدوا الرنة^(٤)
مالي أراك تكررهن الجننة

(١) السيرة النبوية، لابن هشام ص ٢٧٤.

(٢) المدينة في صدر الإسلام - الحياة الأدبية - محمد العيد الخطراوي - ص ٢٢٢.

(٣) صاحوا.

(٤) الصوت كأنهم يبكون.

قد طال ما قد كنت مطمئنة

هل أنت إلا نطفة في شنه^(١)

يا نفس إلا تقـتلي تموتـي

هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت

إن تفعلـي فعلهما هـدـيت

ثم قاتل حتى قتل، فأمسك بالراية ثابت بن أقرم العجلان، فقال، أيها

المسلمون اصطلحوا على رجل منكم فقالوا، أنت، فقال ما أنا بفاعل

فاصطلح الناس على خالد بن الوليد رضي الله عنه ففي الحديث الذي أخرجه البخاري

وغيره من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ أَخَذَ

الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ

فَأُصِيبَ ثُمَّ أَخَذَهَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ عَنْ غَيْرِ امْرَأَةٍ^(٢)).

واستطاع القائد المغوار أن يعيد تنظيم الصفوف، فجعل ميمنة الجيش

ميسرة والميسرة ميمنة، والمقدمة مؤخرة والمؤخرة مقدمة، فلما رأى العدو هيئة

المسلمين قد تغيرت ظنوا أن هناك مدداً قد جاءهم من المدينة، ثم مال خالد بن

الوليد على فرقة من جيش العدو، ثم انسحب بالجيش، والعدو واقف مكانه،

(١) السقاء البالي، يعني لا قيمة في الحياة إلا في طاعة الله.

(٢) صحيح البخاري - كتاب - الجهاد - رقم الحديث ٣٨٣٥.

٣. كرامة الله للشهداء فهم أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله، ولما لا وقد جعل الله ما سأل من دمائهم في الدنيا، يكون في الجنة برائحة المسك، وأعطاهم الله ما عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وفي هذه المعركة أبدل الله ﷻ جعفر بن أبي طالب جناحين يطير بهما في الجنة عوضاً عن ذراعية التي قطعت في هذه المعركة.

٤. قد يقول قائل أنه كان على المسلمين أن ينسحبوا من بداية المعركة عندما شاهدوا هذا الجمع الغفير، ونقول، لا يغني حذر من قدر، وما يدريك أنه لو انسحب المسلمون لتبعهم الروم ومن معهم يطاردونهم إلى المدينة، وقد تشجعهم قوتهم وعددهم أن يدخلوها، ويقضوا على دولة المسلمين، ثم إن شجاعة المسلمين وبسالتهم وعدم تركهم القتال في بداية المعركة، جعلت إخوانهم العرب الواقعين على تخوم الروم يفكرون في الميل إلى إخوانهم العرب ضد الروم بعد المعركة، فأسلمت قبائل غطفان وبني سليم، وأشجع وذيبيان، وفزارة، وأصبحوا جبهة واحدة ضد الروم.

٥. دلل موقف الصحابي الجليل ثابت بن أقرم أن القيادة العسكرية ليست مفاخرة بقدر ما هي مسئولية تحتاج إلى أنفس تجيد فنون القتال، فالرجل لما أمسك الراية، وقال له المسلمون، أنت أهل لها، قال: لا والله، لأنه

علم أن في الجيش من هو أقدر منه في هذا المجال فتركها له بنفس مطمئنة.

٦. تدل أحداث المعركة على أن خالد بن الوليد رضي الله عنه كان رجل الموقف الذي تصرف وفق ما تمليه عليه الظروف، وليس فراراً من القتال فالانسحاب هنا نصر بكل المقاييس لأنه لم يخسر جنوده بل ادخرهم للمستقبل، لحين تجهيز الجيش للقتال، لذا تدرس خطة الانسحاب هذه في الأكاديميات العسكرية على أنها أعظم خطة انسحاب في التاريخ العسكري.

٧. أوضحت تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم لجنوده في عدم التعرض للأطفال والنساء وكبار السن، حسن تعاليم الإسلام، وما نراه هذه الأيام التي نعيشها وما يقع تحت سمعنا وبصرنا من غارات وحشية على السكان الآمنين وكيف تزهد الأرواح البريئة، وتدمر المساجد، والكنائس، والمصانع والمساكن ويهدم في لحظات ما بنته المدنية والحضارات في سنوات لدليل واضح على سماحة الإسلام وعنصرية أعدائه^(١).

٨. دلل موقف الرسول صلى الله عليه وسلم مع أسر الشهداء، على توجيه المسلمين إلى ما يجب عليهم نحو المجتمع الذي يعيشون فيه من مواسة المحتاجين

(١) القبس الوضاء - د- محمد الطيب النجار - ص ١٩٥.

- وكفالة الأيتام، ومساعدة الفقراء، أما ما عليه المسلمون الآن من حفلات واختلاط، وإسراف ممقوت، فهذا ليس من السنة في شيء.^(١)
٩. البر باليتامى وعولهم، وكفالتهم من سنن الإسلام، وسنن سيد المرسلين - عليه الصلاة والسلام -.
١٠. أن التربية المحمدية، صنعت من الأطفال الصغار، رجالاً وأبطالاً يرون العودة من المعركة دون شهادة في سبيل، فراراً، لا يكافئون عليه إلا ببحثو التراب في وجوههم.^(٢)



(١) المرجع السابق - ص ١٩٥ - بتصرف شديد.

(٢) صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة - د- محمد فوزي فيض الله - ص ٣٥٨.



سرية ذات السلاسل

جمادى الآخرة ٨هـ

كانت هذه السرية في أعقاب معركة مؤتة حيث أرسل الرسول ﷺ عمرو بن العاصؓ ومعه جمع يقدر بنحو ثلاثمائة مقاتل من الصحابة إلى مشارف بلاد الشام، فلما صار عمرو بن العاص وتوغل في هذه البلاد أرسل يريد مدداً من الصحابة إلى رسول الله ﷺ فأرسل إليه عدد من الصحابة فيهم أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطابؓ، وجعل أميرهم أبو عبيدة بن الجراح، فلما وصل المدد قال عمرو بن العاص لهم: أنا أميركم، فقال أبو عبيدة، لا بل أنت على مجموعتك، وأنا على مجموعتي، فقال عمرو بن العاص لا، فقال: أبو عبيدة بن الجراح.

يا عمرو: إن رسول الله ﷺ قال لي: لا تختلفوا.

وإنك إن عصيتني، فأنا أطيعك، ثم تنازل للقيادة لعمرو بن العاص.

واستطاعت هذه السرية أن تبث الرعب في قلوب المعاندين على أطراف الجزيرة العربية، وتشعرهم أن دولة الإسلام قادمة إليهم، وأن نور الله سيبلغ الآفاق.

وحدث في إحدى الليالي أن احتلم عمرو بن العاص فلم يقدر أن يغتسل فتميم ثم صلى بالمسلمين الصبح ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الرحمن بن جبير عن عمرو بن العاص أنه قال لما بعثه رسول الله ﷺ عام ذات السلاسل قال اختلمت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيممت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح قال فلما قدمنا على رسول الله ﷺ ذكرت ذلك له فقال يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب قال قلت نعم يا رسول الله إني اختلمت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك وذكرت قول الله ﷻ ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً فتيممت ثم صليت فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئاً. (١)

ولقد أثبت هذه السرية مدى حرص الصحابة على وحدة الصف، فقد تنازل أبو عبيدة عن الإمارة، وهو من هو في المكانة والقيادة والسبق إلى الإسلام من عمرو بن العاص، وأراد توحيد المسلمين، وأن يكون الجميع في خندق واحد ضد أعداء الدين.

نقول ذلك لفصائل المجاهدين في فلسطين وغيرها من بلاد الله، إياكم وحمل السلاح ضد بعضكم البعض، فإن عدوكم يشعل نار الفتنة بينكم ويريد أن تقتتلوا فيما بينكم، ليتخلص منكم جميعاً بعد أن تكون همتمكم قد ضعفت فالحذر كل الحذر من الفتنة والقطيعة فيما بينكم.

(١) مسند أحمد - كتاب مسند - الشاميين - رقم الحديث ١٧١٤٤ وصححه الألباني في سنن أبي داود برقم

وياليت من يتعرض لتولي مصالح المسلمين أن يكون أهلاً لها، فلا يستخدم ما وصل إليه لتحقيق أطماعه الشخصية على حساب غيره من الناس. ولقد أثبتت هذه السرية أيضاً جواز الصلاة خلف المتيمم، وجواز التيمم إذا خشى الإنسان على نفسه الهلكة والمرض.





الفتح المبين

رمضان ٨ هـ

أسباب فتح مكة ..

كان من بنود صلح الحديبية في العام السادس للهجرة المباركة أن من شاء دخل في حلف محمد، ومن شاء دخل في حلف قريش، فدخلت خزاعة في الحلف والنصرة والعهد مع رسول الله ﷺ، ودخلت بنو بكر في حلف قريش.

قال ابن سحاق:

فمكثوا في تلك الهدنة نحو سبعة أو اثني عشر شهراً، ثم إن بني بكر وثبوا على خزاعة ليلاً بهاء يقال له « الوتير » وهو قريب من مكة، وقالت بنو بكر لقريش: ما يعلم بنا محمد، وهذا الليل وما يرانا أحد، فأعانوهم بالسلح وقاتلوا معهم.^(١)

ويبدو أن خزاعة لم تكن مستعدة للقتال بدليل أنهم لما شعروا بأن بني بكر يطاردونهم دخلوا الحرم فتبعهم بنو بكر؛ ثم وقفوا لا يقدرّون على دخوله تعظيماً له، فقالت خزاعة لزعيم بني بكر نوفل بن معاوية الوائلي.

١ - البداية والنهاية، لابن كثير - ج ١ - ص ٨٤٠ -

يا نوفل: إلهك إلهك.

فقال نوفل: لا إله اليوم.

يا بني بكر أصيبوا ثأركم، فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم، أفلا تصيبوا ثأركم فيه.

وبذلك نقضت قريش عهدا مع المسلمين وركب عمرو بن سالم إلى المدينة ليخبر الرسول ﷺ بما حدث.. وقال شعراً جاء فيه..

يارب إني ناشد محمدا	حلفنا وحلف أبيه الأتدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا	ثمة أسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر، هداك الله، نصرنا	وادع عباد الله يأتوا مددا
أبـــــــدا	

فقال له الرسول ﷺ: نصرت يا عمرو بن سالم.

أما أبو سفيان بن حرب فقد أدرك عواقب هذه الفعلة، فخرج مسرعاً إلى المدينة المنورة ليجدد الصلح مع رسول الله، أو يعتذر له عما حدث، فلم يجد من يشفع له عند رسول الله ﷺ، فرجع إلى مكة يخبرهم بما حدث معه في المدينة. وبعد أن استشار الرسول ﷺ أصحابه واتفق رأيهم على الخروج إلى مكة، أمر أصحابه أن يأخذوا القوم على غرة قبل أن يستعدوا للحرب والقتال.

وقد أراد الرسول ﷺ لأهل مكة الخير لأنهم لن يقدرُوا على مواجهة هذا الجيش الكبير، ولكي يستسلموا، ويحقنوا دمايتهم، فليس المراد أن يتشفى منهم، وإنما أراد أن يخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربه. غير أن الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة أرسل كتاباً إلى قريش يجذرهم من قدوم رسول الله ﷺ وأنه سيأخذهم على حين غفلة من أمرهم، فجاء الوحي وأخبر رسول الله ﷺ.

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري وغيره من حديث عبيد الله بن أبي رافع قال: سَمِعْتُ عَلِيًّا رضي الله عنه يَقُولُ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرُ وَالْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ قَالَ انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخ ^(١) فَإِنَّ بِهَا ظِعِينَةً ^(٢) وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا فَاَنْطَلِقُوا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ فَقُلْنَا أَخْرِجِي الْكِتَابَ فَقَالَتْ مَا مَعِيَ مِنْ كِتَابٍ فَقُلْنَا لَتُخْرِجَنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِينَ الثِّيَابَ فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا ^(٣) فَاتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أَنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَا حَاطِبُ مَا هَذَا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ أَمْرًا مُلْصَقًا ^(٤) فِي قُرَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ

(١) مكان بين المدينة ومكة.

(٢) المرأة في السفر.

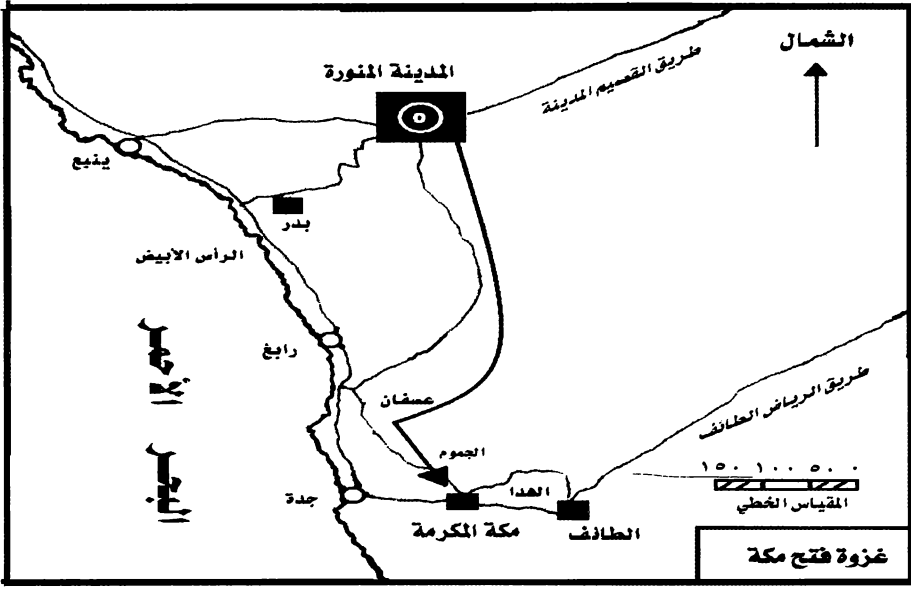
(٣) ضفيرة الشعر.

(٤) حليفاً لهم وليس منهم.

بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَاهُمْ فَأَحْبَبْتُ إِذْ قَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ
أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا أَرْبِدَادًا وَلَا رِضًا بِالْكَفْرِ
بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَقَدْ صَدَقْتُمْ قَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي
أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ قَالَ إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ
أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ فَقَالَ اأَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ^(١).

هنا وضحت المسألة فقد أراد الرجل أن تكون له حذوة عند الكفار فإذا قامت الحرب، فلا يقتلون أهله الذين ما زالوا في مكة، ولا شك أن هذا خطأ في تقدير الحسابات لأن الكفار لا يفكرون بهذا المنطق، لأن الله ﷻ قال: (فكيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا وذمة) فهم لا يتورعون إذا غلبوا المسلمين أن يقتلوهم ولا يبقوا منهم أحداً، ولكن تاريخ الرجل، وحسن نيته كانا كفيلا بالعمفو عنه.

(١) صحيح البخاري - كتاب الجهاد والسير - باب الجاسوس - رقم الحديث ٢٧٨٥.



وكان جيش المسلمين يتكون من عشرة آلاف مقاتل، وفي الطريق أسلم العباس عم النبي ﷺ وأبو سفيان بن الحارث - ابن عم رسول الله ﷺ، وأسلم كذلك عبد الله بن أمية - ابن عمه الرسول ﷺ، وأسلم كذلك حكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء، وأبو سفيان بن حرب، ولم يبحث النبي ﷺ عنهم في المكانة والرياسة فقال لهم ﷺ يوم الفتح، من دخل دار العباس فهو آمن، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن، ومن أغلق عليه داره فهو آمن.

وفي يوم الفتح أيضاً أمر الرسول ﷺ عمه العباس أن يقف مع أبي سفيان عند الثنية التي سيدخل منها جيش المسلمين، فدخل الزبير بن العوام ومن معه، ثم دخل خالد بن الوليد من أسفل مكة، ثم تابعت القبائل ومعها

ولما استقام الأمر للرسول ﷺ أرسل الصحابة يهدمون الأصنام في البلدان المجاورة، ومن هذه الأصنام العزى واللات، ومناة وغيرهم.

الدروس والعبر..

ولقد أوضح فتح مكة الكثير من الدروس ومنها:

١. حرص الرسول ﷺ على حقن الدماء، فلقد أراد أن يدخل مكة قبل أن يستعدوا لقتاله في معركة غير متكافئة من جانبهم، وهذا درس للمظلوم إذا مكنه الله من استرداد حقه فلا يدفعه حقه من الانتقام من الآخرين والبطش بهم، بل عليه أن يعفو ويصفح.
٢. درس العفو من القائد، ومن الرئيس للمرؤوس إذا حدث منه خطي لا يقصده طالما أن نيته سليمة، ولم يتعمد الخطأ، ومن أسف هناك صنف من المسؤولين لا يركزون إلا على الأخطاء التافهة فيجعلون من يعملون تحت أيديهم في هم وغم دائم فينعكس ذلك في النهاية على أدائهم وإنتاجهم.
٣. على القائد وقت نصره أن ينزل الناس منازلهم، فلا ينزع السلطة إلا من ظالم ولا يتعداه إلى غيره.
٤. بعض الناس لا ينشط في الأعمال الخيرية إلا بالثناء والفخر عليه، فيظهر أمام الناس أنه هو الذي يقدم العطاء، وهو الذي يتسبب في إطعام

الفقراء، وهو الذي يفعل كذا، ولولاه لحدث كذا، وهذا من محبّات الأعمال، ونعوذ بالله من ذلك.

٥. حرمة سفك الدماء في مكة، والاعتداء على حرمتها ففي يوم الفتح أحلها الله لرسوله ساعة من نهار، ثم عادت حرمتها كما كانت منذ أن خلقها الله ﷺ وإلى يوم القيامة.

٦. على القائد في لحظة انتصاره ونشوته أن يعلم أن هناك أعداء يتربصون به، وقد يستغلون مشاركة القائد للمواطنين في فرحتهم، لتنفيذ مخططاتهم الدنيئة، ففي يوم الفتح فكر رجل يقال له فضالة بن عمير، أن يقتل الرسول ﷺ، فجاء الوحي إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما يدور في تفكيره، فقربه النبي ﷺ وأذناه، ومسح على صدره؛ فأذهب الله ما فيه من الحقد على رسول الله ﷺ؛ فأسلم وحسن إسلامه.

٧. بر الرسول ﷺ ببني شيبه حيث أعطاهم مفاتيح الكعبة رغم أنهم منعه من الصلاة فيها قبل ذلك.

٨. الحق لا بد أن يتصرف في النهاية مهما علا الباطل، وانتفش ريشه، فإذا كانت دولة الظلم ساعة فدولة الحق إلى قيام الساعة.

٩. الحق يحتاج إلى قوة تحميه، ولن يحترم العالم أمة ضعيفة قطعت أوصالها الخلافات والنزاعات والنظرات الفردية.

١٠. كن متسامحاً مع الناس، أحسن إليهم حتى وإن أساءوا إليك، واجعل
قدوتك في ذلك محمداً ﷺ كذبه قومه، واتهموه، وضيفوا عليه،
وطردوه من وطنه، واستهزءوا به، وبدعوته، وبأتباعه، فلما تمكن
منهم، وقدر عليهم قال (اذهبوا فأنتم الطلقاء).^(١)



(١) قصة الرسالة روائع من السيرة - د- عائض القرني - ص ٢٤٢.



غزوة جنين ثم الطائف

٦ شوال ٨ هـ

أسبابها ..

غزوة حنين ما هي إلا استجابة لنوازع الشر الكامنة في نفوس المشركين فبعد أن دخلت مكة في الإسلام، غاظ ذلك بعض القبائل كأمثال ثقيف وهوزان، وظنوا أنهم يستطيعون أن يطفئوا نور الله بأسلحتهم، فجمعوا للمسلمين، وتصالحو أن يكون زعيمهم في هذه المعركة مالك بن عوف النضري.

قال ابن اسحاق: ولما سمعت هوازن برسول الله ﷺ، وما فتح عليه في مكة جمعها ملكها مالك بن عوف النضري، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها وكان معهم شيخ كبير هو دريد بن الصمة، ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب، فلما أجمع مالك بن عوف السير إلى رسول الله ﷺ جعل مع الناس أموالهم، ونسائهم، وأبنائهم، فلما نزل بأوطاس^(١) وفيهم دريد بن الصمة، قال دريد: بأي واد أنتم.

(١) مكان بين مكة والطائف.

قالوا: بأوطاس:

قال: نعم مجال الخيل، لا حزن ضررس، ولا سهل دهس.^(١)

مالي اسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء.

قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أمواهم، ونسائهم، وأبنائهم.

قال: أين مالك.

قالوا: هذا مالك.

قال يا مالك: إنك أصبحت رئيس قومك، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من

الأيام، مالي اسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير، ويعار الشاء؟

قال مالك: سقت مع الناس أمواهم، ونسائهم، وأبنائهم؟

قال: ولم؟

قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله، وماله ليقا تل عنهم.

فلم يعجب هذا الرأي مالك بن عوف، فقال دريد: راعي ضأن والله، هل يرد

المنهزم شيء؟

هي إن كانت لك لا ينفك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت

في أهلك ومالك.^(٢)

(١) أي ليس فيه حجارة تعيق حركة الخيل والإبل، ولا رمال كثيرة تمنعهم من الحركة كذلك.

(٢) البداية والنهاية - ابن كثير - ج ١ ص ٨٦٨.

ثم أشار عليه أن يرجع، فقال مالك: والله لا أفعل، إنك قد كبرت، وكبر عقلك والله لتطيعني هوازن أو لأتكنأ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري، فقالوا أطعناك أطعناك.

وواضح أن هذه القيادة المتخطرة والجاهلة بفنون القتال، لا تقاوم إلا من أجل الشهرة والحظوة والمكانة، لا من أجل الصالح العام لبني قومهم، وهذا يشبه قول القائل لا صوت يعلو على صوت المعركة، وإذا ابتليت الأمم بأمثال هذه الزعامات فلن تقوم لها قائمة.

أما الرسول ﷺ لما سمع بما أقدم عليه مالك بن عوف، خرج بالصحابة ومن أسلم حديثاً من أهل مكة كأمثال أبي سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام والحرث بن عبد المطلب وغيرهم، وبلغ مجموع جيش المسلمين اثنتي عشرة ألف مقاتل (عشرة آلاف خرجوا مع النبي ﷺ من المدينة، وألفان ممن أسلموا بعد الفتح).

وواضح من خلال هذا العدد الكبير أن المسلمين لم يجتمع لهم مثل هذا العدد من المقاتلين في الحروب السابقة، لذا لم يأخذوا حذرهم كسابقتهما من الحروب.

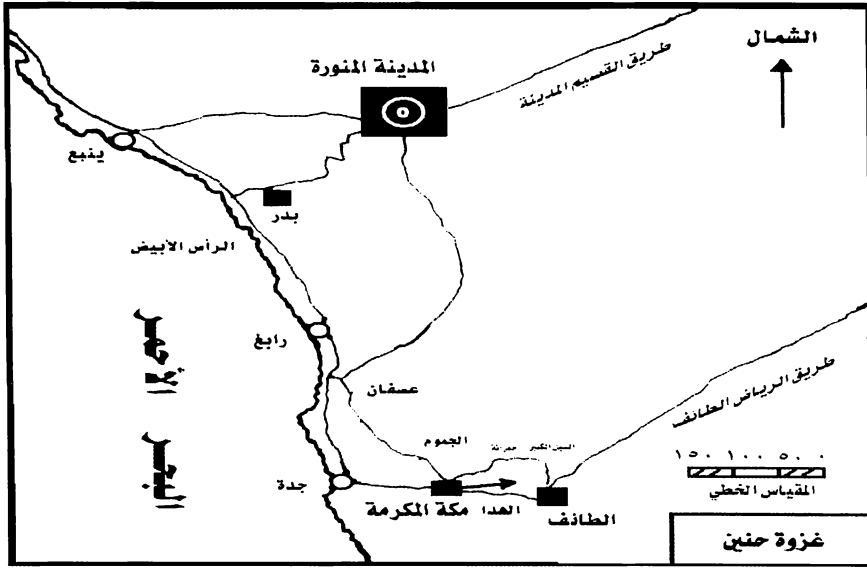
قال ابن اسحاق: فخرج مالك بن عوف بمن معه إلى حنين فسبق رسول الله ﷺ إليها، فأعدوا وتهيئوا في مضائق الوادي، وأقبل الرسول ﷺ حتى انحط بهم الوادي في عمية الصبح، فثارت في وجوههم الخيل، فانكفأ الناس مهزومين لا

يقبل أحد على أحد، وركبت الإبل بعضها بعضها، وذلك من الرجوع إلى الخلف والإدبار من ساحة القتال، وتدارك الرسول ﷺ الأمر فانحاز - ذات اليمين وهو يقول، هلموا إلي أيها الناس أنا محمد بن عبد الله، حتى تجمع إليه عدد من آل بيته وعدد من الأنصار وثبت في أرض المعركة للقتال، ورسول الله ﷺ يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب.^(١)

وواضح هنا أن الأمر كان كمين نصبه الكفار عند مضيق الوادي، وكان الوقت ليلاً، فلما دخل جيش المسلمين إنهاك عليهم الكفار رمياً بالسهم، فلم تستطع مقدمة الجيش أن تتقدم فرجعوا للخلف فحدث صدام بين خيل المسلمين من هول المفاجأة وهربوا من ساحة القتال، واستطاع الرسول ﷺ أن يتعد عن مضيق الوادي ولم يهرب من المعركة حتى تجمع إليه المقاتلون.

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٤٥.



قال السهلي:

قال ابن إسحاق: فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله ﷺ من جفأة أهل مكة الهزيمة تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن فقال أبو سفيان بن حرب (لا تنتهي هزيمتهم دون البحر) وإن الأزام لمعه في كنانته وصرخ جبلة بن الحنبل - قال ابن هشام: كلدة بن الحنبل - ألا بطل السحر اليوم فقال له صفوان اسكت فض الله فاك، فوالله لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن. (١)

ورفع الرسول ﷺ يديه بالدعاء سائلاً ربه النصر والتأييد ثم أخذ حنفة من الحصى وضرب بها في وجوه الكفار، وظهرت شجاعته ﷺ في القتال، وهو يقول أنا النبي لا كذب أنا بن عبد المطلب، وما هي إلا ساعات معدودة حتى

(١) الروض الأنف للسهلي ج ٤ ص ١٦٤.

انهزم الكفار، ورجعوا إلى الطائف فتحصنوا بها، فحاصرهم الرسول ﷺ تسعة وعشرين يوماً ثم فك عنهم الحصار، وفي طريق العودة قيل يا رسول الله: ادع على ثقيف: فقال: (اللهم أهد ثقيف وأت بهم).^(١)

وفي غزوة حنين أنزل الله ﷻ قوله: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغِنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَوَّاتٍ عَلَيْكُمْ وَالْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَايْتُمْ مَّدْرِينٍ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة: ٢٥-٢٦]

ورجع الرسول ﷺ إلى الجعرانة ليقسم بها الغنائم فأعطى عطاءً عظيماً لأبي سفيان وحكيم بن حزام ومن أسلم حديثاً، ولم ينل الأنصار نصيبهم من الغنائم كما كانوا يتوقعون، فبلغ الرسول ﷺ أن بعضهم يتكلم في ذلك فأمر ﷺ أن يجمع له الأنصار ليحدثهم ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن زيد أن رسول الله ﷺ لما فتح حنيناً قسم الغنائم فأعطى المؤلفة قلوبهم فبلغه أن الأنصار يُحِبُّونَ أَنْ يُصِيبُوا مَا أَصَابَ النَّاسُ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَطَبَهُمْ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ بِي وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ بِي وَمُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمْ اللَّهُ بِي وَيَقُولُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ.

(١) حديث ضعيف، ضعفه الألباني - فقه السيرة - محمد الغزالي - ص ٣٨٩.

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا
تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت
شجت بذي شيم من ماء محنية
تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه
أكرم بها خلة لو أنها صدقت
لكنها خلة قد سيط من دمها
فما تدوم على حال تكون بها
ولا تمسك بالعهد الذي زعمت

متيم إثرها لم يلف مكبول
إلا أغن غضيض الطرف مكحول
كأنه منهل بالراح معلول
صاد بأبطح أضحي وهو مشمول
من صوب سارية بيض يعاليل
موعودها، أو لو أن النصح مقبول
فجع وولع وإخلاف وتبديل
كما تلون في أثوابها الغول
إلا كما يمسك الماء الغرايبل^(١)

الدروس والعبر..

ولقد بينت غزوة حنين الكثير من الدروس والعظات التي يجب أن يتعلمها المسلمون ومنها:

١. تشابهت غزوتنا بدر وحنين في أمور منها:

أ. قاتلت الملائكة بأنفسها فيها مع المسلمين، ورأى بعض المسلمين الملائكة، وهي تقاتل مع المسلمين.

(١) أنظر: تاريخ الإسلام - للذهبي ج ٢ ص ٤٣.

ب. رمى النبي ﷺ في هاتين الغزوتين وجوه المشركين، وهو يقول:
(وشاهت الوجوه).

ت. كسرت شوكة الشرك في هاتين الغزوتين.

ث. اعتبرت هاتان الغزوتان، مذلتين للشرك والمشركين، ماحقتين
كل قوة لهما، قاهرتين لعدوهما.^(١)

٢. القائد الأحمق الجاهل يتسبب في هزيمة جيشه، وضياع ملكه، وقد قيل
إن الحماقة أعت من يداويها.

٣. عدم الاستهانة بالعدو مهما قلت أعداده أو ضعفت قدراته، فكم من
جيوش مرغت أنوفها في الوحل والطين بسبب الغرور والكبر.

٤. شجاعة الرسول ﷺ فلم يهرب من معركة أو قتال مهما قل أعداد
المحيطين به، وهذا من أعظم ما يزيد في عزيمة الجنود، أن يجدوا
قائدهم يقاتل معهم، ويشاركهم القتال.

٥. هناك صنف من أشباه الرجال يفرون إذا حمي الوطيس، وهناك صنف
آخر هم الصادقون من الرجال يثبتون ولا يفرون، فما فائدة العيش إن
تحكم الأعداء في البلاد والعباد.

(١) صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة - محمد فوزي فيض الله - ص ٤٣٢.

٦. يقول الشيخ محمد الغزالي رحمته الله والعجيب أن هؤلاء الذين فروا عند الفرع، هم الذين كثروا عند الطمع، وشاء النبي ﷺ أن ينسى ماضيهم تكرماً وتأليفاً.^(١)

٧. هناك صنف من الناس يخنع ويخضع ولا يرفع رأسه إذا وجد قوة الحق والدين فإذا ما وجد بعض لحظات الضعف في الأمة، نفص عن رأسه التراب وأخذ يطعن في ثوابت الدين أو ينقص من قدر الصحابة رضوان الله عليهم، كأمثال من قال في هذه الغزوة انكشف السحر الآن أو من قال لن يردهم إلا البحر، وما قالوا ذلك إلا لحداثة عهدهم بالإسلام.

٨. هناك أنفس تستمال قلوبهم للحق بالدينار، والدرهم وهم المؤلفات قلوبهم، ويكون الهدف من ذلك منع شرهم عن المسلمين، ورغبة في هدايتهم إذا أراد الله ﷻ.

(١) فقه السيرة - محمد الغزالي - ص ٣٩٤.



أهم السرايا والوفود في العام الثامن

وأما أهم الوفود التي وفدت على الرسول ﷺ في العام الثامن ما يلي:

١. وفد كعب بن زهير.
٢. وفد هوازن.
٣. وفد صداء (من قبائل اليمين).
٤. وفد تميم.

أهم السرايا في العام الثامن من الهجرة ..

١. السرايا لهدم العزى، وسواع، ومناة.
٢. السرايا لأخذ الصدقات من تميم وبني المصطلق.
٣. سرية علقمة بن مجزر لصد بعض الأحباش المتسللين إلى جدة، وفي طريق العودة قال لهم علقمة بعد أن أشعل ناراً « أدخلوا فيها » وكان مازحاً فقال بعضهم ما أسلمنا إلا فراراً من النار، وأراد بعضهم النزول فيها فمنعهم. ^(١)

(١) للمزيد كتاب المغازي، في صحيح البخاري.



من الأحداث الاجتماعية في هذا العام

أهم الأحداث الاجتماعية في العام الثامن ..

١ . في ذي الحجة من العام الثامن ولد إبراهيم بن رسول الله ﷺ من مارية

القبطية فاشتدت غيرة أمهات المؤمنين منها حين رزقت ولدا ذكرا.^(١)

٢ . وفيه أيضاً توفيت السيدة زينب بنت رسول الله ﷺ وزوج أبي العاص

بن الربيع، ولدت قبل المبعث بعشر سنين، وكانت أكبر بناته ﷺ تليها

رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة - رضي الله عنهن-، و كان رسول الله

محباً لها، أسلمت قديماً ثم هاجرت قبل إسلام زوجها بست سنين،

وكانت قد أجهضت في هجرتها ثم نزلت وصار المرض يعاودها حتى

توفيت، ولما مات قال رسول الله ﷺ: «اغسلنها وتراً: ثلاثاً، أو خمساً

واجعلن في الآخر كافوراً».^(٢)

(١) انظر: البداية والنهاية (٤/ ٣٧٤).

(٢) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبه (٢/ ٤٩٠).



**أهم أحداث العام
التاسع الهجري**





هدم صنم طيء

في ربيع الأول من العام التاسع أرسل الرسول ﷺ سرية بقيادة علي بن أبي طالب رضي الله عنه هدم صنم طيء قبيلة حاتم الطائي الشاعر الجاهلي المعروف وساق علي بن أبي طالب السبي، وكان فيهم ابنة حاتم الطائي «سفانة» فعاملها الرسول ﷺ معاملة طيبة، فأسلمت، وأرسلت إلى أخيها عدي بن حاتم؛ فأسلم وحسن إسلامه.





غزوة تبوك

رجب ٩هـ

أسباب الغزوة ..

علم المسلمون أن هرقل ملك الروم قد هيا جيشا قوامه أربعون ألف مقاتل، واجتمع معه بعض القبائل العربية التي ما زالت على الشرك، ووصلت الأنباء أن جيش الشرك قد تحرك من الشام يريد المدينة. أما المسلمون فقد كانوا يعانون من شدة الحر، وقلة في المال والسلاح والدواب وكانت الثمار قد طابت، فكانوا يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم، زد على ذلك بعد المسافة من المدينة إلى بلاد الشام، غير أن الرسول ﷺ رأى ببعد نظره أنه لا بد من الخروج، فدعا الناس للقتال والمشاركة فيه كل حسب جهده واستطاعته، فجاء عثمان بن عفان، وقدم ألف دينار، وثلاثمائة بعير بما عليها من متاع، وجاء أبو بكر فقدم كل ما يملك، وجاء عمر بن الخطاب بنصف ماله وساهمت النساء بحليهن، وجاء الضعفاء يريدون دواباً لتحملهم للحرب والقتال.

أما المنافقون فجاءوا يعتذرون في عدم الخروج إلى القتال بسبب الحر وبعضهم اعتذر لعدم الفتنة لأنه لو رأى النساء وحسنهن من فتيات الروم لحدث له فتنة في الدين وكان ممن قال هذه المقولة رجل يقال له الجد بن قيس وهو الذي نزل فيه قول الله ﷻ: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكْفُرُ أَتَدْنِي وَلَا نَفْتِيءَ إِلَّا فِي

أَلْفِتْنَةٍ سَكَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [التوبة: ٤٩]

وخرج الرسول ﷺ ومعه الصحابة لمنع هذا الخطر المحدق بالمدينة ولم يتخلف كما اسلفنا إلا المنافقين وأصحاب الأعدار، وضعاف النفوس، وتخلف أيضاً ثلاثة من الصحابة تاب الله عليهم بعد ذلك وهم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية. (١)

قال ابن اسحاق: ثم مضى رسول الله ﷺ سائراً، فجعل يتخلف عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان، فيقول: «دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»، حتى قيل: يا رسول الله، قد تخلف أبو ذر، وأبطأ به بعيره. فقال: «دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم» وتلوم (٢) أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً، ونزل رسول الله في بعض منازلها، فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشي على

(١) للمزيد يرجع لكتاب - ٣٤ قصة للمعتبرين للمصنف.

(٢) تلوم على بعيره: تمهل.

الطريق وحده، فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا ذر»^(١) فلما تأمله القوم قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده»^(٢)، ومضى الزمان، وجاء عصر عثمان، ثم حدثت بعض الأمور وسير أبو ذر إلى الريدة، فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلामه: إذا مت فاغسلاني وكفناني ثم احملاني فضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمرون بكم فقولوا: هذا أبو ذر. فلما مات فعلوا به كذلك فطلع ركب فما علموا به حتى كادت ركائبهم تطأ سريريه، فإذا ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة، فقال: ما هذا؟ فقيل: جنازة أبي ذر، فاستهل ابن مسعود يبكي، فقال: صدق رسول الله ﷺ: «يرحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده»، فنزل فوليه بنفسه حتى دفنه»^(٣).

وجعل الرسول ﷺ علي بن أبي طالب في أهله ففي الحديث الذي أخرجه الإمام البخاري من حديث (مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا فَقَالَ أُنْخَلِفْنِي فِي الصَّبِيَّانِ وَالنِّسَاءِ قَالَ أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي)^(٤)، وجعل على إمارة المدينة محمد بن مسلمة).

(١) كن أبا ذر: لفظه الأمر ومعناه الدعاء؛ أي أرجو الله أن تكون أبا ذر.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٦٦٣).

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٦٦٤).

(٤) صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب غزوة تبوك وهي العسرة رقم الحديث ٤٠٦٤.

وبلغ قوام جيش المسلمين ثلاثين ألف مقاتل، وفي طريق المسلمين إلى

تبوك ضلت ناقة الرسول ﷺ .

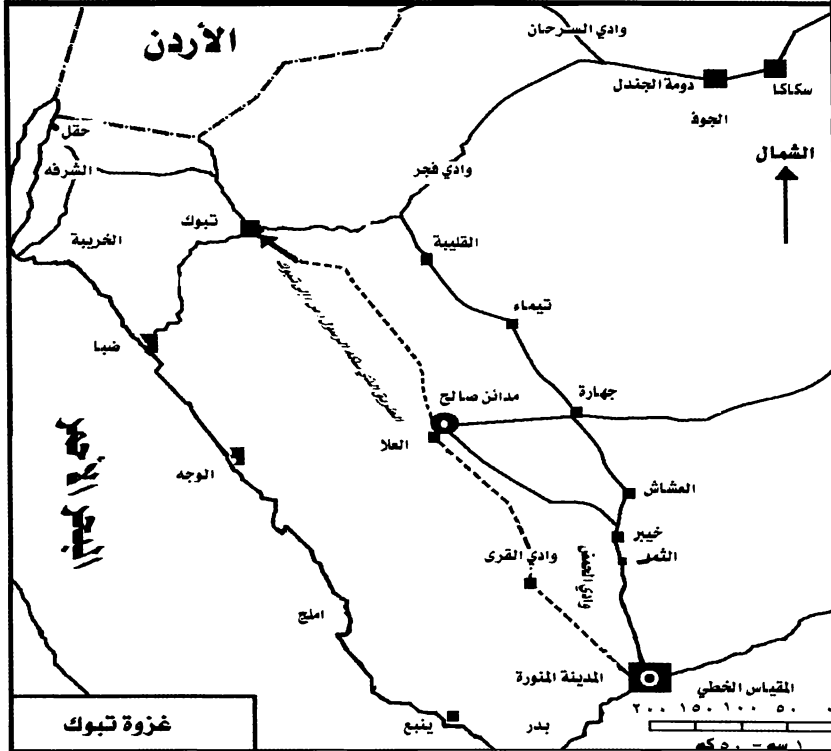
قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله ﷺ سار حتى إذا كان ببعض الطرقات ضلت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه يقال له: عمارة بن حزم، وكان عقبياً بدرياً، وهو عم بني عمرو بن حزم، وكان في رحله زيد بن اللصيت القينقاعي، وكان منافقاً.

فقال زيد بن اللصيت وهو في رحل عمارة، وعمارة عند رسول الله ﷺ: أليس

محمد يزعم أنه نبي؟ ويخبركم عن خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟

فقال رسول الله ﷺ وعمارة عنده: «إن رجلاً قال: هذا محمد يزعم أنه يخبركم أنه نبي، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته؟ وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها، وهي في هذا الوادي، في شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها» فانطلقوا حتى أتوني بها، فذهبوا فجاءوا بها، فرجع عمارة بن حزم إلى رحله، فقال: والله لعجب من شيء حدثناه رسول الله ﷺ أنفا عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا، للذي قال زيد بن اللصيت، فقال رجل ممن كان في رحل عمارة، ولم يحضر رسول الله ﷺ: زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي، فأقبل عمارة على زيد، يجأ في عنقه (يطعنه فيه) يقول: إني عباد الله، إن في رحلي لداهية، وما أشعر، اخرج أي عدو الله من رحلي فلا تصحبني.

قال ابن إسحاق: فزعم بعض الناس أن زيداً تاب بعد ذلك، وقال بعض الناس: لم يزل متهمها بشر حتى هلك. (١)



وفي طريق مرورهم إلى تبوك مر جيش المسلمين على أصحاب الحجر من أرض ثمود، فنزل الصحابة ليستقوا من مياه الآبار فيها، فقال لهم الرسول ﷺ لا تشربوا من مياهها، ولا تتوضوا منه للصلاة، ومن كان من عجين عجمته، فاعلفوه الإبل، ولا تأكلوا منه شيئاً ولا تدخلوا على هؤلاء القوم إلا

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٦٦٣).

باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم ما أصابهم، وأمر الرسول ﷺ أن يشربوا من العين التي كانت تشرب منها الناقة.

ولما وصل الرسول ﷺ إلى تبوك وعسكر بجنده، أخذ يخطب فيهم ويحثهم على القتال، فلما سمع بهم الرومان ومن معهم من مرتزقة العرب، تفرقوا في البلاد.

وبذلك سيطر المسلمون على هذه الأجزاء وجاء أهلها ليصالحوا الرسول ﷺ على الجزية، وبذلك تماست حدود الدولة الإسلامية مع حدود دولة الروم المحتلة لبلاد الشام حيثئذ، ليبقى لهم موعد مع المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ وعند عودة الرسول ﷺ إلى المدينة حاول جمع من المنافقين أن ينالوا منه ويقتلوه - فكشف الله أمرهم حيث طاردهم حذيفة بن اليمان، وسمى له الرسول ﷺ أسمائهم لذا سمي بصاحب سر رسول الله ﷺ وحين مر الرسول ﷺ على جبل أحد قبل أن يدخل المدينة قال: أحد جبل يحبنا ونحبه، ولما دخل الرسول ﷺ المدينة استقبله أهلها بالفرح والسرور، وجاءه المعتذرون فقبل منهم، ثم تاب الله على كعب بن مالك وأصحابه.

وكان خروجه ﷺ إلى تبوك في رجب وعودته في رمضان من العام التاسع للهجرة، وكانت هذه الغزوة هي آخر غزوة غزاها الرسول ﷺ قبل أن يتوفاه الله ﷻ.

ولقد أثبتت هذه الغزوة أصناف الناس أيام الشدائد والأزمات:

١. فلقد أثبتت المهمة العالية للصحابة رضي الله عنهم، وبذلهم ما يستطيعون في نصره الدين، وهانت عليهم الدنيا بما فيها طلباً لمرضاة الله عز وجل، فلقد تسابق الرجال والنساء والضعفاء لنصرة الإسلام، ولم يبخلوا بما يملكون.
٢. ولقد أثبتت أيضاً أن شهوات الدنيا قد تغري الأقياء في الإيمان فتصدهم عن نصره الدين فقد تخلف كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وهلال بن أمية، وهم من الذين لا يشك في قوة إيمانهم وحبهم للإسلام.
٣. ولقد أبطلت هذه الغزوة كذلك حجج المنافقين، وأنهم شر من الأعداء على الإسلام، وأنهم دائماً يطعنون الإسلام بحراهم المسمومة، ويتخلون عن نصره الدين في أيام يحتاج فيها إلى التكاتف والتأزر ووحدة الصف، لذا ينبغي الحذر منهم.
٤. بينت الغزوة رحمة الله الواسعة على عباده المؤمنين إن أذنبوا ثم تابوا، وندموا، وعزموا على طاعة ربهم فقد تاب الله عز وجل على الثلاثة الذين صدقوا مع أنفسهم وربهم ونيهم، وهذه قصتهم على لسان أحد الثلاثة وهو كعب بن مالك رضي الله عنه كما وردت في صحيح البخاري قال كعب بن مالك رضي الله عنه: (لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أنني كنت تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحدًا تخلف

عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة^(١) حين تواقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً، وعدواً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ، يريدون الديوان، قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أن سيخفى له، ما لم ينزل فيه وحي الله.

وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حيث طابت الثمار والظلال، وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئاً فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتماذى بي حتى اشتد بالناس الجدد فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم

(١) ليلة العقبة: الليلة التي بايع رسول الله ﷺ الأنصار على الإسلام.

حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً، فأجمعت صدقه^(١) وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلاً، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبإيعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، حتى جئت، فلما سلمت، تبسم تبسم المغضب، ثم قال: «تعال»، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟» قال: قلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً^(٢) ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن^(٣) الله أن يُسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه^(٤) إني لأرجو فيه عقي الله^(٥)، لا والله ما كان لي عذر، والله ما كنت قط أقوى، ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، قال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك»، فقمتم وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا، ولقد عجزت ألا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما

(١) زاح: أزال.

(٢) (٣٤٧) أجمعت صدقه: عزمت على صدقه.

(٣) أعطيت جدلاً: فصاحة وقوة في الكلام وبراعة.

(٤) ليوشكن: ليسرعن.

(٥) تجد عليّ فيه: تغضب.

(٦) إني لأرجو عقي الله: يعقبني خيراً ويثيبني عليه.

عليه، فوالله ما رد عليّ السلام، فقلت له: يا أبا قتادة، أنشدك بالله^(١) هل تعلم أي أحب الله ورسوله؟ قال: فسكت، فعدت فناشدته فسكت، فعدت فناشدته فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عينا، وتوليت حتى تسورت الجدار، فبينما أنا أمشي في سوق المدينة، إذا بنطي من نبط أهل الشام^(٢) ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له إلي، حتى جاءني فدفع إليّ كتاباً من ملك غسان، وكنت كاتباً، فقرأته فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة^(٣) فالحق بنا نواسك فقلت حين قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء فتممت^(٤) بها التنور فسجرتها^(٥) به حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين واستلبت الوحي^(٦) إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها فلا تقرّبها، قال: فأرسل إلى صاحبي بمثل هذا.

قال: فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله، فقالت له: يا رسول الله، إن هلال

(١) أنشدك بالله: أسألك بالله.

(٢) نبط أهل الشام: فلاحو العجم.

(٣) مضيعة: يعني أنك لست بأرض يضيع فيها حقك.

(٤) تيممت: قصدت.

(٥) فسجرتها: أحرقتها.

(٦) استلبت الوحي: أبطأ.

إلى ملك الروم قيصر ليستنصره على رسول الله ﷺ وكان أبو عامر على دين هرقل ممن تنصر معهم من العرب وكان يكتب إلى إخوانه الذين نافقوا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا فكانت مكاتباته ورسله تفد إليهم كل حين فبنوا هذا المسجد في الصورة الظاهرة وباطنه دار حرب، ومقر لمن يفد من عند أبي عامر الراهب وجمع لمن هو على طريقتهم من المنافقين، فأرسل الرسول ﷺ الصحابة فحرقوه وتفرق أهله^(١).

يقول الدكتور علي محمد الصلابي: لا يزال أعداء الإسلام من المنافقين والملحدّين، والمبشرين (المنصرّين) والمستعمرين، يقيمون أماكن باسم العبادة وما هي لها، وإنما المراد بها الطعن في الإسلام وتشكيك المسلمين في معتقداتهم وأدابهم، وكذلك يقيمون مدارس باسم الدرس والتعليم ليتوصلوا بها إلى بث سمومهم بين أبناء المسلمين، وصرّفهم عن دينهم، وكذلك يقيمون المنتديات باسم الثقافة والغرض منها خلخلة العقيدة السليمة في القلوب، والقيم الخلقية في النفوس، ومستشفيات باسم المحافظة على الصحة والخدمة الإنسانية والغرض منها التأثير على المرضى والضعفاء وصرّفهم عن دينهم، وقد اتخذوا من البيئات الجاهلة والفقيرة - لاسيما في بلاد إفريقيا - ذريعة للتوصل إلى أغراضهم الدنيئة التي لا يقرها عقل ولا شرع ولا قانون.

(١) البداية والنهاية - ابن كثير - ج ٥ ص ١٠.

إن مسجد الضرار ليس حادثة في المجتمع الإسلامي الأول وانقضت، بل هي فكرة باقية، يخطط لها باختيار الأهداف العميقة، وتختار الوسائل الدقيقة لتنفيذها، وخططها تصب في التآمر على الإسلام وأهله بالتشويه وقلب الحقائق والتشكيك، وزرع بذور الفتنة لإبعاد الناس عن دينهم وإشغالهم بما يضرهم ويدمر مصيرهم الأخرى.^(١)



(١) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث - د- علي محمد الصلابي - ج٢ - ص ٤٠٣.



وفاة عبد الله بن سلول

شاء الله ﷺ أن تتهاوى قوى الشرك في الجزيرة العربية؛ وأن ينتشر النور ساطعاً يملأ الأرض بالإيمان والتسليم لله رب العالمين، فبعد أن استقر الرسول ﷺ في المدينة راجعاً من تبوك، وبعد أن تم هدم مسجد الضرار حدث أن نام عبد الله بن أبي بن سلول على فراش الموت في شهر شوال في العام التاسع للهجرة، وأن يموت في شهر ذي القعدة.

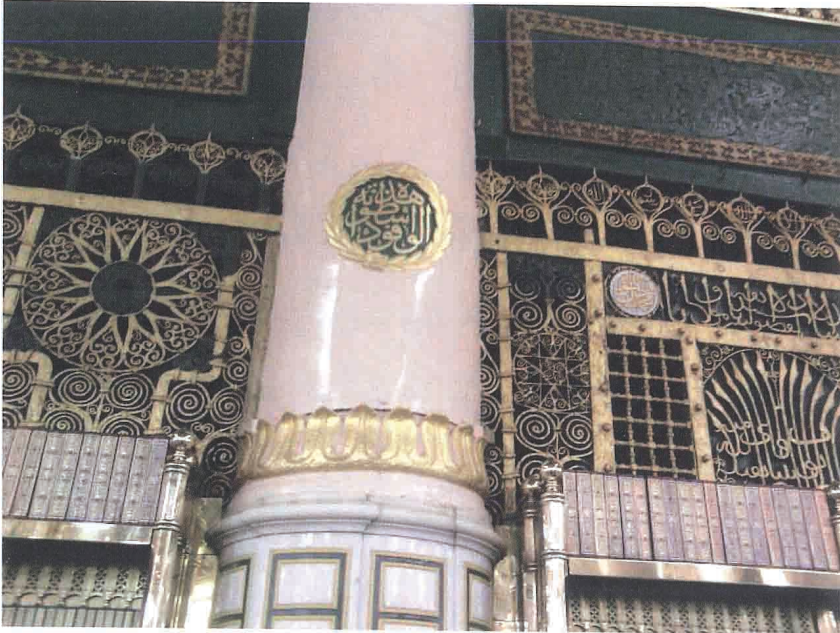
ولما مات ألبسه الرسول ﷺ قميصه، وصلى على جنازته، ثم أمره الله ﷻ بعدم الصلاة على المنافقين بعد ذلك أبداً قال تعالى: ﴿ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّا تَأْتِي الْقَبْرَةَ عَلَيْهِمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَآ تَأْتِي الْقَبْرَةَ عَلَيْهِمْ فَسَقُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤] ولعل في موقف الرسول ﷺ وحرصه على وحدة الصف بين المسلمين ما يدل على خلق العفو والصفح عند رسول الله ﷺ.

فرغم ما لاقاه من هذا الرجل منذ أن هاجر إلى المدينة إلا أنه لم ينتقم منه، بل حاول الرسول ﷺ بكل السبل أن يكون هذا الرجل في صف المسلمين غير أن ابن سلول طمس الحقد على قلبه، ورحل إلى ربه ليحاسبه على ما قدم وأخر من أفعال.



الوفود المسلمة

سمي العام التاسع من الهجرة بعام الوفود نظراً لكثرة الوفود التي جاءت إلى المدينة المنورة لتبائع الرسول ﷺ على الإسلام، وبعضها جاء مسالماً ومقراً بالجزية، وبعضها جاء يسمع ثم يرجع ليبلغ من ورائه من قومه.



أسطوانة الوفود في المسجد النبوي حيث كان يجلس النبي ﷺ في استقبالهم

ولقد سبق العام التاسع بعض الوفود المسلمة كوفد قبيلة دوس الذين دعا لهم النبي ﷺ بقوله اللهم أهد دوساً وأت بهم مسلمين ولقد استجاب الله لرسوله حيث جاءوا بعد خيبر مسلمين، ومن هذه الوفود وفد عبد قيس، وبلي وثقيف، ونجران، وطى، وبني حنيفة، ووفد معهم مسيلمة الكذاب الذي قال لو جعل لي محمد الأمر من بعده اتبعته، فأقبل النبي ﷺ ومعه قطعة من الجريد وقال: لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتها، ولن تعدوا أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت فيه ما أريت ففي الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري من حديث عبد الله بن عباس قال قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَقُولُ إِنَّ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ فَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَبَّاسٍ وَفِي يَدِ النَّبِيِّ ﷺ قِطْعَةٌ جَرِيدَةٍ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ قَالَ لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا وَلَنْ أَتَعَدَّى أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ وَلَئِنْ أَدْبَرْتُ لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ وَإِنِّي لأُرَاكَ الَّذِي أُرَيْتُ فِيكَ مَا أُرَيْتُ وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيئُكَ عَنِّي ثُمَّ انصَرَفَ عَنْهُ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ إِنَّكَ أَرَى الَّذِي أُرَيْتُ فِيكَ مَا أُرَيْتُ فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سَوَارِينَ مِنْ ذَهَبٍ فَأَهْمَنِي شَأْنُهُمَا فَأَوْحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ انْفُخْهُمَا فَتَفَخَّخْتُهُمَا فَطَارَا

(١) أعرضت عن الطاعة.

فَأَوْلَتْهُمَا كَذَابِينَ يُخْرَجَانِ مِنْ بَعْدِي فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيَّ صَاحِبَ صَنْعَاءَ وَالْآخَرَ
مُسَيْلِمَةَ صَاحِبَ الْيَمَامَةِ. (١)

ووفد أيضاً وفد بني عامر وكان فيهم عامر بن الطفيل، وأربد بن قيس
وجبار بن سلمى واتفق ثلاثتهم على قتل الرسول ﷺ فأخبره الله بالخبر فدعا
عليهم الرسول ﷺ، فأما عامر بن الطفيل فأصيب بغدة في حلقه ومات قبل أن
يرجع إلى أهله.

وأما وفد نجران فقد أسلم بعضهم، وأقر بعضهم بالجزية فلما توفي
الرسول ﷺ حالفوا الأسود العنسي الكذاب، فهب المسلمون لقتاله واستتب
الأمر للمسلمين.

ونظراً لإنشغال الرسول ﷺ بأمر الدعوة واستقبال الوفد، فإنه أناب
عنه أبو بكر الصديق ليحج بالناس، فلما خرج من المدينة أنزل الله ﷻ سورة
براءة، فأرسل الرسول ﷺ علي بن أبي طالب إلى الحجاج في منى، فقال له أبو
بكر الصديق: أمير أم مأمور؟

فقال: بل مأمور، فلما كان يوم النحر وقف علي بن أبي طالب ينادي في الحجج
(أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت
عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فعهدته إلى مدته).

(١) صحيح البخاري - كتاب الرؤيا - باب رؤيا النبي - رقم الحديث ٤٢١٨.

وكان هذا الإعلان من رسول الله ﷺ إيذاناً بنهاية الوثنية في الأراضي المقدسة وإعلاناً بظهور التوحيد، وتطهير المسجد الحرام من عقائد أهل الشرك التي غطت العقول، والأفهام.

فالحمد لله الذي الذي أخرج عباده من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى التوحيد.

أهم أحداث هذا العام الاجتماعية والتشريعية

- (١) وفاة السيدة أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ، وزوج عثمان بن عفان ؓ.
- (٢) فرض الله عز وجل - الحج قال ابن القيم رحمه الله ((وهناك اختلاف بين العلماء في العام الذي فرض فيه الحج على المسلمين ، وليس ، وليس بيد من ادعى تقديم فرض الحج سنة ست أو سبع أو ثمان أو تسع دليل واحد ، وغاية ما احتج به من قال : فُرض سنة ست قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعَمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦] وهي قد نزلت بالحديبية سنة ست ، وهذا ليس فيه ابتداء فرض الحج ، وإنما فيه الأمر بإتمامه إذا شرع فيه ، فأين هذه من وجوب ابتدائه ، وآية فرض الحج وهي قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: ٩٧] نزلت عام الوفود أو آخر سنة تسع .^(١)



(١) زاد المعاد لابن القيم - ج ٣ - ص ٥٩٥



**أهم أحداث العام
العاشر الهجري**



جاء العام العاشر من الهجرة النبوية المباركة، وقد استقرت أحوال المسلمين، وبدأت تتضح معالم دولتهم، وجاء الناس يدخلون في دين الله أفواجا وتهدمت رموز الشرك في جزيرة العرب، فأراد الرسول ﷺ أن يتم ركناً عظيماً من أركان الإسلام ألا وهو الحج الذي كان مقرراً أن يقوم به الرسول ﷺ في العام التاسع للهجرة، غير أنه انشغل بالوفود القادمة للمدينة المنورة، وأتاب عنه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ليحج بالناس.

واستمرت السرايا تتابع عملها فأرسل الرسول ﷺ خالد بن الوليد في ربيع الآخر إلى جمع لبني عبد المदान بنجران، فأسلموا وحسن إسلامهم، وفي رمضان أرسل الرسول ﷺ علي بن أبي طالب إلى بني مذحج (من قبائل اليمن) فأسلموا على يديه.

كما أرسل الرسول ﷺ معاذ بن جبل إلى أهل اليمن يعلمهم الدين. وتميز هذا العام أيضاً بمزيد من الوفود المسلمة مثل وفد نجران، وضمهم بن ثعلبة، وعبد القيس، وبني حنيفة، وطيء، وكندة، وغيرهم.





حجة الوداع

دخل شهر ذي الحجة من العام العاشر للهجرة معلنا استعداد الرسول ﷺ للحج إلى بيت الله الحرام، لذا جاءت إليه القبائل من كل فج يريدون أن يخرجوا معه لقضاء مناسك الحج، حتى بلغ مجموع الناس القاصدين للحج مع رسول الله ﷺ ما يزيد عن المائة ألف من المسلمين.

وأخذ الرسول ﷺ معه جميع نسائه، وكأنه كان يحس بقرب الآجل ونهاية المطاف، وكأنها ألهمه الله أن هذا الموسم من الحج هو آخر العهد به في هذه الحياة الدنيا، فلم يشأ أن يخص واحدة من نسائه بفضل صحبته في هذه الحجة الأولى والأخيرة؛ حتى لا تضيع الفرصة على غيرها من أمهات المؤمنين. (١)

وخرج الرسول ﷺ ومعه الصحابة لخمسة بقين من شهر ذي القعدة فصلوا الظهر في المدينة أربعاً، وبذي الحليفة ركعتين، ثم باتوا بها حتى أصبحوا وانطلقوا إلى مكة بعد أن لبسوا ملابس الإحرام، ودخلوا في النسك ملبين (لييك اللهم لييك لييك لا شريك لك لييك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك لييك).

(١) القبس الرضاء - د/ محمد الطيب النجار - ص ٢١٨.

فلما وصلوا إلى مكة أمسكوا عن التلبية، فلما دخلوا البيت الحرام، نظر النبي ﷺ إلى الكعبة المشرفة وقال: (اللهم زد هذا البيت تعظيماً وتشريفاً) ثم استلم الحجر الأسود، وطاف معه الناس سبعة أشواط، وكلما مر على الحجر الأسود كبر، وكلما جاء إلى الركن اليماني قال (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)، وبعد الطواف أتى النبي ﷺ مقام إبراهيم فركع ركعتين، فكان المقام بينه وبين البيت، ثم أتى الحجر فاستلمه، ثم ذهب إلى الصفا، فلما دنا قال: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨] فبدأ بالصفا واستقبل الكعبة فوحده الله وكبر وقال (لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم نزل إلى الصفا وكان يسرع الخطى بين الميلين الأخضرين، فلما أتم السعي، أمر الرسول ﷺ من ساق معه الهدى أن يتحلل من إحرامه^(١)، وأن يظل من لم يسق معه الهدى على إحرامه.^(٢)

وفي اليوم الثامن من ذي الحجة وهو يوم التروية ذهب الرسول ﷺ ومعه الحجيج إلى منى ليستقوا منها الماء، فصلى بالناس الظهر والعصر والمغرب والعشاء جمعاً وقصراً، وبعد أن صلى فجر اليوم التاسع، وظهر ضوء الصبح

(١) ويسمى حجه: القارن أي قرن العمرة بالحج وعليه هدي.

(٢) ويسمى حجه: حج المفرد، وليس عيه هدي.

انطلقت وفود الحجيج للوقوف بعرفة يوم الحج الأكبر وهناك خطب النبي ﷺ في الناس، ونزل القرآن بتمام رسالة الإسلام ففي الحديث الذي رواه الإمام البخاري من حديث طارق بن شهاب أن أناساً من اليهود قالوا لو نزلت هذه الآية فينا لاتخذنا ذلك اليوم عيداً فقال عمر أية آية فقالوا اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فقال عمر إنني لأعلم أي مكان أنزلت أنزلت ورَسُولَ اللَّهِ ﷺ واقف بعرفة. ^(١)

وصلى النبي ﷺ بالناس الظهر والعصر قصراً وجمعاً في وقت الظهر جمع تقديم وبعد المغرب نزل النبي ﷺ بالناس إلى مزدلفة، وأردف خلفه أسامة بن زيد وقال للناس: (السكينة السكينة) فنام المسلمون بعد أن صلوا المغرب والعشاء جمعاً وقصراً، وجمعوا الحصى، وبعد أن صلى المسلمون الفجر انطلق الجميع لرمي جمرة العقبة بسبع حصيات، ثم نحر النبي ﷺ ثلاث وستين من الهدى ثم أعطى علي بن أبي طالب فنحر الباقي، وقال للناس خذوا عني مناسككم فعلي لا أراكم بعد اليوم بعد اليوم.

وخطب النبي في الناس ففي الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال يا أيها الناس أيُّ يومٍ هذا قالوا يوم حرام قال فأبي بلدٍ هذا قالوا بلد حرام قال فأبي شهرٍ هذا قالوا شهر حرام قال فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم

(١) صحيح البخاري - كتاب المغازي - باب حجة الوداع - رقم الحديث ٤٠٥٥.

صغير السن؛ طعن بعض الناس في ذلك ففي الحديث الذي أخرجه البخاري
من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قَالَ بَعَثَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَعْثًا وَأَمَرَ عَلَيْهِمُ أَسَامَةَ بْنَ
زَيْدٍ فَطَعَنَ بَعْضَ النَّاسِ فِي إِمَارَتِهِ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ تَطْعُنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنتُمْ
تَطْعُنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّمَا اللهُ إِنْ كَانَ حَلِيقًا لِلإِمَارَةِ وَإِنْ كَانَ لِمَنْ أَحَبَّ
النَّاسِ إِلَيَّ وَإِنْ هَذَا لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ. ^(١)

غير أن هذا الجيش لم يتحرك؛ نظراً لشدة المرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمكث
انتظاراً لما ستسفر عنه الأيام.

ومن أهم الأحداث الاجتماعية في هذا العام
وفاة إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم.



(١) صحيح البخاري - كتاب المناقب - باب مناقب زيد بن حارثة - رقم الحديث ٣٤٥١٠.



**أهم أحداث العام
الحادي عشر الهجري**





إلى الرفيق الأعلى

٥١١

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥]

وقال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١-٣]

قال عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - هو أجل رسول الله ﷺ نعي إليه، وقال ابن عمر نزلت في أواسط أيام التشريق في حجة الوداع فعرف رسول الله ﷺ أنه الوداع، فوقف النبي ﷺ، وقال: « لتأخذوا عني مناسككم فلعلي لا أراكم بعد عامي هذا.

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ كان يعتكف في شهر رمضان عشرة أيام وفي العام الذي توفي فيه اعتكف عشرين يوما، وكان يعرض عليه

القرآن في رمضان مرة واحدة، فلما كان العام الذي توفي فيه عرض عليه القرآن مرتين وكان ابتداء وجع رسول الله ﷺ بعد رجوعه من زيارة مقبرة البقيع.



مقبرة البقيع

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: (رجع رسول الله ﷺ من البقيع فوجدني، وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أقول وأرأساه، فقال: بل أنا والله (وا رأساه ياعائشة ثم قال: ما ضرك لو مت قبلي، فقمتم عليك فكفنتك، وصليت عليك، ودفنتك قالت: قلت: والله لكأني بك لو فعلت ذلك، لقد رجعت إلى بيتي فعرست فيه ببعض نسائك، قالت: فتبسم رسول الله ﷺ ثم كان ﷺ يدور على نسائه، ثم اشتد عليه المرض، في بيت ميمونة، فدعا نسائه، فستاذهن أن يمرض في بيت عائشة، فأذن له.

فجاء الفضل بن عباس، وعلى بن أبي طالب كما أورده البخاري، فمشى بينها الرسول ﷺ تحط به قدماه، حتى دخل بيت عائشة ؓ فأمرها الرسول ﷺ أن تصب عليه الماء فأخذت تصب علي رأسه سبع قرب حتى هدأت الحرارة قليلاً وأخذت تقرأ المعوذتين، وتمسح بهما جسدا رسول الله ﷺ ثم خرج النبي ﷺ إلى الناس وأوصاهم خيراً بالأنصار، والنساء، وبالصلاة، وأخبرهم عن لعن الله لليهود والنصارى، لأنهم أخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وأراد أن يوضح للمسلمين، أنهم لا يكونوا مثلهم، ثم رجع إلى بيت عائشة - وأمر أن يصلي أبو بكر الصديق بالناس، وفي اليوم الذي توفي فيه النبي ﷺ شعر بنشاط في بدنه فخرج إلى الناس ففي الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَا هُمْ فِي الْفَجْرِ يَوْمَ الْإِثْنَيْنِ وَأَبُو بَكْرٍ ؓ يُصَلِّي بِهِمْ فَفَجَحَهُمْ»
«النَّبِيُّ ﷺ قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ ؓ فَنظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ صُفُوفٌ فَتَبَسَّمَ يَضْحَكُ فَكَصَّ أَبُو بَكْرٍ ؓ عَلَى عَقْبِيهِ وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلَاتِهِمْ فَرَحَّا بِالنَّبِيِّ ﷺ حِينَ رَأَوْهُ فَأَشَارَ بِيَدِهِ أَنْ أْتَمُّوا ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ وَأَرْخَى السِّتْرَ وَتُوِّفِيَ ذَلِكَ الْيَوْمَ.»^(١) رواه البخاري
وفي صحيح البخاري أيضاً من حديث ابن أبي مُلَيْكَةَ قَالَ قَالَتْ عَائِشَةُ ؓ تُوِّفِيَ النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِي وَفِي نَوْبَتِي وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رِيقِي

(١) ففجئهم: أي فاجأهم.

(٢) صحيح البخاري - كتاب الجمعة - رقم الحديث - ١١٣٠.

وَرِيقِهِ قَالَتْ دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِسِوَاكِ فَضَعَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْهُ فَأَخَذَتْهُ فَمَضَعَتْهُ ثُمَّ
سَنَّتْهُ بِهِ.

وصرح النبي ﷺ قبل موته أنه مات متأثراً بالسم الذي وضعت له المرأة
اليهودية في غزوة خيبر ليجمع الله عليه شرف الرسالة والشهادة ففي الحديث
الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ
أُمِّهِ أَنَّ أُمَّ مُبَشَّرٍ دَخَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ فَقَالَتْ يَا
وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا تَتَّهَمُ بِنَفْسِكَ فَإِنِّي لَا أَتَهُمُ إِلَّا الطَّعَامَ الَّذِي أَكَلْتُ مَعَكَ بِخَيْرٍ
وَكَانَ ابْنُهَا مَاتَ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: وَأَنَا لَا أَتَهُمُ غَيْرَهُ هَذَا أَوْ أَنْ قَطَعَ أَبْهَرِي. (١)

وكان الرسول ﷺ قد خير بين الدنيا والآخرة فاختر ما عند الله، ففي
صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قَالَتْ كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ نَبِيٌّ حَتَّى
يُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ قَالَتْ فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ
وَأَخَذَتْهُ بُحَّةٌ يَقُولُ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ
وَالصَّالِحِينَ وَحَسَنٌ أَوْلَيْكَ رَفِيقًا. (٢)

فلما توفي الرسول ﷺ كان الناس بين مصدق ومكذب، حتى قال عمر
بن الخطاب وقال من قال أن رسول الله ﷺ قد مات، قطعت رقبته بسيوفي هذا
فجاء الصديق، وقرأ عليهم ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنِّي

(١) مسند أحمد - كتاب بالقي مسند المكثرين - باب حديث امرأة كعب بن مالك - رقم الحديث ٢٢٨٠٧.

(٢) صحيح مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب في فضل عائشة - رقم الحديث ٤٤٧٥.

مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَيَّ أَعْقَابِكُمْ^٤ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَيَّ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي
اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾

فهدأ الناس، وعلّموا أن الموت حق على كل مخلوق، ثم انشغل الناس
بغسل رسول الله، وتجهيزه للصلاة .

ولم لا وقد أتم الله الدين، وكمل البناء، وانتشر التوحيد، وعرف
الناس الحلال من الحرام، فلا بقاء إلا لله الواحد القهار، ومن أراد أن يكون مع
رسول الله ﷺ فليسر على خطاه حتى يلقاه، وسيكون معه - إن شاء الله -،
والموعد الحوض، واللقاء الجنة بإذن الله تعالى.





أهم الدروس المستفادة

من المرحلة الأخيرة في حياة الرسول ﷺ

ومن أهم الدروس المستفادة من المرحلة الأخيرة في حياة الرسول ﷺ

قبل أن يفارق الدنيا ما يلي:

١. أن الله ﷻ أرسل رسوله لمهمة محددة وهي هداية الناس إلى التوحيد

الخالص لله رب العالمين، فإذا بلغوا ما كلفوا به من ربهم، فقد أدوا ما

عليهم، ويبقى المصير والمرجع إلى الله، الذي يجازي عباده على أفعالهم.

٢. الحرص على إظهار قوة المسلمين حتى لا يطمع فيهم الأعداء فقد أشار

النبي ﷺ على أسامة بن زيد أن يخرج لتأديب الروم الذين قتلوا أحد

ولاة المسلمين، وعندما تأخر الصحابة عن الانضمام بالجيش، خرج

إليهم ودعاهم للانضمام إليه.

٣. ختم النبي ﷺ حياته بمضاعفة الطاعات فقد اعتكف في العام الذي

توفي فيه عشرين يوماً، وقرأ القرآن مع جبريل ﷺ مرتين.

٤. حرص النبي ﷺ على أداء الصلاة في المسجد رغم ما به من مرض؛ فكان يتحامل على الصحابة حتى يصلي معهم، ولا يتخلف عن المسجد إلا بعد أن ثقل عليه المرض بحيث لا يستطيع أن تحمله قدماه.
٥. أوصى النبي ﷺ بالنساء خيراً، فلم ينس النبي ﷺ تضحياتهن في سبيل إعلاء كلمة التوحيد كأمثال السيدة خديجة، وعائشة، وسمية، وأسماء وأم سلمة، وزينب، وأم عمارة، وغيرهن.
٦. أوصى النبي ﷺ بالأنصار خيراً، ففي الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ صعد المنبر وقال: (أوصيكم بالأنصار خيراً فإنهم كرشى وعييتي، وقد قضاوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم).
٧. حرص النبي ﷺ قبل الوفاة على الصدقة فقد أشار على السيدة - عائشة - رضي الله عنها أن تتصدق بقطعة ذهب كانت عندها، وأن تتصدق كذلك بالمال.
٨. حرص النبي ﷺ على تطبيق السنة، فكان يأخذ السواك ويضعه في فمه، لأنه علم أن ذلك يرضى الله ﷻ.
٩. أن رسول الله ﷺ خير ما بين الدنيا والآخرة فاختار ما عند الله، لأنه ﷺ علم أن الدنيا متاعها قليل، وأن السعادة الحقيقية في الدار الآخرة والنظر إلى وجه رب العالمين.

١٠. أن الرسول ﷺ ترك للأمة الأمانة على الدين، ولم يترك لهم مالا يحميهم من غدر الأيام.

قال أبو إسحاق عن عروة بن الحارث الخزاعي أخي جويرية قال: والله ما ترك رسول الله ﷺ عند موته ديناراً، ولا درهماً، ولا عبداً، ولا أمة ولا شيئاً إلا بغلته البيضاء وسلاحه، وأرضاً تركها صدقة. رواه البخاري
وقالت عائشة: لقد مات رسول الله ﷺ وما في بيتي إلا شطر شعير، فأكلت منه حتى ضجرت. متفق عليه

وقال الأسود عن عائشة - توفي رسول الله ﷺ ودرعه مرهونة بثلاثين صاعاً من شعير^(١) رواه البخاري

١١. وجوب التحاكم إلى رسول الله ﷺ والرضي بتحكيمة ﷺ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ [النساء: ٥٩]

ويكون التحاكم إلى سننه وشريعته من بعده ﷺ.^(٢)



(١) السيرة النبوية للحافظ الذهبي - تحقيق حسام الدين القدسي - ص ٤١٢.

(٢) وداع الرسول ﷺ - لأمة ووصاياه وعبر وعظات - د- سعيد بن مسفر القحطني - ص ١٥٣ / ١٥٤.



الفاصلة



لقد عاش الرسول ﷺ مؤيداً من ربه في حياته فقد عصمه ﷻ ورباه على عينه، فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح للأمة، وكشف الغمة، وأنار الله به السبيل، فترك الأمة على المحاجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

فهل يعيش المسلمون الآن كما عاش رسولهم، والسلف الصالح منهم ليسودوا كما سادوا، وينشروا الخير كما نشره أسلافهم؟! إن الصلة بين المسلمين وبين دينهم لا بد أن يكون منهجها، ومنبعها كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ.

فإذا كانت هذه الصلة قوية فإن الله ﷻ سيوحد كلمتهم ويسدد خطاهم، وينصرهم على عدوهم.

وحينما تضعف هذه الصلة فإنها تنعكس بالتالي على مجريات حياتهم ومعاملاتهم، ويصل الأمر إلى أن يتسلط عليهم عدوهم، ولا يرضيه إلا نزع ما بأيديهم.

فلا بد أن تتفاعل الصلة مقرونة بالعلم والعمل، ولا بد من تنشئة الأمة على السير على هدى الحبيب ﷺ.

قال الإمام الترمذي: فإذا كانت هذه الصلة رطبة عميقة، فأنت مسلم بمقدار رطوبتها وعمقها، وإذا كانت هذه الصلة تتفاعل معك حتى تجعل

علمك وعملك وحالك على قدم رسول الله ﷺ، فأنت مسلم بقدر هذا التفاعل
في العلم والعمل والحال. (١)



٦

(١) الإتحافات الربانية بشرح الشمايل النبوية لإمام الترمذي - أحمد عبد الجواد الدومي - ص ١٠.



أهم المراجع



١. الإتحافات الربانية بشرح الشمايل المحمدية للإمام الترمذي، أحمد عبد الجواد الدومي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ.
٢. أساليب قريش في محاربة الدعوة، د- يحيى بن إبراهيم اليحيى، دار الخصري - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٣. الأسلوب النبوي في الدعوة، د- الشريف حمدان الهجاري - دار الهدى - مصر - ١٩٨٧م.
٤. الإصابات في تمييز الصحابة، أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار النهضة، مصر.
٥. أطلس السيرة النبوية، د. شوقي أبا الخيل، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٦. البداية والنهاية، لابن كثير، مؤسسة دار المعارف، دار بن حزم، الرياض المملكة العربية السعودية، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.
٧. بدر الكبرى يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، د- شوقي أبا الخيل، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٤م.
٨. تاريخ العالم الإسلامي، د. إبراهيم أحمد العدوي، الجزء الأول، جامعة القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
٩. تأملات في سيرة الرسول ﷺ، د- محمد الوكيل، دار المجتمع - جدة - السعودية - الطبعة الأولى - ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

١٠. التربية القيادية - السابقون الأولون - الجزء الأول - منير الغضبان - دار الوفاء - المنصورة - مصر - ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م.
١١. حديث القرآن عن غزوات الرسول ﷺ، د- أبو زيد محمد بكر آل عابد - دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى.
١٢. حكم وأحكام من السيرة النبوية - الشيخ عبد الله عبد الغني خياط - دار الرفاعي للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى - ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م.
١٣. خاتم الأنبياء والمرسلين - محمود شاكر - المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية - ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.
١٤. خديجة أم المؤمنين - عبد المنعم محمد عمر - الهيئة المصرية للكتاب - مصر - الطبعة الثانية - ١٩٩٤ م.
١٥. الرحمة المهداة سيرة سيد المرسلين - أبو القيس عبد العزيز المدني، ونور الإسلام شفيح السلفي - دار الداعي - الرياض - المملكة العربية السعودية - الطبعة الأولى - ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.
١٦. الرحيق المختوم، لصفي الدين عبد الرحمن المباركفوري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
١٧. الرسول العربي المربي - د- عبد الحميد الهاشمي - دار الهدى - الرياض - المملكة العربية السعودية - الطبعة الثانية - ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٥٧. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج بن الجوزي، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.
٥٨. المنهج الحركي للسيرة النبوية - منير محمد الغضبان - مكتبة المنار- الزرقاء - الأردن - الطبعة الثالثة - ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
٥٩. نور اليقين في سيرة سيد المرسلين - محمد بك الخضري - المكتبة العصرية - صيدا - لبنان - الطبعة الأولى - ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
٦٠. وداع الرسول ﷺ - سعيد بن علي بن وهب القحطاني - الطبعة الأولى - جمادى الأولى - ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
٦١. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، أحمد شعبان أحمد - مكتبة الصفا - القاهرة - مصر - الطبعة الأولى - ١٤٢٦هـ.
٦٢. هذا الحبيب - محمد ﷺ يا محب، لأبي بكر الجزائري، مكتبة لينة.





الفهرس



- ١١..... تقديم
- ١٣..... المقدمة
- ١٧..... عملي في هذا الكتاب
- ١٩..... ما تميزت به السيرة النبوية
- ٢١..... حاجة الدنيا إلى الإسلام
- ٢٥..... أحوال العرب قبل الإسلام
- ٢٧..... أولاً: الأحوال السياسية
- ٣٣..... ثانياً: الأحوال الاجتماعية
- ٣٥..... ثالثاً: الأحوال الاقتصادية
- ٣٧..... رابعاً: الأحوال الدينية
- ٣٨..... الأشهر الحرم
- ٤٠..... عام الفيل
- ٤٣..... من الميلاد إلى البعثة
- ٤٥..... الميلاد
- ٤٥..... النسب من جهة الأب
- ٤٦..... النسب من جهة الأم
- ٤٩..... الرضاع

- ٥٣.....حادثة شق الصدر
- ٥٥.....رحلة الوفاء الأخيرة
- ٥٧.....لقاء بحير الراهب
- ٦٣.....مرحلة الشباب
- ٦٩.....الزواج المبارك
- ٧٧.....بناء الكعبة المشرفة
- ٨١.....من البعثة إلى الهجرة
- ٨٣.....غار حراء وبدء الوحي
- ٩١.....البعثة
- ٩٥.....الدعوة السرية
- ٩٩.....صيحة الحق من على جبل الصفا
- ١٠١.....كيف واجهت مكة رسالة التوحيد
- ١١١.....الهجرة إلى الحبشة
- ١١٩.....حصار المسلمين في شعب أبي طالب
- ١٢٣.....عام الحزن
- ١٢٨.....رحلة الطائف
- ١٣٤.....رحلة الإسراء والمعراج
- ١٤٠.....بيعتا العقبة الأولى والثانية

- ١٥٠..... الهجرة والنصرة والتمكين
- ١٥٢..... الهجرة
- ١٥٦..... الهجرة إعداد وتخطيط وتنفيذ
- ١٧٢..... مجتمع المدينة
- ١٨٤..... الجهاد لحماية الدين ومواجهة المعتدين
- ١٨٤..... وأحداث السنة الأولى من الهجرة
- ١٨٧..... بيان بغزوات الرسول ﷺ
- ١٨٩..... أهم السرايا^٥:
- ١٩٢..... أهم أحداث العام الأول الهجري في المدينة
- ١٩٤..... سرية سيف البحر
- ١٩٦..... سرية رابع
- ١٩٨..... سرية الخرار
- ٢٠٠..... ميلاد أول مولود للمسلمين بعد الهجرة
- ٢٠٢..... دخول النبي ﷺ بالسيدة عائشة ؓ
- ٢٠٤..... شرع الأذان
- ٢٠٦..... زيادة صلاة الحضر ركعتين
- ٢٠٨..... أحداث العام الثاني الهجري

- ٢١٠..... غزوة ودان (الأَبواء)
- ٢١٢..... غزوة بواط
- ٢١٤..... غزوة ذي العَشيرة
- ٢١٧..... غزوة بدر الأولى (سفوان)
- ٢١٩..... سرية عبد الله بن جحش
- ٢٢٣..... تحويل القبلة
- ٢٢٧..... فرضية الصوم
- ٢٢٩..... غزوة بدر الكبرى
- ٢٤٣..... غزوة بني سُليم بالكدر
- ٢٤٥..... جلاء يهود بني قينقاع
- ٢٤٧..... تاسعاً: غزوة السويق
- ٢٥٠..... عاشراً: بيعة النساء
- ٢٥٢..... زواج علي بن أبي طالب بفاطمة الزهراء
- ٢٥٤..... العام الثالث الهجري
- ٢٥٦..... ما سبق غزوة أحد من أحداث
- ٢٥٦..... غزوة غطفان.. وهي ذي أمر.. ربيع الأول ٣هـ
- ٢٥٨..... مقتل كعب بن الأشرف
- ٢٥٨..... غزوة بحران..

- ٢٦٠..... سيطرة المسلمون على طريق التجارة..
- ٢٦٢..... غزوة أحد.....
- ٢٦٢..... الأسباب والأحداث والتائج^٥.....
- ٢٦٦..... خطة الفريقين في أرض المعركة.....
- ٢٧٤..... الدروس والعبر.....
- ٢٨٤..... غزوة حمراء الأسد.....
- ٢٨٨..... أهم الأحداث الاجتماعية في العام الثالث الهجري.....
- ٢٩٤..... وأد فتنة خالد بن سفيان الهذلي.....
- ٢٩٦..... فاجعة الرجيع.....
- ٣٠٠..... حادثة بئر معونة.....
- ٣٠٤..... إجلاء يهود بني النضير.....
- ٣١٠..... أهم الأحداث الاجتماعية والتشريعية البارزة في العام الرابع.....
- ٣١٢..... تقليم أظافر الطامعين.....
- ٣١٤..... أحداث العام الخامس الهجري.....
- ٣١٦..... غزوة دومة الجندل.....
- ٣١٨..... إشكال وتوضيح وتحقيق.....
- ٣١٨..... حول غزوتي بني المصطلق و ذات الرقاع.....
- ٣٢٠..... غزوة الأحزاب (الحنق).....
- ٣٢٠..... أسباب الغزوة.....

- ٣٢٩..... الدروس والعبر من غزوة الأحزاب
- ٣٣٤..... غزوة بني قريظة
- ٣٤٢..... مقتل سلام بن الحقيق
- ٣٤٦..... من الأحداث الاجتماعية في هذا العام
- ٣٤٨..... أهم أحداث العام السادس الهجري
- ٣٥٢..... غزوة بني لحيان
- ٣٥٤..... غزوة بني المصطلق (المريسع)
- ٣٥٤..... أسباب الغزوة
- ٣٥٨..... إشكال وتوضيح
- ٣٦٢..... صلح الحديبية
- ٣٦٧..... الدروس والعبر من صلح الحديبية
- ٣٧٤..... غزوة ذي قرد (الغابة)
- ٣٧٢..... أهم أحداث العام السابع الهجري
- ٣٧٨..... غزوة خيبر
- ٣٨٦..... غزوة وادي القرى
- ٣٨٨..... غزوة ذات الرقاع
- ٣٨٨..... سببها
- ٣٩٢..... رسائل الدعوة المحمدية

- ٣٩٦..... عمرة القضاء
- ٣٩٨..... أحداث العام الثامن الهجري
- ٤٠٠..... إسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص
- ٤٠٠..... وعثمان بن طلحة
- ٤٠٠..... قصة إسلامهم
- ٤٠٤..... سرية مؤتة
- ٤٠٤..... أسبابها
- ٤٠٩..... الدروس والعبر
- ٤١٤..... سرية ذات السلاسل
- ٤١٨..... الفتح المين
- ٤١٨..... أسباب فتح مكة
- ٤٢٤..... الدروس والعبر
- ٤٢٧..... غزوة حنين
- ٤٢٧..... أسبابها
- ٤٣٤..... الدروس والعبر
- ٤٣٧..... أهم السرايا والوفود في العام الثامن
- ٤٣٩..... من الأحداث الاجتماعية في هذا العام
- ٤٤٣..... هدم صنم طيء

- ٤٤٥..... غزوة تبوك
- ٤٤٥..... أسباب الغزوة
- ٤٦١..... مسجد الضرار
- ٤٦٤..... وفاة عبد الله بن سلول
- ٤٦٥..... الوفود المسلمة
- ٤٦٨..... أهم أحداث هذا العام الاجتماعية
- ٤٧٠..... العام العاشر الهجري
- ٤٧٤..... حجة الوداع
- ٤٧٨..... ومن أهم الأحداث الاجتماعية في هذا العام
- ٤٨١..... إلى الرفيق الأعلى
- ٤٨٧..... أهم الدروس المستفادة
- ٤٨٧..... من المرحلة الأخيرة في حياة الرسول ﷺ
- ٤٩٥..... أهم المراجع
- ٥٠٥..... الفهرس

